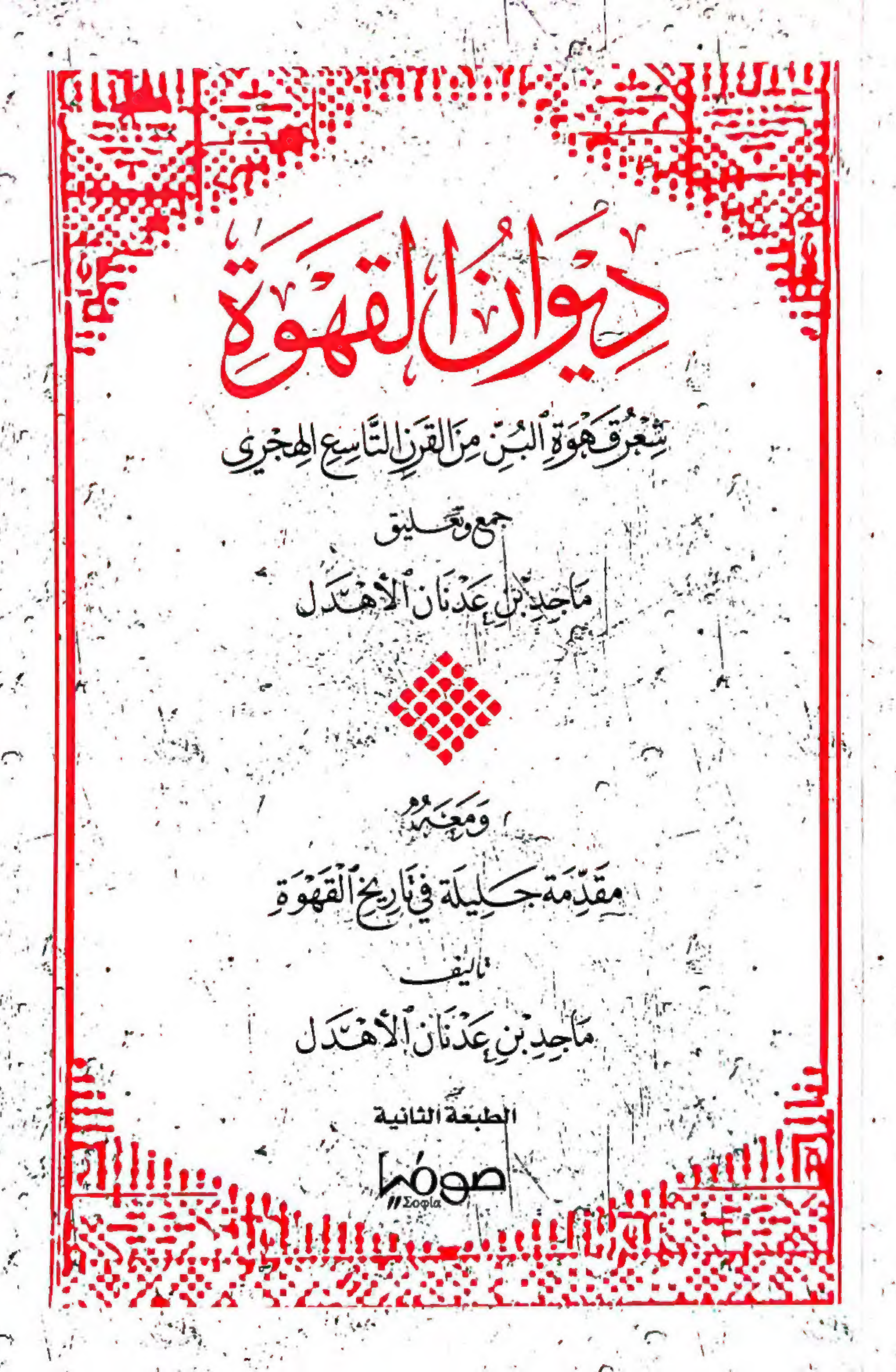


دِيوَانُ القَهوَة

شعر قهوة البن من القرن التاسع الهجري

جمع وتعليق

ماجد بن عدنان الأهدل

ومعه

مقدمة جليلة في تاريخ القهوة

تأليف

ماجد بن عدنان الأهدل

الطبعة الثانية

صوفيا
Σοφία

ديوان القهوة

«شعر قهوة البنّ من القرن التاسع الهجري»

مع مقدّمةٍ جليلةٍ في تاريخ القهوة

ديوان القهوة

«شعر قهوة البنِّ من القرن التاسع الهجري»

جمع وتعليق

ماجد بن عدنان الأهدل

مع

مقدِّمةٍ جليلةٍ في تاريخ القهوة

تأليف

ماجد بن عدنان الأهدل

1444 هـ - 2022



ديوان القهوة

«شعر قهوة البنّ من القرن التاسع الهجري»

جمع وتعليق

ماجد بن عدنان الأهدل

الطبعة الثانية - 2022

ISBN 978-9921-721-78-2

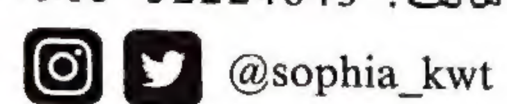
رقم الإيداع: 2748/2022



الكويت - حولي - الدائري الثالث - مجمع بروميناد - ميزانين 2

البريد الإلكتروني : info@sophiareads.com

هاتف : 52224643-965+



تصميم الغلاف: عوض السليماني

مخطوطة الغلاف: زكي الهاشمي

الفهرس

الإهداء

إلى روح من أَحياني موته، وحرَّكني سكونه، جدِّي السيد هاشم بن علي الأهدل .

وإلى حياة من علَّمتني الحروف، وأقبضتني القلَمَ، وركضت خلف قلم أخطائي الكثيرة بممحاة الحنان والعذر، جنَّتي في هذه الدنيا، والدتي فاطمة بنت السيد هاشم الأهدل

وإلى ريحانتي في هذه الدنيا، ابني طه.

..

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أباح لنا الطيبات من رِزقِه، وأرسلَ الرياحَ فأثارتْ سَحَابًا ثِقَالًا فسُقينا الشَّرابَ الطَّهورَ من وَدْقِه، وخَصَّصَ بمعرفة أحكامِه من الحلالِ والحرامِ مَن اصْطَفى من خُلاصةِ خَلْقِه، ووفَّق مَن شاءَ لملازمةِ ذِكره، فاستعانَ على السَّهرِ فيه بما أمكَنَه من وَسائِلِه وطُرُقِه، وهَامَ حيَن أديرتْ عليهِ كاساتُ قهوةِ محبَّتِه، فغابَ في جَمعه عن فَرْقِه.

والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِ المحبينَ، وفاتِقِ طريقِ الحقِّ بعد رَتْقِه، الدَّاعي إلى الله على بَصيرةٍ هو ومن اتَّبعَه من المؤمنين المجتهدينَ في القيامِ بحقِّ الله وحقِّه، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ومحبيه، ما لمع برق من سحابه، أو طلع كوكب من أُفُقِه[1].. أمَّا قبلُ[2]

لمَّا كان الشِّعرُ ديوان العرب، يحفظُ مآثرها، ويسجِّلُ أيَّامها؛ عُدَّ رافدًا من روافد التأريخ لتراث الأمَّة العربيَّة، ومصدرًا أصيلًا من مصادرِ ثقافتها العريضة. ولا يقتصرَ هذا الحكم على ما خلَّفه الجاهليُّون من آدابٍ حفظها لنا الشِّعرُ؛ فلا يزال الشِّعرُ - حتَّى مع فشوِّ الكتابة والتوثيق عند العرب بعد الإسلامِ، وحتى اليوم - سِجِلًّا حيويًّا يضمُّ أشتاتَ ما تفرَّق في بطون الكتبِ، تحت وطأة التقسيم المنطقي، والوحدة الموضوعيَّة للتصنيف بعد استقرار العلوم على قواعدها المعروفة، وأحوالها المخصوصة، ولا يزال متَّسِعًا للشوارد الاجتماعيَّة، والمُلَحِ الأدبيَّة التي ربما تنفر من قيود الكتابة المنثورة المنضبطة، وتُستكثَر عليها قوالب التصنيف المستقِلِّ، وهو بهذا مصدرٌ من

---

(1) الديباجة الحمديَّة لكتاب دفع المفوة في حل القهوة للعلامة أحمد بن عبد الغفار المالكي.

(2) كلمة «أمَّا قبلُ» من مبتكراتِ أديب العربية مصطفى صادق الرافعي، أسماها «وصل الماضي».

مصادر التأريخ لثقافة الأشياء، حتى قال فيه أبو فراس الحمداني[1]:

الشِّعرُ ديوانُ العرب أبدًا وعنوانُ الأدَبْ
لم أَعدُ فيه مفاخري ومديحَ آبائي النُّجُبْ
ومقطَّعاتٍ ربَّما حلَّيتُ منهنَّ الكُتُبْ
لا في المديحِ، ولا الهِجاءِ ولا المجونِ ولا اللَّعِبْ

وأمَّا بعدُ

فهذا ديوانٌ ظريفٌ جَمعتُه في أدبِ القهوة المنظوم، أيقظتُ جُزءًا من مادته من المخطوطات، وقسطًا تعقَّبتُه في مدونات الأدب والتاريخ، قصدتُ فيه استيعاب أوسع مادة منظومة في أدب القهوة، لا الحصر، فذلك مما لا يقدرُ عليه إلا الله، وأعترفُ أنَّني لم أُثبِت في الديوان كلَّ ما وجدتُ من أدب القهوة المنظوم؛ إمَّا لعدم تحقّق النِّسبة للقائل في المقاطيع مُشكلةِ النِّسبة، وهي قليلةٌ، أو لاكتشافي بعض المقطَّعات بعد إتمام مبيَّضة النشر، وهذه حقُّها الإلحاق في الطبعة القادمة إن يسَّر الله.

وقسَّمتُ الديوان لثلاثةِ أقسامٍ:

الأول: المنظوماتُ والأراجيز، وهي القصائد الطوال التي قُصدَ من نظمِها البحثُ في مسألة القهوة شرعيًا، أو طبيًّا، أو اجتماعيًّا، ولا تخلو قصيدةٌ في هذا القسم من أن تجمع المباحث الثلاثة بمقادير.

الثاني: الموشَّحات، وهي من القوالب الشِّعريَّة المُستحدثة في القرن الثالث الهجري بالأندلس، ولها أوزان مخصوصةٌ، ولا يُلتزم فيها بالفصيح

---

(1) الحمداني، أبو فراس، ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق: سامي الدّهان، المعهد الفرنسي بدمشق، الطبعة الأولى، 1363 هـ/ 1944م، ج2، ص10

وحده، بل تُطعَّمُ الموشَّحاتُ بالعاميِّ والدَّخيل، وقد كان أسلوب الموشَّح رائجًا في الشام ومصر بالقرن العاشر الهجري، وكان الشيخ أبو الفتح المالكي من المكثرين منه المولعين به وله أكثر من قصيدة في الباب.

الثالث: القصائد والمقطَّعات الشعريَّة، وفيه القصائد التي غلبت عليها أغراض الشِّعر، فلم تستقلَّ ببحثٍ موضوعِ القهوة شرعيًّا أو طبيًّا، ولم تبلغ من الطول ما يجعلها أقرب للمنظومات العلميَّة، وفيه كذلك المقطَّعات القصيرة التي لم تتجاوز البيتين، وهي كثيرة.

ثمَّ رتَّبتُ القصائد في الأقسام على السنين تغليبًا، حيث بدأتُ بأقدم نصوص الباب، وأقدم النصوص ينتمي للقرن التاسع الهجري، وهو أوَّلُ ما قيل في قهوة البُنِّ شِعرًا، وجعلتُ أتصاعدُ في هذا الترتيب حتى القرن الخامس عشر الهجري.

وفي الدِّيوان قصائدُ ومنظوماتٌ تُنشر كاملةً لأوَّل مرَّةٍ، كمنظومة «جلب الزبون في مدح البون» للإمام حمزة بن عبد الله الناشري الزَّبيدي (ت 926 هـ)، وهي منظومةٌ جليلةٌ، تكادُ تكون من أوائل المنظومات التي بحثت البُنَّ بحثًا شاملًا، فقهيًّا، واجتماعيًّا، وطبيًّا.

فترى الناشريَّ يبحثُ البنَّ مصوَّرًا في مسائلَ فقيهَة تجري على معظم أبواب الفقه، فيبحث طهارته، وحكمه، وحكم بيعه، والسَّلمَ فيه، وزكاته، وحكم جعله صَداقًا، وجُعلًا، ورهنًا، وحكم الوصيَّة فيه، ثمَّ يعالجه اجتماعيًّا، فتراه يبحثُ طريقة أكله منفردًا، أو في جماعةٍ، وآداب الضيافة فيه والهديَّة منه، ثمَّ يعرِّجُ على خواصِّه الطبيَّة، فينقلُ عن حكماء بلدته زبيد فوائد البن في معالجة الرَّمدِ والبواسير، وتطييب الفمِّ وإذهاب احمرار العين وغيرها من الأدواء الظاهرة والباطنة.

ولعلَّ من أهمِّ الإشارات الكاشفة في هذه المنظومة، الإشارة إلى أنَّ البُنَّ مما كان مأكولًا قبل أن تشيع طريقة طبخه، وهي مما لم أجده في غير هذه المنظومة، إذ إنَّ المستقرَّ في البداهة أنَّ البن مشروب فقط، فهو يبني الأحكام والآداب المتعلقة بالبنِّ في منظومته باعتباره مأكولًا، وإن كان ذكره مشروبًا في موضع أو موضعين.

وكذلك الإشارة إلى أوَّل أماكن استزراعه في اليمن، فذكر نجاح زراعته في تعزَّ وأنَّ ثماره في تعزَّ فاقت جودة ثمار الحبشة، وكذا فشلَ زراعته في زبيد؛ لأنها مدينة سهليَّة لا ينجح فيها إثمار البُنِّ.

وفي منظومته يُحيلُ الناشريُّ إلى ثلاثة علماء ممن بحثوا البُنَّ قبله وينقل عنهم، هم: الشيخ العلامة القاضي الطَّيِّبُ الناشري، المتوفى سنةَ 874 هـ والشيخ العلامة أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشَّرْجي، المتوفى سنة 893 هـ صاحب «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح»، والشيخ العلامة عبد اللطيف بن موسى الـمُشَرَّع الزَّبيدي، المتوفى سنة 900 هـ وفي هذه الإحالات كشفٌ عن أنَّ مسألةَ البُنِّ كانت مبحوثةً في القرن التاسع الهجري في القطر اليمني، على خلاف ما شاع أنَّ البُنَّ إنما اشتُهرَ وبُحثَ في القرن العاشر بعد حادثة تحريمه بمكة سنة 917 هـ زد على هذا ما نُقِلَ أنَّ العلَّامة محمد بن سعيد كَبِّن الطبري العدني، المتوفى سنة 842 هـ قد ألَّفَ في البُنِّ[1].

ومن النُّصوص التي تُنشر لأوَّل مرَّة «المقدمة المنصورة في تحريم القهوة المشهورة» لشرف الدين العِمريطي، المتوفى أواخر القرن العاشر

---

(1) العيدروس، عبد الرحمن بن محمد، إيناس الصَّفوة بأنفاس الصفوة، مخطوط، نقلاً عن الحبشي، عبد الله بن محمد، من مقدمته لعمدة الصفوة في حلِّ القهوة لعبد القادر الجزيري، المجمع الثقافي أبو ظبي، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1996م، ص5.

الهجري، وهي قصيدةٌ يُنبي عن ما فيها عُنوانها، حيث قصد فيها الناظم حشد حُجج التحريم، وصبَّها حِمَمًا غَضَبيَّةً على رؤوس المجوِّزين، في محاولةٍ أخيرةٍ لوقف تمدُّد القهوة وشيوعها في الأقطار العربيَّة. وفي المنظومة إثراءٌ لحركة الجدل الفقهي، وإبرازٌ للحجج التي كان يراها المحرِّمون موجبةً لمنع القهوة، وفي هذه الحجج - إن سلمت من ضعف المقدمات - إشاراتٌ وملامح اجتماعيَّةٌ لواقع بيوت القهوة في القرن العاشر الهجري، وأخلاق أصحابها وروَّادها، وهي مُثريةٌ للبحث الفقهي باعتبارها مُركَّزةً ومرتَّبةً في المنظومة، على عكسها في الكتابة النثريَّة التي قد يختفي فيها الترتيب أو يضعف بحكم الاستطراد والأمثلة.

وكذلك من النُّصوص التي تُنشر لأوَّل مرَّةٍ؛ منظومة «تُحفة الإخوان في استعمال القهوة والدُّخان» لسليمان بن يوسف المُزني البسيوني المصري، من أهل القرن الثاني عشر الهجري، وفيها إشاراتٌ لطيفةٌ لم أجدها في مكانٍ آخر، منها رجوع الشيخ ابن عبد الحقِّ السُّنباطي (ت 950 هـ) - صاحب الموقف الشهير في تحريم القهوة - عن قوله في التَّحريم بعد أن جرَّب القهوة في مجلس الشيخ العلامة أبي الحسن البكري (ت 952 هـ)، وفيها نقولٌ طريفةٌ عن أصل القهوة، وأنَّ أصلها من الجنَّة، إلى غير ذلك من الملامح الاجتماعيَّة لمجالس القهوة وأهلها.

والحقيقةُ أنَّ كثيرًا من نصوص الديوان ينسحب عليها هذا الحُكمُ بالجِدَة، فهو إما أنه يُنشر للمرة الأولى أصالةً، أو أنَّه من أصلٍ مطبوعٍ لم يعد متوافرًا لبعد العهد بطباعته، أو لكونه بعيدًا في بطون الكُتُب، وما هذا الديوان إلا محاولة لتوفير أكبر مادة منظومة في أدب القهوة، وتقريبها للباحثين والقارئين العرب، وتيسير دراستها دراسةً تاريخيَّةً واجتماعيَّةً وفقهيَّةً؛ تُثري أبواب العلم، وتعبِّقها بشذى القهوة.

ثمَّ قدَّمتُ لهذا الديوان بمقدِّمة أسميتها «مقدمة جليلة في تاريخ القهوة»، وهي مختصرةٌ من كتابٍ أوسع أعمل عليه في تاريخ القهوة، حاولتُ فيها تجسير الهُوى في النظرة التاريخية عن القهوة، وتجلية بعض المناطق العمياء في سيرة القهوة على أرضها العربيَّة، ولم أهتمَّ كثيرًا بتلحيق المادة التاريخيَّة وتعقُّبِها في المدونات الغربيَّة، اللهم إلا ما تطلَّبه البحث، مما لم يكن متوفرًا في المراجع العربيَّة، وأزعمُ أنَّني وضعتُ فيها ما لا تجده في غيرها من النقول والفوائد والاستنتاجات.

وأدبُ القهوة بابٌ من البحثِ تورَّطتُ فيه لسنوات، ولجتُه قبل ثماني سنواتٍ بعد قصَّةٍ طريفة حصلت لي وأنا أبحث في كتاب «الأحساب العليَّة في الأنساب الأهدليَّة» لأبي بكرِ بن أبي القاسم الأهدل (ت 1035هـ) حين وقع بصري على اسم الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي المخائي (ت 828 هـ)، وقد كنتُ لا أعرفُ عنه سوى أنه أحدُ من يُعزى لهم اكتشاف مشروب القهوة في القرن التاسع الهجري، من إشارةٍ التقطتها من كُتب الرقائق التي تترجمُ لبعض الصالحين وتذكر مناقبهم، ولم أكن أحفلُ ساعتئذ بمبحث القهوة، ولم تكن هذه المعلومةُ وأختها؛ التي تقضي أنَّ القهوة خرجت من اليمن لكل العالم، قبل هذا الموقف أكثر من معلومتين من معلومات الثقافة العامَّة التي أستبقيها في الذاكرة تحسُّبًا لأحد أسئلة برامج المسابقات التي تستجوبُ المارَّة في عرض الطريق.

لكنَّ لما قرأتُ أنَّ أحد أجدادنا كان قد صاحبَ الشيَّخ علي بن عمر الشاذلي، وتفقَّه عليه، ثمَّ تزوَّجَ ابنته، وأولدَ منها، تحرَّكَ في نفسي باعثٌ ذاتيٌّ لأبحث في سيرة الشيخ علي بن عمر الشاذلي وأقرأ عن اكتشافه العجيب «مشروب القهوة». بيد أنَّ هذا الباعث لم يدُم طويلًا، فقد تكاثرت الصوارف عن هذا البحث.

ثمَّ جاء عام 2015، وفيه راج في أوساط الناس الكلام عن نوع من المقاهي جديدٍ يقدِّم قهوةً مختصَّةً، وكان المصطلحُ إذَّاكَ جديدًا على أسماع معظم الناس، وعاد سؤال القهوة يلحُّ على الساحة، فما هي القهوة حتَّى تكون قهوةً مختصَّة؟ وبأيِّ اعتبارٍ، وشهِد ذلك العام وما يليه من أعوامٍ ثورةً في عالم المقاهي، فانتشرت المقاهي المختصَّة في معظم مدن المملكة العربيَّة السعوديَّة، وخرجت لنا مشاريعُ جديدة لم نعهدها، واعتباراتٌ كثيرةٌ يجبُ مراعاتُها في التحضير والتقديم، لم تكن مطروقةً في فضاء القهوة من قبلُ، فالبنُّ مصطفى من مزارع وبلدانٍ لم تكن منتجاتها ذات حضورٍ في يومٍ من الأيام على أرفف أسواقنا، وسلالاتٍ وأنسابٍ وقبائل يعودُ إليها البنُّ، تؤثِّر في مِزاجه وطبيعته، ومعالجاتٍ لحبوب البنِّ لم نعرف منها في عرف حصاد البنِّ في الجزيرة العربيَّة سوى المعالجة بالتجفيف، أما المعالجة بالغسل أو التخمير فهما كلمتان قادمتان مع معجم القهوة المختصَّة.

ثمَّ الحَمْصُ ودرجاته المهندَسَة بحيثُ يُجعَل لكلِّ محصولٍ من البُنِّ معادلةٌ موصوفةٌ لدرجةِ الحرارة، ووقت التحميص في الحمَّاصة؛ وفقًا لسلالته، وارتفاع مزرعته عن سطح البحر، عدِّ عن أثر الخواصِّ الفيزيائيَّة والكيميائيَّة لحبَّة البنِّ، في اختلاف أسلوب الحَمْص، دواليكَ.

فاستجدَّ الباعثُ على جمع ما تفرَّق في طريق القراءة من شوارد التواريخ، وطرائف الحكايات عن القهوة، وكنتُ قد اطَّلعتُ على قِسطٍ وافرٍ مما كتبه الغربيُّون والعرب (وهو قليلٌ) في البابِ، فوجدتُ أنَّ الفجوات المعرفيَّة واسعةٌ، والمناطقَ العمياء في تاريخ القهوة كثيرة، فاستعنتُ بالله وبدأتُ رحلة البحث عن القهوة في المطبوع والمخطوط من التراث العربيِّ، ومن المخبور أنَّ طريق البحث ليست معبَّدةً أمام الباحث العربيِّ، ففيها ما فيها من المتاعب والعقبات، لكن المقام مقام احتفالٍ لا مقام شكوى، وأؤجِّل الشكوى لحين قهوةٍ في حضرةٍ إخوة.

ثمَّ كان أن اجتمع لديَّ بعد سنواتٍ من القراءة والبحث؛ مادةٌ كبيرةٌ تصلُح أن تخرج في كتابٍ عن القهوة، فبدأتُ في كتابة بحثٍ عن تاريخ القهوة على ضوء المصادر القديمة للقهوة، ثمَّ زُيِّنَ لي أن أحقق مجموعةً من الرسائل المخطوطة في القهوة بلغ عددها أكثر من 20 رسالةً، فبدأتُ في نسخ المخطوطات، وانتهيتُ منها، لكن نما إلى علمي أنَّ باحثًا في مصر قد قطعَ شوطًا في هذا العمل، وقد شارف عمله على الاكتمال، فتركتُ هذا المشروع، مع دعواتي الصادقة له بالتيسير، وعُدتُ إلى الفكرة الأولى وهي الكتاب الموسوعيُّ عن تاريخ القهوة، وقد شرعتُ فيه ببداية عام 2019، لكنَّ الصوارف عن الاجتماع على إنجاز هذه الموسوعة كانت أقوى من البواعث على إنجازها في محصِّلةِ التَّدافع الكونيَّة، وموازين لقمة العيش الكريمة. وما زال الأصدقاء يُلحُّون في أن أنجز وعدي بإخراج شيء من هذا العمل، وكنتُ أدافع فكرة الكتابة المطوَّلة تارةً بخداجة الأفكار التي توصَّلتُ إليها، وتارة بالأماني العريضة بتحصيل قدرٍ أكبر من الوثائق، ومن وراء ذلك كلِّه نفسٌ قلقةٌ، مسكونةٌ بهاجس الكمال.

ثمَّ جاء عام 2022، وفيه أطلقت وزارة الثقافة السعوديَّة عليه: «عام القهوة السعوديَّة»، احتفاءً بما للقهوة من مكانة في منظومة الثقافة والاجتماع في المملكة العربيَّة السعوديَّة، فتحرَّك الباعثُ إلى إنجاز العمل، بعد أن كثُرَ الحديث عن القهوة في الساحة الثقافيَّة والأدبيَّة، وتردَّدَ كثيرٌ من الأغاليط التاريخيَّة بشأن القهوة ونشأتها، وتورَّط كثيرٌ من المثقفين والباحثين في تكرير أساطير غير مفحوصة، عن نشأة القهوة، فوقَ ما ابتُليتْ به مواقع التواصل الاجتماعيِّ من أزمة المحتوى المتعلِّق بالقهوة، فتجدَّد الباعثُ على إخراج شيء من أعمال القهوة، مساهمةً في تطوير المحتوى، وخطوةً جديدةً - أحتسبها - في تثبيت الحقِّ والفضل العربيِّ في ابتكار هذا المشروب الساحر، واستعادة شيءٍ من ألقه العربيِّ السابق.

وكنتُ قابلتُ الصديق عبد الكريم الشَّطي نهاية شهر مارس من هذا العام في الرياض، بعد إخراجه لكتابه «سِفر القهوة»، فاجتمعنا في أحد مقاهي «الشاي»، ندير أحاديث «القهوة»، ونتبادل تباريح الكتابة عنها وفيها. فكان يلحُّ عليَّ أن أنجز ما بدأُته، وأن أُخرج ولو جزءًا يسيرًا من العمل، تحت قاعدة «ما لا يُدركُ جُلُّه لا يُترك قُلُّه»، والحمدُ لله أنَّه فعلَ، وإلا لو تُرِكَ الأمر لما أعتقده عن «العمل الكامل» لما خرج هذا العمل.

فبدأت جمع الديوان والتعليق عليه بعد لقائنا ذلك، حتَّى يسَّر الله الانتهاء منه في شهر أغسطس من عام 2022/ محرَّم 1444 هـ، وهأنذا أبعثه إلى الفضاء المفتوح على حياءٍ، فإنَّك أيُّها القارئ، لن تعدمَ فيه هفوةً معرفيَّة، أو زلَّة طباعيَّةً، فاستصحب العذر مع صفحات هذا العمل، وأهدني خيرَ ما أُهديَ باحثٌ = النَّصيحة والتقويم.

ولا أنسى في مقام التقديم للعمل أن أشكر كلَّ من ساهم بالوقت، وأعان بالكلمة الطيِّبة، والنُّصح والتقويم لمسودَّة هذا العمل.

فالشُّكر - بعد الله - للأخ الصديق الأديب الأريب، أبي الزهراء، حسين بن أبي بكر، على مراجعته مسودَّة هذا العمل، وإهدائه الملاحظات النقديَّة القيِّمة، التي نضَّجت كثيرًا من مباحث الكتاب، كما أشكر أخويَّ العزيزين: عبد الله عادل الأنصاري، وأحمد هيكل على مراجعة مسودة الكتاب، والشكرُ للأخ حسن بيلا على مراجعته الديوان عَروضيًّا، كذا أشكر الأخت منال الزِّدجالي من سلطنة عمان على ما تحملته من عناء تصوير بعض المخطوطات من دار المخطوطات بوزارة الثقافة العمانيَّة، وإرسالها إليَّ في السعوديَّة، والشكر موصولٌ للأستاذ خلفان بن سالم البوسيعدي، على تعاونه في تزويدي بنسخ من بعض المخطوطات العمانيَّة، وكذا الشكر للأستاذ الفاضل حمد بن محسن بن زهران العبري على تعاونه بتوفير نسخة

من كتابه «القهوة رمز الضيافة العمانية»، والذي استفدت منه استفادة كبيرةً، على صغر حجمه.

كما أشكر الأخ جهاد الأماسي على ترجمته لبعض نصوص المقدمة من اللغة التركية القديمة، وكذلك أخي عبد الرحمن الدّالاتي على ترجمته لبعض المواضع في المراجع العثمانيَّة.

والشكر كذلك لأخي أبي عبد الرحمن، فيصل الريثي، الرجل الذي أكرمني إكرامًا بالغًا في زيارتي لمنطقة جازان، وحملني على أكفٍّ الراحة، وتنقَّل بي بين مزارع البُنِّ في الرَّيث، والداير، وجبال الحشر، ووادي دفا، وجبل طلّان، فوق ما أمدَّني به من معلومات قيِّمة عن ثقافة القهوة في منطقة جازان، وتسمياتها ووصفاتها المحليَّة، والشكر موصولٌ لأهل المنطقة الكرام من قبائل خولان، وأخصُّ منهم آل علي من بني مالك، الذي تكرموا بإطلاعي على بعض الوثائق التي تخصُّ سوق السبت في المنطقة، وأضافوني في مزرعتهم، وكذلك الأخ فرحان مانع المالكي، صاحب مزرعة آل مانع على حسن ضيافته، وكرم أخلاقه، وكذلك كل من تجشَّم عناء اللقيا من أهل جازان الكرام، على بُعد المسافة، ووعورة الطرق، لكنَّ الكرم غالب والجِبلَّة قاهرةٌ، وأحيل أمر إكرامهم إلى الله.

ماجد الأهدل

جدة

غرة ربيع الآخر - 1444 هـ

26 أكتوبر 2022

مقدِّمةٌ جليلةٌ في تاريخِ القهوة

ماجد بن عدنان الأهدل

بحثٌ في تاريخ القهوة العربيَّة:

هذه شذراتٌ في تاريخ السَّمراء التي أراق فيها الشُعراء قرائحهم، وأسال الأدباء مِداد يراعاتهم ليطوّقوا - زاعمين- شذاها الفوّاح، عن الشاذليّة التي يقعد لها البدو مقاعد للكيف، عن خمرة الصالحين ومُدام الواصلين. هنا رحلةٌ مختصرةٌ إلى قرقعة الفناجين الأولى، للمنابت الأولى لـ«حبّة محمدّ»، كما عبّر الإنجليز عنها يومًا

لحروب التحريم التي ذهب ضحيّتها عشّاق السمراء، وأرباب الكيف

إلى كوب القهوة الذي تشربه اليوم وغدًا، فإلى البُنِّ وشجرته.

شجرة البن:

هي شجرة حَرَجيَّة، دائمة الاخضرار، تنمو بارتفاعاتٍ مختلفةٍ بحسب منطقتها وبيئتها، تتراوح أطوالها عالميًّا من 3 أمتار حتى 9 أمتار، وقد تصلُ إلى 12 مترًا في البريَّة[1]، غير أنَّ معظم أشجار البن في الجزيرة العربيَّة لا يتجاوز طولها 4.5 – 6 أمتار، وبمتوسِّط 3 أمتار، وتضرب جذورها بعمق 3 أمتار في الأرض[2].

تُنتِجُ الفروع أزهارًا صغيرةً بيضاء طيِّبة الرائحة، يعتمد عددها وحجمها، على الطقس. تتحوَّل البذور في قواعد الزهور إلى ثمارٍ خضراء صغيرة، هي ما تُعرفُ لاحقًا بـ«كرزة البن»، وتنضج هذه الثمار في مدة تتراوح بين 30 – 35 أسبوعًا بعد تفتُّحِ الزُّهور، وتأخذ بالتغيُّر التدريجي من الأخضر إلى

---

(1) موريس، جوناثان، القهوة: تاريخ عالمي، ترجمة تحسين الخطيب، كلمة، دائرة الثقافة والسياحة - أبو ظبي، ط1، 1443هـ/ 2021م، ص21

(2) المجاهد، عبد الله محمد، أسس زراعة وإنتاج المحاصيل الحقلية في الأراضي اليمنية، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الأولى، 1400هـ/ 1980م، ص339؛ عن، السعدي، عباس فاضل، البن في اليمن: دراسة جغرافية، مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992، ص5.

الأصفر، حتى تصير حمراء قانية، وهذا الاحمرار المتناسق علامة نضجها التام، وجهوزها للحصاد.[1]

وتحتوي الثمرة (الكرزة) على بذرتين، هما حبوب البُنّ، يغطي كلَّ حبَّةٍ غشاء رقيق، يغلفهما لبٌّ حُلوٌ رقيقٌ، تحت القشرة الخارجيَّة للثمرة[2].

أماكن زراعة البن في الجزيرة العربيّة:

تُزرع القهوة اليوم في جزيرة العرب، في المرتفعات الجنوبيَّة الغربيَّة للجزيرة العربيَّة، وتشمل مناطق زراعة البن في الجزيرة العربيَّة: اليمن والسعوديَّة.

وقد كانت هناك محاولة لاستزراع البنّ في عمان في الثمانينات في محافظتي ظفار والجبل الأخضر الشَّماليَّة؛ لكنها لم يُكتب لها النجاح.

اليمن:

لعلَّ من أول الإشارات عن أوَّل الأماكن التي استُزرِعَ فيها البُنُّ في اليمن، ما جاء في منظومة «جلب الزبون في مدح البون» لحمزة بن عبد الله الناشري (ت 926 هـ)، جاء فيها:

ومنبتــه فــي بــرِّ زيلــعَ داخــلٌ إلى [بلد] الأُحبوش يُزرَعُ في الفلا[3]

نعــم أنبتــوه فــي تَعِــزَّ فأفلحــوا وحبًّا كبــنِّ الحُبْش[4] بـل كان أفضلا

---

(1) موريس، جوناثان، المرجع السابق، ص21.

(2) موريس، جوناثان، المرجع السابق، ص23.

(3) برُّ زيلع الصومال، وقد تُطلق على جزء من الحبشة، إذ لم تكن الحدود الدوليَّة واضحة مثل اليوم. الأحبوش: جمع للحبشيين، وربما يقصدُ جبل «الحَبوش» الأحبوش الجبل الموجود في مديرية خنفر في محافظة أبين اليمنية، أو ربما يقصد جبل حبشي بتعز. والأقرب أنه يقصد دخولها من نواحي زيلع إلى بلاد الحبشة، وهذا يحتاج لدليل.

(4) الحبْش والحُبشان: جنسٌ من السودان، وهو أهل الحبشة اليوم. ورويت الحُبش بالضم كثُرًا كذلك، في حديث عبد الله بن جابر في الصحيحين: «قدْ تُوُفِّيَ اليومَ رجُلٌ صالحٌ منَ الحَبَشِ، أَصْحَمَةُ..»، قال القسطلاني

كذا استنبتوه في زبيدَ فأنبتَ الـ ... غصونَ ولكن عن ثِمارٍ تَعطَّلا
لأنَّ زبيدًا والتهائم حَرُّها ... شديدٌ ولا ينمو الذي الحرَّ مصطلى
وينمو بحَزْنٍ[1] بارد كان بردُه ... إلى الإعتدال افهم كلامي معوِّلا

وفيها ذَكَرَ الناشريُّ أنَّ تعزَّ كانت من أوائل المناطق التي زُرع فيها البُنُّ، كذلك مدينة زبيد، لكن التجربة فشلت بحكم كون هذه المدينة سهليَّةً لا تتوفرُ فيها الظروف المناخيَّة المناسبة لزراعة البن.

وقد وردت إشارةٌ أخرى في كتاب «تلخيص البيان» لحسين أفندي هَزَارفن (ت 1089 هـ)، المؤرخ العثماني الذي مكث في اليمن أكثر من نصف عام، نقلها حاجي خليفة (ت 1063 هـ)، في كتابه «جهاننما» عن مكانِ أول استزراع للبن في اليمن: «يذكر حسين أفندي هَزَارفَن، أنَّ القهوة توجد في ناحيتين، إحداها في الجبال العظيمة لزبيد مقابل بيت الفقيه، التي يسمونها بأوصاب [وِصابِ]، والأخرى عند ناحية نهاري القريبة من جيزان. هذه الأماكن التي ذكرناها واقعةٌ على ظهر الجبل وهي أول أماكن زراعة القهوة»[2].

ويرى العلامة الشيخ مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ) أنَّ أوَّل مكانٍ استُزرِع فيه البن في اليمن، هو ثَنِيَّةُ ذَرْوان بمخلاف ريمة، التي بينها وبين زَبيد يومٌ وليلةٌ[3].

في إرشاد الساري (2/ 422): «ولأبي ذر، والأصيلي: من الحبش بضم المهملة وسكون الموحدة».

(1) والحَزْنُ: ما غَلُظ من الأرض في ارْتفاعٍ. (اللسان: حزن)

(2) حاجي خليفة، مصطفى كاتب جلبي، جهاننما: كتاب تاريخ العالم، دار الطباعة المعمورة بالقسطنطينية، بدون معلومات، ص336

(3) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني ، تحفة إخوان الزمن في حكم قهوة اليمن، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، رقم 5595، ورقة 3.

المملكة العربية السعوديّة:

لا توجدُ إشارة صريحةٌ في المراجع القديمة عن أوّل مكان استُزرع فيه البُنُّ في المملكة العربيَّة السعوديَّة. لكن الإشارة السابقة من كلام حسين أفندي فيها أنَّ البُنَّ يُزرع قريبًا من جيزان، ويُحتَملُ أن يكون قد زُرع في جبال جيزان في تلك الفترة، بداية القرن العاشر الهجري.

يُزرع البُنُّ في المملكة العربيَّة السعوديَّة في ثلاث مناطق رئيسيَّة: منطقة جازان، ومنطقة عسير، ومنطقة الباحة. وهناك محاولات لاستزراع البن في محافظة الطائف، بمنطقة مكة المكرمة، لكنَّها لم تُبدِ نجاحًا ملحوظًا.

تنتشر مزارع البُن في منطقة جازان في القطاع الجبلي الذي يشمل محافظة الداير، وفيفا، والرَّيث، والعَيدابي، وهَروب، والعارضة، ويبلغ عددها في جازان أكثر من 1985 مزرعة تحتوي على 340 ألف شجرة بن، وتنتج سنويًا نحو 1320 طنًّا من ثمار البن[1].

ويأتي بعدها، مزارع البن في المحافظات الجبلية بمنطقة عسير، والتي تتوزَّع بين منطقة ريدة، وجبال هادا في تهامة بللسمر من محافظة محايل[2]، ويبلغ إنتاج منطقة عسير من البن أكثر من 200 طن من ثمار البن[3].

ثم بعدها مزارع البن بمنطقة الباحة التي تنتشر في سفوح جبل شدا الأسفل، ويتميَّز بنُّ هذه المنطقة بجودته العالية وطعمه الفريد، ويسمى بـ«البن الشَّدوي» نسبة للجبل، وهو البنُّ الذي كان يفضِّله الملك عبد

(1) وكالة الأنباء السعودية، "398 ألف شجرة تنتج 1810 أطنان من «البن الخولاني» سنوياً بالمملكة"، الرياض 29 ربيع الآخر 1443 هـ الموافق 4 ديسمبر 2021.

(2) Al-Asmari, M. Khalid: Coffee Arabica in Saudi Arabia: An Overview, International Journal of Pharmaceutical and Phytopharmacological Research (eIJPPR) | August 2020 | Volume 10 | Issue 4 | Page 74

(3) وكالة الأنباء السعودية، المصدر السابق.

العزيز - رحمه الله - ويختاره من جميع أنواع البُـنِّ[1]، وهو إلى اليوم من الأصناف النادرة التي يصعب الحصول عليها.

سلطنة عمان:

بدأت وزارة الزراعة والثروة السمكيَّة بسلطنة عمان محاولة استزراع البُن عام 1980 في منطقتين:

- محافظة ظفار: حيث استزرعت شتلات من البن الدائري والعُديني المجلوب من اليمن في جبل قيرون حيرتي بمحافظة ظفار. كما جُرِّبت زراعة الصنفين في سهل صلالة لكنها لم تنجح، فاستُبدل الصنفان اليمنيان بصنف ماليزي عام 1989 وكان أكثر ملاءمةً لمناخ صلالة؛ لكن إنتاجه لم يرقَ للمأمول.

- محافظة الداخلية: وفيها جُرِّب استزراع الصنف الماليزي في سفوح الجبل الأخضر، ولكن النتائج تبدو أقل تشجيعًا منها في محافظة ظفار[2].

في أصل كلمة القهوة:

القهوة في الأصلِ اسمٌ للخمر، وردت كثيرًا بهذا في شعر الجاهليين، كقول الأعشى:

نازَعْتُهُـم قُضُـبَ الرَّيحـانِ مُتَّكِئًـا وقهـوةً مُـزَّةً راووقهـا خَضِـلُ[3]

---

(1) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران: نصوص، مشاهدات، انطباعات، منشورات دار اليمامة للترجمة والنشر - الرياض، الطبعة الأولى 1391 هـ/ 1971م، ص66

(2) العبري، حمد بن محسن بن زهران، القهوة رمز الضيافة العمانية، مطابع الباطنة - سلطنة عمان، 1417هـ/ 1997م، ص34، 35

(3) الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب - القاهرة، بدون تاريخ، ص59

سُمِّيت بذلك؛ لأنها تُقهي الإنسان. أي: تشبعه، وتذهب بشهوة الطعام[1].

وتدور معاني مادة (قها – قهى) حول: الإشباع كما مرَّ، وكراهة الطعام[2]، والتقلُّل منه، أو استقذاره مع اشتهائه[3]، وقد تعني القهوة اللبن الحلو، كما جاءت بمعنى طِيبِ الرَّائحة، قال في المحيط: وفلانةٌ طيِّبَةُ قهوةِ الفَمِ»[4].

ولعل الصاحب بن عبَّاد، صاحب المحيط، استفاد هذا المعنى من قول حسَّان بن ثابتٍ:

كأنَّ فاها قهوةٌ مُزَّةٌ حديثةُ العهدِ بفضِّ الخِتام[5]

والشواهدُ على ورود استعمال القهوة للخمر في الشعر الجاهلي، بله ما تلاه من العصور حتى القرن التاسع أكثر من أن تُحصى، فيُكتفى بما ذُكِرَ، فالمقام مقام إطنابٍ.

ثُمَّ انحرفت دلالة القهوة في الاستعمال من اسم للخمر، لتصبح دالَّة على مشروب البنِّ بإطلاق، حتى إن كثيرًا من القارئين ظنَّ القهوة متعاطاةً أيام الجاهليين؛ لأنه يجدها في أشعارهم. وما هي إلا الخمرةُ في أشعار المتقدمين، قبل أن تصبح اسمًا لمشروب البن زمان ظهوره في أواخر القرن الثامن الهجري، أوائل التاسع الهجري.

أمَّا أوَّلُ من أطلق اسم القهوة على مشروب البن فلا يُعلم على وجه التحديد، وإن وردتْ إشارة في موشَّحة لأبي الفتح محمد بن عبد السلام

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج4، ص64

(2) الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2001، ج6، ص182

(3) الأزهري، تهذيب اللغة (مرجع سابق)، ج6، ص182

(4) الصاحب، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م، ج4، ص14

(5) الأزهري، مرجع سابق (13/ 123) «مزز»

المالكي (ت 975 هـ) إلى أنَّ الشيخ أبا بكر العدني بن عبد الله العيدروس (ت 914 هـ) هو أوّل من أطلق اسم القهوة على مشروب البُنّ، قال:

من خِدرها العيدروس أبرزها
وللندامى الكِرام أبرزها
وبالمعاني الحسان طرَّزَها
وهيَّمَ[1] القومَ عندما وَضَعَا   لها اسمَ راحٍ[2] ونِعمَ ما صَنَعَا   فَضْلا[3]

وفي نسبة إطلاق اسم القهوة على مشروب البن للعيدروس نظرٌ، فقد ورد اسم القهوة في شعرٍ عن القهوة منسوبٍ للشيخ عليِّ بن عُمَر الشاذلي (ت 828 هـ)، قال:

قهوةُ البُنِّ يا أُهيلَ الغرام   ساعدتني على طرد المنامْ
وأعانتني بعون اللهْ على   طاعة الله والعوالم نِيامْ
قافها قُوة، والهاءُ هدى   واوها الوُدُّ والهاءُ هيامْ
لا تلمني على شربي لها   إنّها شُربٌ لساداتٍ كِرامْ[4]

وقد توفيَّ الشيخ عليُّ بن عمرَ الشاذليُّ عام 828 هـ أي قبل ولادة الشيخ أبي بكر العدني بن عبد الله العيدروس، المولود سنة 851 هـ بثلاثة وعشرين عامًا. وعليه فلا يُعلم على وجه الدِّقة أوّلُ من أطلق على مشروب البُنِّ اسم القهوة.

وهناك من يعتقدُ أنَّ اشتقاق كلمة قهوة الدالة على مشروب البُن، من

(1) هيَّم: فعل متعدٍ من الهيام، وهو الجنون، والدُّوار، وجعلوه من درجات الحُبّ.
(2) الرَّاح: الخمر، والقهوة كذلك اسم من أسماء الخمر، صار اسماً لقهوة البُنّ، لا ينصرف الذهن لغيرها.
(3) الطالوي، درويش، سانحات دمى القصر (124/1)
(4) العيدروس، عبد القادر بن شيخ، الزهر الباسم من روض الأستاذ حاتم الأهدل، مخطوط بالمكتبة البريطانية - لندن، رقم 10 lot 683، 273

كلمة (كافا = Kaffa)، وهي اسم بلدة في جنوب إثيوبيا، تشتهر بزراعة البن[1]، وقد احتفى بهذا الرأي عددٌ من الكتَّاب الأجانب، وتداولوه، على عوزه للدليل.

وقد أفردَ وليام أوكرز، في كتابه الرائد عن القهوة، فصلًا يؤثّلُ فيه أسماء القهوة في مختلفة اللغات الأوروبيّة ولهجاتها، ليعيدها إلى أصلها العربي «قهوة» مرورًا بنطقها التركي «كهفه - Kahve». ثمَّ أورد رأيَ المعجمي الاسكوتلندي الكبير جيمس موري، المشارك في كتابة معجم أوكسفورد الحديث حول هذا الرأي السابق، إذ قال: "يقترح البعض أن كلمة (قهوة) كلمة أجنبيَّة، أفريقيّة تحديدًا، تطوَّرت عن اسم (كافا – Kaffa)، وهي بلدة في شيوا، جنوب غربيِّ الحبشة، والتي يُشاع أنها الموطن الأصلي لنبتة البُن، غير أنَّ هذا لا دليل عليه، فضلًا عن أن اسم (قهوة) لا يطلق هناك على الشجرة أو كرزات البُن، والتي تُسمَّى في منطقة كافا (بُنّ – Būn)"[2].

وهذا يفتح لنا سؤالًا جديدًا حول أصل كلمة البُن، المتَّخذة اسمًا لحبوب القهوة، فهل هي كلمة عربيَّةُ الأصل؟ أم حبشيَّة؟ وهل لها وجود في التراث العربي القديم؟

في أصلِ كلمةِ البُنِّ:

تُطلَق كلمةُ البُنّ - بضمّ الباء- على حبوب القهوة، وقد تُنطق في بعض البوادي والأرياف في الجزيرة العربيَّة والشام بفتح الباء (بَنّ)[3]. فهل وردت

(1) [illegible] الزابيث، تاريخ القهوة العربيَّة، مجلة الفيصل، العدد الرابع - السنة الأولى، شوال 1397 هـ/ سبتمبر 1977م، ص 121.
(2) UKERS, WILLIAM H.: All about coffee, 1st edition, New York, The Tea and Trade Journal Company (1922), p13.
(3) [illegible]، القهوة في الموروث والأدب الشعبي، دار بيسان - بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1995م، ص 15.

هذه الكلمة في المعاجم دالةً على البُنّ الذي نعرفه اليوم؟

عند بحث مادة (بنن) في المعاجم العربيّة، نجد لها صورةً بفتح الباء، وأخرى بالضَّم. جاء في اللسان مادة (بنن): البَنَّة: الريح الطيِّبة كرائحة التُّفّاح ونحوها والبَنَّة: الريح الطيِّبة، قال: وقد يُطلق على المكروهة والبَنَّة: ريحُ مَرابِضِ الغنم والظباء والبقر، وربما سميت مرابضُ الغنم بَنَّةً.

ومن هذه القاعدة انطلق أحد الباحثين لإثبات أنَّ النُّطق الريفيَّ لكلمة البن بفتح الباء هو الأصوب؛ لسلامة لغةِ أهلِ البوادي، وقربها من النطق الصحيح للعربيَّة، يقول: «نميل إلى الاعتقاد بأنَّ كلمة «بَنّ» أطلقت على ثمر الشجرة التي حملت اسمه؛ لتراكم حبَّاته الصغيرة بين القَشّ والتُّراب أيام كان مُهملًا في البرِّ، وصدورِ «بَنَّةٍ» عنه بفعل المطر، تُذكِّرُ ببَنَّة الكِناس الظليل، إلى جانب أنَّ كرزة البُنِّ «أي ثمرته» بعد نضوجِها تسوادُّ؛ فتصبح قريبة الشَّبه بلونها وشكلها إلى بعر الأرآم، والمعز، وكلها من المشاهدات اليوميَّة للإنسان العربيِّ، في تلك المناطق، تلك الأيام، مما يسهِّل استحضار الصور والأسماء، وإطلاق بعضها على بعضها الآخر أحيانًا على سبيل المجاز

ونرجِّح أنَّ الرعاة الذين يتمتَّع كثيرٌ منهم بالرَّويَّة والحكمة، ودقَّة الملاحظة فيما يتعلَّق بالطبيعة ومظاهرها، هم وراء هذه التسمية، قبل أن يُعرَفَ المشروب بزمنٍ طويل»[1].

وعلى أنَّ هذه المحاولة الجادَّة لتأثيل مفردة البُنّ - مع فقر المراجع العربيَّة عن أيِّ مادةٍ رصينة حول أصل البنِّ - إبداعٌ بلا شكٍّ إلا أنَّ النَّظر المتمهِّل إليها يبرز مواطن الضعف فيها، ويعدُّها قفزةً جسورة على كثيرٍ من الحقائق.

فافتراض أنَّ أهل البادية والأرياف اليوم أسلم لغةً، افتراضٌ سليمٌ في

(1) البكر، مرجع سابق، ص18

المجمل، لكنَّ التعامل معه ينبغي أن يكون بحذرٍ وحرصٍ، فهو ليس على إطلاقه ما لم يُتثبَّت أولًا من كون اللفظِ المراد دراسته عربيًّا في الأصل.

فحتَّى يتقوَّم افتراض أن الرعاة العرب قد شاهدوا البُنَّ في مناطق رعيهم قبل أن يُستخدمَ البن مشروبًا بزمنٍ طويلٍ، ينبغي أن يتقوَّم أوَّلًا افتراض أنَّ البنَّ نبتةٌ عربيَّة المنشأ، ثمَّ أن تكون في مناطق مراعي هؤلاء الرعاة التي لا نعلم أكانت جبالًا أم صحاري، وكلّ هذا يصعب التدليل عليه، بل هو خلاف الراجح.

ثمَّ لو كان الأمر كما خلص إليه الباحث، لكنَّا وجدنا إشارة إلى هذا النُّطق في زمان ظهورِ البُنِّ واستعماله في القرن التاسع الهجري، سيَّما وأنَّ مكتشفي البُنِّ ومستخدميه كانوا من أهل العلمِ والتَّصوُّف، ولهم آثارٌ موروثةٌ، وآداب مكتوبة، فهل سنجدُ في آثارهم ما يدلّ على أنَّ البن يُنطقُ بالفتح؟

الحاصلُ أنَّ الموجود خلافُ ذلك، فقد وجدتُ على طُرَّة مخطوط «صفوة الصفوة» لعبد القادر بن شيخ العيدروس (ت 1061هـ): «البُون لغةٌ في البُـنّ، وكان اسمه في الأصل كذلك، ثم حُذفت الواو منه؛ لكثرة الاستعمال، وإيثار التخفيف، حتى صار يُنسَب من يسميه كذلك إلى الشذوذ، والأولى موافقة الناس في اصطلاحهم، إلا لضرورة، كما وقع هنا، وقد وقع مثل هذا للعلامة حمزة بن عبد الله الناشري الزبيدي، فإن له رحمه الله فيه قصيدة عظيمة، واسمها: (جلب الزبون في مدح البون)، فليُعلم»[1].

فإن علمتَ أنَّ العلامة حمزة الناشري سمَّى منظومته «جلب الزبون في مدح البون» فإنَّه أراد البُنَّ بالضَّم، والإشباع بالواو زيادة في إثبات الضمِّ، ورسالته هذه من أوائل ما أُلِّفَ في أدبِ القهوة والبُن، فهو ينقلُ فيها عن أئمة

(1) نسخة مركز النور للدراسات والأبحاث بتريم، بدون رقم.

ماتوا قبل انقضاء القرن التاسع الهجري.

وكذا تابعه العلامة علوان الحموي في رسالته «السّر المكنون في مدح البون».

وقد وردتْ لفظة «البن» بالضّم في «الصحاح»، قال في مادة (بنن): «وأما البُنُّ، الذي يؤتدم به فمعرَّب»[1].

كما وردت كلمة البنّ في بعض النصوص القديمة، دالةً على نوعٍ من الطَّعام، يؤتدم به، عرفته العرب قديمًا.

جاء في نصٍّ للقاضي أبي يوسف الأنصاري (ت 182 هـ)، صاحب الإمام أبي حنيفة - رضي الله عنهم-: «طلبْنا هذا العلمَ، وطَلَبَه معنا من لا نحصيه كثرة، فما انتفع به مِنا إلا من دَبَغَ البُـنُّ قَلْبَه، وذلك أنَّ أبا العباس لما أُفضي إليه الأمر، بُعِثَ إلى المدينة فأقدمَ عليه عامة من كان فيها من أهل العلم، فكان أهلُنا يُعِدُّونَ لنا خُبزًا يلطخونه لنا بالبُـنِّ، فنعدو في طلب العلم، ثم نرجع إلى ذلك فنأكله، فأما مِن كان ينتظر أن تُصنع له هريسةٌ أو عصيدةٌ فكان ذلك يشغله حتى يفوته كلُّ ما كنا نحن ندركه»[2].

وفي نفس السياق، سياقِ الحثِّ على التخفُّف من الطعام، واغتنام الأوقات، وردت كلمة البُـنّ في نصٍّ للإمام أبي الحسن الشيباني (ت 189 هـ) يقول: «لا يفلح في هذا الأمر إلا من أحرق البن قلبه»[3].

فالظاهرُ أنَّ البُنَّ المقصود هنا، طعامٌ مالحٌ خفيفٌ، أقربُ للكوامخ، يؤتدمُ به، وكان طلبة العلم - كما مرَّ - يفضّلونه لخفَّته، وتأخُّرِ فساده مع الوقت.

---

(1) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة، 1407هـ/ 1987م، ج5، ص2081

(2) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994هـ ج1، ص411

(3) ابن عبد البر، مرجع سابق (1/412)

وهو طعامٌ مطيِّبٌ لنكهةِ الفمِّ كذلك؛ فقد كان يصفُه النخَّاسون لعبيدهم وإمائهم بعدَ الطَّعام؛ حتى تطيب أفواههم؛ فيغترَّ بهم المشتري.

جاء في رسالة «شراء العبيد وتقليب الرقيق» لابن بطلان البغدادي (ت 458 هـ) في سياق وصفه لحِيَل النخَّاسين في ترويج الإماء والعبيد للمشتري: «وأما ما يطيِّبُ الفم: مضغُ العود الرَّطبِ، والكُسفرة، والفوفل

وأكلُ البُنِّ بعد الطعام، وقبلَ الصَّحناء[1]»[2]

أمَّا صِفةُ هذا البُـنِّ الذي عرفته العربُ قبل اكتشاف القهوة، فذكره ابنُ جزلة (ت 493 هـ) في معجمه: «بُنٌّ: يُتَّخَذُ كاتِّخاذ الـمُرِّي، إلا أنَّه أقلُّ مِلحًا، وأبازيره مدقوقةٌ منخولةٌ.

فإذا دُبِّرَ على ما سنشرح في تدبير الـمُرِّي[3] حتى تَشتَدَّ حمرته في الشمس، جُعلَ في بَرنيَّة[4] خضراء، وطُرِح عليه من الماء ما يجعله كالرَّهش الرقيق، ويضربه في كل يوم غدوة وعشية حتى يحمرَّ.

وهو حارٌّ يابسٌ، ينفع المبلغِمين والمستسقين، ويضرُّ بأصحاب الأمزجة الحارَّة، ويصلحه الشيرج، والكُثيراء، وماء الليمون جدًّا»[5].

(1) وجبة تُتَّخذ من السمك الصغير.

(2) البغدادي، أبو الحسن البغدادي المتطبب، رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد، هارون، عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة، الطبعة الثانية، 1393هـ/ 1979م، ج1، ص 382

(3) المُرِّي: طعامٌ مالحٌ جِدًّا يؤتَدَمُ به. يُنطَقُ بالشَّدة على الراء، ويخفَّف. وقد روي أنَّ أبا الدرداء رضي الله عنه كان يأكله.

(4) البرنيَّة: إناء من الفخار.

(5) ابن جزلة، يحيى بن عيسى البغدادي، مهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، رقم 5584، ق4

وقفةٌ مع أُغلوطة: هل ذكر الرازي وابن سينا البُنَّ في كتبهم؟

يروج في كتابات المؤرخين للقهوة من العرب والغربيين، أنَّ أوَّل ذكرٍ للبن في المصادر العربيَّة كان في كتب الرازي (ت 320 هـ)، وابن سينا (ت 428 هـ)، ولعل منشأ هذا الرأي، هو كلام ليونارد راولف، الرحالة والطبيب الهولندي الذي ارتحل للشرق في عام 980هـ/ 1573م، حين زار حلب، فقد كتب في رحلته: «من بين الأشربة التي يتعاطونها في هذه البلاد، شرابٌ حَسَنٌ جدًّا يسمونه (قهوة)، أسود اللون، كالجير تمامًا

وهم يضعون في هذا الماء ثمرةً يدعونها (البن)، هي في حجمها وشكلها ولونها تشبه ثمرة التوت، ولها قشرتان رقيقتان تحيطان بها

وحيث إن كلَّ ثمرةٍ من هذه تحوي حبتين صفراوين، ذات قشرتين مميزتين لها؛ فإنها في شكلها وصفتها، تتطابق مع الثمرة التي ذكرها ابن سينا باسم (بانتشو)، والرازي باسم (بانتشا)، ولذلك أعتبرها واحدةً إلى أن أطَّلعَ على حقيقة أمر العارفين بها»[1].

وعلى أنَّ راولف لم يجزم في كلامه السابق أنَّ البنَّ هو البنك أو البنج (الذي ورد عند ابن سينا والرازي)، إلا أنَّ كثيرًا من الكتاب الغربيين يتعامل مع هذا الرأي على أنَّه مسلَّمٌ، متعاشين عن تردُّد راولف في الجزم، وربما انساق وراءهم عددٌ من الكتاب العرب[2].

لكننا نجدُ إشارة للبُن (القهوة) في كتاب الماء المنسوب لأبي محمد عبد الله بن محمد الصَّحاري الأزدي (ت 456 هـ) نقلًا عن ابن سينا، قال

(1) راولف، ليونارد، رحلة إلى المشرق، ترجمة سليم طه التكريتي، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية - بغداد، الطبعة الأولى، 1978م، ص81

(2) روزي، عبد الغفور إسماعيل: "تاريخ التأليف في في القهوة: محاولة رصد"، عالم الكتب، المجلد 25، العدد المزدوج 4-3 (سنة 1424- 1425هـ/ 2044م)، ص 205 - 206

في مادة (بنن): «البُنُّ بالضَّمِّ: حبٌّ معروفٌ، أصله من اليمن، تُتَّخذُ منه القهوة. وقد سألتُ شيخنا العلامة الأجلّ ابن سينا عن ماهيَّة القهوة، وطبعها ومضارِّها، ومنافعها، فأجاب:

القهوة كغيرها من الأدوية، لها نفعٌ في بعضِ الأحوال.

أمَّا طبعها في الكيْفيَّتين الفاعلتين – أعني الحرارة والبرودة –، فالظاهِرُ أنها معتدلةٌ وتميلُ إلى البردِ قليلًا، ولا يبعُدُ أن تكون مركَّبةَ القوى، وأن يكون بها جزءٌ حارٌّ، به يكون الهضم ونحوه من أفعالها، فإنَّ كثيرًا من الأدوية كذلك.

وأمَّا في الكيفيَّتين المنفعلتين – أعني الرطوبة واليبوسة – فتجدها مائلةً إلى اليُبسِ؛ لأنَّا نجدُها تجفِّفُ الأبدان وتغيِّرُ الأمزجة، وأما القدر النافع منها فهو يختلفُ بحسب مزاج مستعملها. وأما كون الإكثار منها مضرًّا؛ فكلُّ كثرةٍ عدوٌّ للطبيعة.

ولا شكَّ أنَّ الإكثار منها مضرٌّ، خصوصًا بذوي الأمزجة اليابسةِ.

ولا يبعدُ تأثيرها في الباه قوَّةً وضعفًا بحسبِ الأمزجة. والقهوة معينةٌ على الهضم بعد الطعام، نافعةٌ بشرطِ أن لا تبلغ إلى حدٍّ ينفِّذُ الغذاء على فجاجته. وأولى ما استُعملت القهوة بعد أخذ الغذاء في حالة الانهضام. وأما على الجوع فمجفِّفةٌ؛ ولذا تنفع أصحاب الأمزجة الباردة والرَّطبةِ وتضرُّ المهزولين، ويابسي الدِّماغ. واستعمالها فاترةً أولى؛ لأنها تكون ألذَّ طعمًا وأقوى على النفوذ، ولا يبعد أن يُضاف إليها شيءٌ من السُّكَّر أو العسل لباردي المزاج، يُعين ذلك على نفوذها»[1].

قد يبدو الكلام السابق المنقول عن ابن سينا إشارةً عزيزةً، وفتحًا كبيرًا

---

(1) الأزدي، أبو محمد عبد الله بن محمد الصحاري، كتاب الماء، تحقيق: د. هادي حسن حمودي، وزارة التراث والثقافة – عمان، الطبعة الثانية، 1436هـ/ 2015م، ج1، ص 250-249

في بحث القهوة، فإذا كان الشيخ ابن سينا (ت 428 هـ) قد عرفَ القهوة، ووقف على خواصِّها في القرن الخامس الهجري، ثمَّ نسبها إلى اليمن، فهذا دليلٌ على وجودِ البُنِّ في اليمن في زمن أبعد مما تذهب إليه معظم الدراسات التاريخية أنه مكتشفٌ في أوائل القرن التاسع الهجري، وسيغيِّر هذا الفتح مجرى البحوث اللاحقة.

لكنَّ النَّص المنقول الذي يُزعم أنَّ الصحاريَّ نقله عن ابن سينا، ما هو إلا نصٌّ للحكيم بدر الدين محمد بن محمد القوصوني (ت 931 هـ) من رسالته «جوابُ سؤال عن القهوة»[1] منقولٌ بحروفه، وهذا - وغيره من الشواهد - جعل بعض الباحثين يشكُّ في نسبةِ كتاب الماء من الأساس لأبي محمد الصحاري[2].

بعد هذا كله، هل ذكر الرازي وابن سينا البُنَّ أو القهوة في كتبهم؟

نعم، ذكر الرازي البنَّ في أحد كتبه، قال في رسالة (منافع الأغذية ودفع مضارِّها): «وأمَّا البُـنُّ فمُسخِّنٌ أيضًا، مُلهِبٌ مُعطِشٌ، ولا سيَّما إن أُكِلَ بالصَّعتر والزَّيت؛ لأنه يجلو المعدة من بلاغمها، ويفتِّقُ شهوة الطعام ويكسر إعطاشَه استعمالُ الخلِّ بعده»[3].

ولكنَّ البُنَّ الذي ذكره الرازي، ليس بُنَّ القهوة الذي نقصده اليوم،

---

(1) منها نسخة بمركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلاميَّة، برقم 1-11343

(2) أشار لهذا المأزق الدكتور لطف الله قاري، في بحثه «من المصادر المبكرة لتاريخ القهوة عند العرب» المنشور بمجلة عالم الكتب، مجلد 27، العدد 2-1 (رجب - شعبان/ رمضان شوال 1426 هـ)، ص120.؛ وانظر لمناقشة الكتاب: أوغلي، حسان فلاح «كتاب الماء: معجم طبي لغوي،»، مجلة التراث العربي، مجلد 20، العدد 78 يناير سنة 2000م، ص111.

(3) الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، منافع الأغذية ودفع مضارِّها، المطبعة الخيرية بمصر، الطبعة الأولى، 1305هـ ص32

فالغالب على الظَّنِّ أنه لا يعدو أن يكون البُنُّ = الكامخ الذي يؤتَدَمُ به، وسبق وصفه في رسالة ابن جزلة. ولعل هذا الالتباس اللغوي هو ما جعل بعض الكتَّاب يزعم أنَّ البُنَّ كان معروفًا ببلاد فارس سنة 261هـ![1]

وقد نُسِبَ لهذا البُنِّ – المتقدِّم – أئمةٌ علماء، منهم أبو هارون موسى بن زياد البُنِّي الكوفي، جاء في (الأنساب) للسمعاني: « البُنِّي: بضم الباء الموحدة وفي آخرها النون المشددة، هذه النسبة إلى البن وهو شيء من الكوامخ، والمشهور بهذه النسبة؛ أبو هارون موسى بن زياد البني الكوفي من أهل الكوفة..»[2]، ونُسبَ للبُنِّ كذلك المحدِّثان: أبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد الأسدي الدمشقي المعروف بـ«ابن البن»، وحفيده الحسن بن علي بن الحسين بن الحسن بن محمد بن البن[3].

أمَّا القهوة المذكورة في كتب الرازي، وابن سينا، فهي الخمر، وورد ذكرها في كتاب (منافع الأغذية ودفعِ مضارِّها)[4] للرَّازي، وفي عدة مواضع من كتاب (القانون في الطِّب)[5] لابن سينا.

والخلاصةُ، أنَّ البُن الذي نتعارف عليه اليوم لم يُكن معروفًا بمعنى القهوة قبل اكتشاف القهوة نهاية القرن الثامن الهجري، بداية التاسع

(1) القاسمي، جمال الدين ، رسالة في الشاي والقهوة والدخان، طبعت ببيروت سنة 1322هـ ص115 عن! الرشيدي، السيد أحمد، عمدة المحتاج في علمي الأدوية والعلاج، مطبعة بولاق – القاهرة، 1282هـ ج2، ص342. وانظر كذلك: جاويش، سليمان خليل بطرس، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينيَّة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، 2012م، ص70.

(2) السمعاني، عبد الكريم بن منصور بن محمد التميمي، كتاب الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الطبعة: الأولى، 1382 هـ – 1962 م، ج2، ص343

(3) ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، تكملة الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي؛ ومحمد صالح المراد، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1408هـ ج1، ص331

(4) الرازي، منافع الأغذية (مرجع سابق)،ص17

(5) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 1999م، (685/ 1)، و(719/ 1)، و(475/ 3).

الهجري، بل كان البُـنُّ يُطلق قبل ذلك على نوعٍ من الكوامخ التي كانت تأكلها العرب. والقهوة التي نشربها اليوم ليست هي القهوة الموصوفة في كتب الطِّب، وأشعار الجاهليين ومن بعدهم، فهي عندهم الخمرُ.

وبعد التفصيل في معنى القهوة والبنِّ، نتساءل عن موطن نشأته الأولى، وعن أوَّل من زرعه واكتشف خواصَّه.

أوّلُ ظهورِ القهوةِ، وموطنُها الأصلي:

ليسِ من السهل الجزمُ بموطنٍ أوَّلٍ - غيرِ مختلفٍ فيه - لشجرة القهوة، وإن كان جلُّ المؤرخين والباحثين في حقل التاريخ ممن بحث موضوعة القهوة؛ قد استراح إلى أنَّ الحبشةَ هي موطنُ الشجرة البريَّة الأولى للقهوة[1]، وربما جعل بعضهم هضبة بوما في السودان، هي الموطن الأوَّل للقهوة البريَّة[2]، أو جبل مارسابيت في كينيا[3]، قبل أن تنتقل إلى اليمن وتُستأنسَ، وقد بات هذا الرأي مسلَّما به لعقودٍ، وهو الرأي الذي تتبنَّاه معظم مجامع القهوة العالميَّة.

وقد استند القائلون بهذا الرأي في البداية إلى آراء المؤرخين من الرَّحالات، وربما تجد إشاراتٍ لهذا الرأي عند بعضُ العلماء المسلمين في القرن التاسع والعاشر الهجري، وقد دُعِّمت بعضُ هذه الآراء بالبحث الجيني للأشجار البريَّة المعمرة في تلك المناطق.

غير أنَّ أصواتًا عربيَّة، وأخرى غربيَّة، لا تستبعدُ كون اليمن الموطنَ الأصليَّ لشجرة البُنِّ، بناءً على نتائج ما توصَّلت له بعثة استطلاعيَّةٌ تابعةٌ

(1) Sylvain PG (1955) Some observations on Coffea arabica L. in Ethiopia. Turrialba 5:37–53
(2) Thomas AS (1942) The wild arabica coffee on the Boma Plateau, Anglo-Egyptian Sudan. Emp Exp Agric 10:207–212
(3) Anthony F, Berthaud J, Guillaumet JL, Lourd M (1987) Collecting wild Coffea species in Kenya and Tanzania. Plant Genet Resour News1 69:23–29

لمنظمة الغذاء والزراعة الدوليَّة أثناء دراستها لأشجار البن في الحبشة عام 1964؛ بسبب التلف الذي أصاب معظم الغابات الحبشيَّة، وكون أشجار البن في اليمن متكيِّفةً مع الظروف البيئيَّة السائدة في اليمن[1].

لكن الذي لا خلاف فيه أنَّ لليمن والعرب فضلَ اكتشاف مشروب القهوة، واستئناس شجرتها، وأبوَّةِ هذه الشجرة لمعظم الأشجار المنتجة للبن في معظم دول زراعة القهوة اليوم[2]. فأوَّلُ استزراعٍ محكيٍّ لشجرة البنِّ خارج الجزيرة العربيَّة كان في الهِنِد، على يد «الحاج بابا بودان» الذي هرَّب بضع بذرات من البنِّ، واستزرعها في منطقة تشيكامَغْلور في جبال ميسور جنوب الهند.

ثمَّ تلا ذلك تهريب الهولنديين لشتلة بُن من المخا إلى أمستردام سنة 1025هـ/ 1616م، وكانت أوّل محاولات الهولنديين لاستزراع البن في جزيرة سيلان (سيريلانكا اليوم) عام 1067هـ/ 1658م، ثمَّ حاول الفرنسيون زراعة البُن 1081 هـ/ 1670م في ديجون على أراضي فرنسا، لكنَّ المحاولة فشلت، وفي عام 1107 هـ/ 1696م، استزرع الهولنديُّون البن في جزيرة جاوا الإندونيسيَّة من بذور البن المجلوب من مليار الهند، المجلوب بدوره من اليمن، وبعدها بسنوات قليلة، تحديدًا عام 1118 هـ/ 1706م، جلب الهولنديون شتلات من شجر البن المستزرع في جاوا ليحتفظوا بها في حديقة أمستردام النباتيَّة، والتي كانت بدورها محطة توزيع للبذور والشتلات في عموم أوروبا، وبينما كان الهولنديُّون يواصلون توسُّعهم في زراعة البن في مستعمراتهم، كان الفرنسيُّون يقومون بجهدٍ موازٍ لاستزراع البُن، ففي عام 1126 هـ/ 1714م، وبعد مفاوضات مع الهولنديين، نجح

---

(1) السعدي، مرجع سابق، ص13.

(2) الكلام في الفقرة القادمة مختصَر من كتاب ويليام أوكرز "كل ما هنالك عن القهوة"،
UKERS, WILLIAM H.: All about coffee, 1st edition, New York, The Tea and Trade Journal Company (1922).

الفرنسيون بأخذ شتلة نامية من حديقة أمستردام، لتُستقبل بالاحتفالات في حديقة باريس الوطنيَّة، وكانت هذه الشتلة النامية أُمًّا لمعظم أشجار البن في المستعمرات الفرنسيَّة، في أمريكا الوسطى، والجنوبيَّة، والمكسيك، التي كانت بدايتها جميعًا في المستعمرة الفرنسيَّة في جزيرة مارتينيك (إحدى جُزر الأنتيل الصغرى) عام 1135 هـ/ 1723م، على يد ضابط البحرية الفرنسي جابريل ماثيو دي ليو، ولم يأت عام 1191 هـ/ 1777م، حتى بلغ عدد أشجار البن في المارتينيك أكثر من 18 مليون شجرة.

أما البرازيل، التي تُعدُّ اليوم أكبر بلد منتج للبن، فقد بدأت زراعة البن فيها سنة 1168 هـ/ 1755، أيام الاستعمار البرتغالي لها، وسرعان ما انتشر خبر أنَّ تربة البرازيل صالحة لزراعة البن، فتظافرت جهود البرتغاليين لاستنبات البن على مساحاتٍ واسعةٍ فيها، ومعظم البُنّ الذي فيها مجلوبٌ من مستعمرات فرنسا، المجلوب بدوره من مستعمرات هولندا التي أخذت شجرته الأولى من اليمن[1].

يوقفنا البحث عن أصل شجرة البن واكتشافها على أساطير لا يمكنُ الحجاج بها عن الموطن الأصلي للقهوة، وهذي الأساطير في مجملها رواياتٌ يتقارب فيها المكان، ويتباعد الزمان، ومع كونها في الغالب أساطيرَ من صنعِ الخيال إلا أنها تكشفُ بطريقة أو بأخرى وجهًا من الوجوه الثقافية للقهوة، وطَرفًا من عمل المخيّلة في صناعة البُهرج الثقافي لها منذ يومها الأوّل على كوكبنا.

وعند فحص هذه الروايات التاريخيَّة المتعلقة بنشأة القهوة، نجد أنَّها تأخذُ اتجاهين أساسيَّين[2]:

---

(1) بتصرُّفٍ واختصارٍ من كتاب:
UKERS, WILLIAM H.: All about coffee, 1st edition, New York, The Tea and Trade Journal Company (1922), p 5-9

(2) استفدتُ هذا التقسيم من الدكتور عبد الودود قاسم مقشر: "نشأة القهوة العربية وانتشار زراعة البن في اليمن ما بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر الميلادي"، مجلة كلية التربية جامعة الحديدة، أبحاث العدد (6)، شوال 1437 هـ/ يونيو 2016م، ص252، وقد ألمح إلى هذا التقسيم كذلك الدكتور سعيد السريحي في كتابه

الأوَّل، أسطوري، تأخذُ فيه الملائكة والجِنُّ والشخوص النبويَّة عصا السَّبق في اكتشاف مشروب القهوة، والآخر عقلاني، تحلُّ فيه شخصيَّات الأولياء والفقهاء والحيوانات، محلَّ الملائكة والأنبياء والجِنِّ في اكتشاف هذا المشروب.

ونمسك من هنا خيطًا يمكن تتبّعه؛ إذ لا تضرب هذه الروايات في جذور التاريخ بعيدًا جدًّا بحيث لا يمكن التحقّق من صدقها، بل هي لأناس معروفين، يقتربُ عصرهم من عصرنا، ولهم مآثر مرويَّة، وذراري معروفةٌ.

رواياتُ نشأة القهوة وموطنها:

1 – أنَّها من الجنَّة:

أمّا أوَّل وأقدمُ موطنٍ مزعومٍ للقهوة فهو الجنَّة، فقد نقل العلامة علوان الحموي (ت 936 هـ) ، في رسالته: «السرُّ المكنون في مدح البون» عن الشيخ العارف بالله أبي القاسم الجُنيد المُشرِّع (ت 917 هـ) في فضائل البُنِّ: «أنها شجرة في الجنَّة غرسها سبعون ألف مَلَكٍ، تسمى شجرة السلوان. فلما أَهبَطَ الله آدم – عليه السلام– هبط بها معه من الجنة؛ للسلوان عن ما كان عليه من النعيم المقيم الدائم، ورماها في هذه الأرض، وهي زَيْلَع والحبشة»[1].

وقد أخذَ هذا الرأيَ العلامة نور الدين الأجهوريُّ (ت 1066هـ) في رسالته: «مقدمة في فضل البن»[2] عن الشيخ علوان السابق ذكره، وأشاعه، فتناقله من بعده تلامذته، فقد جاء في منظومة «تحفة الإخوان باستعمال

«غواية الاسم: سيرة القهوة وخطاب التحريم»، ص20.

(1) الحموي، علوان بن عطية بن الحسن، السر المكنون في مدح البون، مخطوط بالمكتبة الظاهرية – دمشق، رقم: 27/ 6919، ق2

(2) الأجهوري، نور الدين علي بن محمد، مقدمة في فضل البن، مخطوطة في دار الكتب المصرية 73 مجاميع، ق49.

القهوة والدُّخان»[1] لسليمان بن عمر البسيوني الشافعي[2]:

يجوز شُرب القهوةِ المشتهرةْ ... لِمـا رَوَى أئمـةٌ معتبـرةْ
بـأنَّ أصلهـا مـن الجِنـانِ ... تُسْمَى لديهم شجرةَ السُّلوانِ
قـد أُهبطـت مـعْ آدمٍ لمَّـا نَـزَلْ ... وهكـذا شيخُ مشايخي نَقَـلْ[3]
غرسـها سـبعونَ ألـفَ مَلَـكِ ... كمـا رُوي عـن الجنيـد[4] وحُكي

وكذلك نقل هذا الرأيَ الأديبُ محمد القمحاوي المصري (من أهل القرن الثاني عشر تغليبًا)، في رسالته «نزهة الإخوان في القهوة والدخان»[5]:

وعنـد أهـل الخُلـدِ فـي الجنـان ... قالـوا: تُسـمى شـجرة السُّـلوان
ونزلـتْ مـعْ آدمٍ أبـي البشـر ... رواه شـيخنا البـراوِيْ[6] وانتشـرْ
سـبعون ألـفَ مَلَـكٍ قـد اعتنـى ... بغرسـها وذا بشـأنها اعْتِنـا[7]

نرى في الروايات السابقة أنّها من الجنّة، وأُهبطت للأرض مع آدم – عليه السلام– حين أُهبط؛ لتسليته.

---

(1) الرسالة من مجموع مخطوط بجامعة أمّ القرى، رقم 21267-3، سقطت منه ورقة كاملة، استدركتها من مصوَّرة مركز جمعة الماجد برقم: 658602، لنفس المخطوط، وأشكر لهم سرعة إجابتهم، وجزيل تعاونهم.

(2) سليمان بن يوسف بن عمر البسيوني الشافعي المُزَني: فقيه شافعي، وفاضل من أهل القرن الثاني عشر تغليبًا، ولم أقف له على ترجمة في ما بين يدي من المصادر.

(3) في حاشية المخطوط: هو العلامة الأجهوري، رحمه الله.

(4) يقصد أبا القاسم الجنيد أحمد بن موسى المشرّع اليمني، الشيخ الصالح، توفي بمكة مجاورًا سنة 917هـ. انظر: النور السافر (91).

(5) نزهة الإخوان في القهوة والدخان» لمحمد القمحاوي، نسخة مخطوط مكتبة جوته، رقم Ms. orient. A 2105، ورقة 16.

(6) الشيخ عيسى بن أحمد بن عيسى بن محمد الزبيري البراوي الأزهري: فاضل مصري، من فقهاء الشافعية. تعلم بالأزهر، له كتب، منها «التيسير لحل ألفاظ الجامع الصغير – خ» و«حاشية على شرح جوهرة التوحيد» لإبراهيم اللقاني، وتوفي بالقاهرة سنة 1182هـ. انظر: الأعلام (100/ 5)، و سلك الدرر (273/ 3).

(7) نقله عن الشيخ علوان الحموي (ت936هـ) من رسالته: «السرّ المكنون في مدح البون»، وهو يرويها عن أبي القاسم الجنيد، والقصة لا أصل لها، بل هي من تأليفات بعض الصوفيّة، تعصُّبًا للقهوة.

وربما اختلفت الرواية قليلًا عند المؤرِّخ يحيى بن الحسين بن القاسم (ت 1099 هـ)، فهي لا تزال من الجنَّة، لكنها لَم تهبط مع آدم -عليه السلام-، بل أهبطت بعده بزمنٍ على يدِ جبريل -عليه السلام-، فهو يروي وِجادةً عن الشيخ محمد بن سعد الدين الجبرتي: «قال: سألتُ الشيخ محمدًا أبا الحسن الشاذليَّ عن القهوة، هل لها أصلٌ قديمٌ؟ قال: نعم، قلتُ: كيفَ الدليل لذلك؟ قال: وجدنا في الكتب القديمة بالأسانيد عن الرواة أنَّهم يقولون: إنَّ الله – سبحانه – لما أهبط آدمَ عليه السلام إلى الأرض بعرفات، في بطن الوادي المسمى بنعمان، أمر الله آدمَ أن يحرث الأرض ويزرع، فحرثَ وزرع مدَّة من الزمان، فأصابه في بعض الأيام مرضٌ نزل به؛ فهبط الأمين جبريل – عليه السلام – فأعطاه طَعمةً من البُنِّ مقليَّةً، وقال: يا آدم، كُلْ هذه، فإنه شفاءٌ لوجع الرأس، فأكله فأبرأه الله في وقته»[1].

2- العهد العبراني (نبي الله داوود ﷺ):

ثمَّ لا نزال نهبطُ في التاريخ نزولًا حتى عهد نبي الله داوود – عليه السلام –، حيث يرى بعضُ الباحثين الغربيين[2] أنَّ أوَّل إشارة للقهوة كانت في سفر التكوين، في الإصحاح الخامس والعشرين، الآية الثلاثين (25:30): «قال عيسو ليعقوب: أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييت. لذلك دعي اسمه أدوم»، وهذا الأحمر المزعوم هو حبوب البُنِّ المحمَّصة.

كما يُزعم أنَّ القهوة مذكورةٌ في سِفر راعوث، الإصحاح الثاني (16-14 :2): «فقال لها بوعز: عند وقت الأكل تقدمي إلى ههنا وكلي من الخبز، واغمسي لقمتك في الخل. فجلست بجانب الحصَّادين فناولها فَريكًا،

---

(1) ابن القاسم، يحيى بن الحسين، المستخرجات البينات هل تحليل الأشياء المستعملات من القهوة والطباق والقات (ضمن كتاب ثلاث رسائل في القات)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، دار منشورات المدينة ط1، 1406هـ/ 1985م. ص96

(2) Roseane M. Santos, Darcy R. Lima: An Unashamed Defense of Coffee: 101 Reasons To Drink Coffee Without Guilt. 1st Edition. USA. Xlibris corporation, 2009. P 126 - 129

فأكلت وشبعت وفضل عنها».

والفريك في هذه النسخة ترجمة عربيَّة لـ "Raosted grains" الواردة في عدة نُسخ من سفر راعوث بالإنجليزيَّة. وهما شيئان مختلفان، والحبوب المحمَّصة ليست بالضرورة حبوب البن.

لكنه يعود ليقول إنَّ القهوة مذكورة في سِفر صموئيل الثاني (17:28): «قدّموا فُرُشًا وطُسوسًا وآنيةَ خَزَفٍ وحنطةً وشعيرًا ودقيقًا وفَريكًا وفولًا وعدسا وحِمَّصًا مَشويًا»، ليزعم الباحث مجدَّدًا[1] أنَّه لا يوجدُ ما يمكن حمصه ثمَّ شُربه سوى القهوة، وأنَّ المقصود بالحبوب المحمَّصة، والتي جاءت في الترجمة العربيَّة «الحمّص المشوي»؛ ليستدِّل بهذا على أنَّها موجودةٌ من زمان نبيِّ الله داوود - عليه السلام-، وهذا الكلامُ يفتقرُ للدليل، وفساده بادٍ بأقلِّ نظرة.

ولعلَّ أوَّل من زعمَ وجود ذكرٍ للقهوة في الكتب المقدَّسة، هو الأديب والفيلسوف البولندي، جورج باش George Paschue (ت 1119 هـ)، حيث أوَّلَ ما جاء في سفر صموئيل الأول (25:18): «فبادرت أبيجايل، و أخذت مئتي رغيف خبزٍ، و زِقَّيْ خمر، و خمس خرفان مهياة، و خمس كيلات من الفريك، و مئتي عنقود من الزبيب، و مئتي قُرص من التِّين، ووضعتها على الحمير» بأنَّ هذه الكيلات الخمس ما هي إلا حبوب البنِّ.[2]

3- نبيُّ الله سليمان ﷺ

ولم تُترك هذه الرواية العبرانيَّة دون معاضِدٍ عربيٍّ، فقد روى الأديب

(1) Roseane M. Santos, Darcy R. Lima: p126 - 129.

(2) UKERS, WILLIAM H.: All about coffee, 1st edition, New York, The Tea and Trade Journal Company (1922), p13.

المؤرِّخُ أبو الطيِّبِ بن محمد الغَزِّيُّ[1] (ت 1042 هـ)، في مؤلَّفٍ له مفقودٍ عن القهوة، أنَّ ابتداء ظهورها كان في زمن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، ذكر ذلك ابن العماد الحنبلي (ت 1089 هـ) ملخَّصًا في شذرات الذهب: « قال [أي أبو الطيِّب الغزِّي] ما ملخَّصه: كان سليمان صلى الله عليه وسلم إذا أراد سيرًا إلى مكان ركب البساط، هو ومن أحبَّ من جماعته، وظلَّتهم الطير، وحملتهم الريح فإذا نزل مدينة خرج إليه أهلها طاعةً له وتبرُّكًا به، فنزل يومًا مدينةً فلم يخرج إليه أحد من أهلها، فأرسل وزيره على الجن الدِّمرياط، فرأى أهل المدينة يبكون قال: ما يبكيكم؟ قالوا: نزل بنا نبي الله وملِك الأرض، ولم نخرج إلى لقائه. قال: ما منعكم من ذلك؟ قالوا: لأن بنا جميعًا الداء الكبير، وهو داء من شأنه أن يُتَطيَّر منه، وتنفر منه الطباع خوف العدوى. فرجع وأخبر سليمان بذلك، فدعا ابنُ خالته، آصف بن برخيا، الله تعالى باسمه الأعظم أن يعلم سليمان ما يكون سببًا لبرئهم من ذلك، فنزل جبريل على سليمان، وأمره أن يأمر الجن أن تأتيه بثمر البن من بلاد اليمن، وأن يحرِّقَه ويطبخه بالماء، ويسقيهم، ففعل ذلك، فشفاهم الله تعالى جميعًا، ثم تناسى أمرها إلى أن ظهرت في أوائل القرنِ العاشر..»[2]

ثمَّ أورد هذه الرواية باختلافٍ في مكانِ الحدوث، وسببِ وصف القهوة علاجًا لأهلِ اليمن، المؤرِّخُ يحيى بن الحسين بن القاسم (ت 1099 هـ)، فقال: «فإنَّ سليمان – عليه السلام – لما نزل بوادي سبأ باليمن، جاء أهل اليمن يشكون إليه، ويقولون: يا نبيَّ الله يا سليمان، إنَّ أولادنا، خطفتهم

---

(1) هو أبو الطيِّب محمد بن محمد الغزِّي العامري الدمشقي، أخو نجم الدين محمد بن محمد بن محمد الغزِّي صاحب الكواكب السائرة، أديبٌ وشاعرٌ، تلمذ على القاضي محب الدين الخطيب، جدُّ صاحب «خلاصة الأثر»، وعلى الشيخ العيثاوي بدمشق، توفي بدمشق سنة 1042هـ انظر ترجمته: خلاصة الأثر (135/ 1)، ونفحة الريحانة (85/ 1).

(2) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 1406 هـ/ 1986، ج10، 58.

الجانُّ من المضاجع، ولم نعلم ما السبب في ذلك! فقال سليمان لوزيره آصف بن برخيا: صف كيف الخبر فيما سمعتَ من هؤلاء المساكين؟ قال آصف: قل لهم: يأخذون غصون البن، ويعقدُها هؤلاء على أطفالهم، فإنها حِرزٌ من الشياطين»[1]

وقد ذكر هذه الرِّواية بتوسُّعٍ يسيرٍ، العلامة محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي (ت 1147 هـ)، مفتي الشافعية بالقدس، فحدَّد مكان حدوث القصة بعدن من اليمن، وذكر وصفة علاجهم بالبن: «أنهم إذا استعملوا قِشره مطبوخًا بالبهارات، أو الحبة مقلوًا بالنار، مخلوطًا بسمن البقر؛ عافاهم الله تعالى وشفاهم من أمراضهم»[2].

وأورد محمد القمحاوي في «نزهة الإخوان» روايةً تجمع بين نزول البنِّ من الجنَّة، واكتشاف نبي الله سليمان له، فبها استدلَّ على وجود البنِّ قبل زمان نبيِّ الله سليمان، قال: «ومما يدلُّ على قِدَمِها؛ أنها سابقةٌ على زمن السيِّد سليمان – عليه السلام – ، بدليل أنَّه سأل جبريل – عليه السلام – على دواء لجماعةٍ بهم مرضٌ، فأخبره بأنَّ بأرض الهند بلدًا يُقال لها سرنديب، وهي البلد التي أُهبطَ بها آدمُ – عليه السلام – حين خرج من الجنَّة، يوجد بها حبة يقال لها: حبة البن، يكون في استعمالها شفاؤهم من مرضهم، فأمرهم بإحضارها واستعمالها، فأحضروها، واستعملوها؛ فشُفوا من مرضهم».

ويورد القمحاويُّ روايةً أخرى، ينهض الجنُّ فيها بخدمة نبيِّ الله سليمان – عليه السلام– فيها تفصيلٌ للوصفة التي عولج بها القوم المرضى: «وقيل: إنَّ السيدَ

(1) المستخرجات البيِّنات لابن القاسم، ضمن ثلاث رسائل في القات: ص 97.

(2) الخليلي، محمد بن شرف الدين، فتاوى الخليلي على مذهب الشافعي، مطبعة محمد شاهين – القاهرة، ط1، 1284هـ/ 1867م (2/296).

سليمان – عليه السلام – سأل مرةً أخرى القاضي شمهورش، قاضي الجنّ، عن رجلٍ به داء الإسهال، فأخبره أنَّ بأرض الهندِ حبًّا يُقَال له حبّ البن، فأرسل جنيًّا أتاه منها بقدرِ ما أمر، ثمَّ أمرَ بإحراقه، وسحقه، ووضعَ عليه قَدْرَه سُمَّاقًا مسحوقًا، وعقد ذلك على النَّار بعسل النحلِ المنزوع الرغوة، وأكل منه العليل فشُفي».

4- عهد الإغريق :

يعتقد بعض الباحثين أنَّ القهوة كانت معروفةً في زمن الإغريق ومن قبلهم[1]، وممن زعم معرفة وجود القهوة مشروبًا عرفه الإغريق القدماء، الرحالة والملحّن الإيطالي بيترو ديلا ڤالي (1586 - 1652م) في ملاحظاته على إلياذة هوميروس، فهو يرى أنَّ النَّابَنطَ «Nepenthe» المذكور في الإلياذة – وهو العلاج السحريُّ للألم والحزن، الذي جلبته هيلين (ابنة زيوس) من مصر، وطرحته هيلين في نبيذ والدها – ما هو إلا حبيباتٌ من البُنّ.[2]

5- الإسكندر المقدوني (356-323 ق.م):

ثمَّ ما زال التأثير الأسطوري يرافقُ تفسير نشأة القهوة، حتى نُسبَ اكتشاف القهوة إلى الإسكندر المقدوني، فقد عزا العلامة أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ) اكتشاف هذه النبتة إلى الإسكندر المقدوني، قال في رسالته «تحفة إخوان الزمن في حكم قهوة اليمن»: «قلتُ: وأصل منشأها في قديم الزمن في ثَنِيَّةِ ذروان بمخلاف رَيْـمَة، بينها وبين زبيد يومٌ وليلةٌ. قيل: أول من أظهرها الإسكندر ذو القرنين، بإشارةٍ من

---

(1) كيك، بطرس، شذرات في أصل القهوة، مجلة المشرق – القاهرة، السنة السادسة، 1 أغسطس، العدد 15، ص 685.
(2) Della Valle, Pierre. De Constantinopole a Bombay, Letters. 1615. (vol.i , p. 90)

شيخه الحكيم أرسطاطاليس حين أذِنَ له بالمسير لليمن وفتح باب مَنْدَب، وهو البحر الصغير»[1].

6- الغزو الحبشي لليمن:

قد تبدو هذه الإشارة التاريخية السابقة في كلام المرتضى الزبيدي كاشفةً - لوهلةٍ - عن كثيرٍ من الغموض الذي لفَّ فجر تاريخ القهوة، لولا أنّ الدراسات التاريخية تُثبت إحجام جيوش الإسكندر المقدوني عن دخول جزيرة العرب[2].

وعلى كلٍّ، فإنَّ العلائق التجاريّة بين العربيّة الجنوبيّة (اليمن) والساحل الأفريقي قديمة قدمَ التجارة وخطوطها، بل قد خضعت أراضٍ أفريقيةٌ لحكمِ أحد ملوك سبأ قبل الميلادِ بعدة قرون، وهو «كرب أيل»، وقد تحدّث عن ذلك صاحبَ كتاب «الطواف حول البحر الإرتري» عند حديثه عن ميناء المخاء[3]. وقد خضعت في المقابل أراضٍ يمنيَّةٌ للأحباش مرارًا عبر التاريخ إلى مدةٍ يسيرةٍ قبل الإسلام[4]، وهذا ما جعل عددًا من الباحثين الغربيين يرجِّحُ وجودَ البنِّ في اليمن بسبب الغزو الحبشي لليمن، منهم المؤرخة إليزابيث مونرو، حيث كتبت: «لقد وصل البن عبر البحر الأحمر إلى عدن واليمن في تاريخ غير محدَّدٍ، وإن كان المرجَّحُ أن يكون ذلك مع غزو الجزيرة العربيَّة أيام الجاهليَّة، عندما أرسلَ قلب أثيوبيا جيشه المسيحيَّ لمقاتلة حِمير»[5].

(1) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني ، تحفة إخوان الزمن في حكم قهوة اليمن، مخطوط محفوظ بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، رقم 5595، ورقة 3.

(2) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي - لندن، الطبعة الرابعة، 1422هـ/ 2001م، ج1، ص304

(3) علي، المفصل (مرجع سابق)، (3/ 29)

(4) علي، المفصل (مرجع سابق)، (6/ 139).

(5) مونرو، إليزابيث، تاريخ القهوة العربيَّة، مجلة الفيصل، العدد الرابع - السنة الأولى، شوال 1397 هـ/ سبتمبر 1977م، ص 121.

وهو رأيٌ متردِّدٌ بين الأكاديميين الغربيين ممن أرّخ للقهوة، وقد نقل أعظم مؤرخي القهوة، ويليام أوكرز، آراء بعض العلماء، وهو أنَّ ظهور البن في اليمن قد رافق خروج الغزو الحبشيِّ منها، لكنه بدا متردِّدًا في الجزم بهذه الفرضيَّة[1].

ويمكن للناظر في ما مرَّ من الروايات ملاحظة نزولها تدريجيًّا من فضاء الخيال والأسطورة، إلى أرض الواقع، ومن تباعدِ أزمنتها الموغلة في القِدَم، إلى نطاق تاريخيٍّ أثرى بالمادة التاريخيَّة القابلة للدراسة والمعاينة؛ فبعد فرضيَّة دخولها إلى اليمن (أرض اكتشاف المشروب)، عن طريق الحبشة (الموطن الأصلي للشجرة البريَّة) لأيِّ سببٍ من الأسباب، عسكريَّة كانت أو تجاريَّة، أو طبيعيَّة بحكم الهجرات والاستيطان = بات فهم هذه الروايات أقرب منها حين كانت غارقةً في الخيال، بعيدةً عن يد التأويل والتفسير.

7- نبيُّ الله محمد ﷺ:

يُخبِرُ المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم (ت 1100 هـ) عن "بعض العلماء المتقدمين"، أنَّ أهلَ اليمن جاؤوا إلى النبيِّ ﷺ في حجَّة الوداع يشتكون عِلَّة بهم، وهي أنَّ الرَّجل تأخذه في جسده رعشة، ويخرج الدم من فمه، فسألوه الدواء، فأمرهم النبي ﷺ بثمار شجرة عندهم في اليمن، حملها كبعر الغنم، أمرهم أن يطبخوا ثمارها بالماء، حتى يفور و تظهر خاصيَّته.

ثمَّ أورد تعقيب الشيخ محمد بن سعد الجبرتي على هذا النصِّ، قال: «اعلم يا أخي أنَّ هذه الشجرة المذكورة هي شجرة البُنِّ[2]».

(1) UKERS, WILLIAM H.: All about coffee, 1st edition, New York, The Tea and Trade Journal Company (1922), p5.

(2) ابن القاسم، المرجع السابق (ضمن كتاب ثلاثة رسائل في القات)، ص97

وقد ورد عند غير واحدٍ من الكتَّاب العرب والغربيين أنَّ النبي ﷺ لما مرض أتاه جبريل بالبنِّ؛ فتناوله وشُفي[1].

8- الصُّدفة والصوفيُّ، أو «الراعي والنعاج الراقصة»:

لعل أروج مقاربةٍ تاريخيَّةٍ لاكتشاف البُنِّ؛ هي الصُّدفة، وتستمدُّ هذه المقاربة زخمها من ضبابيَّة الظروف التي أدَّت لاكتشاف البُنِّ أوَّل الأمر، لذلك حذَّر المؤرخ فيرناند بروديل من «أنَّ هناك فرصةً كبيرة للضَّلال في البحث في تاريخ القهوة، فالقصص البرَّاقة وغير الموثوقة تلعبُ دورًا كبيرًا في صياغة تاريخ القهوة»[2].

وعلى أنَّ هذا التحذير واقعيٌّ؛ يفهمه كلُّ من له معاناةٌ في بحث تاريخ القهوة، إلا أنَّ استعارة الغموض، وتقديم الأساطير والصُّدَف في رواية تاريخ القهوة أشهى على مسامع النَّاس، وأليق بمجاراة البُهرج الذي تحظى به القهوة اليوم على رأس قائمة المشروبات في العالم، بغضِّ النَّظر عن قيمته التاريخيَّة، واستقامته على مساطر المنهج العلمي. أليس كون اكتشاف القهوة صدفةً عن طريق الماعز، ثمَّ تحوُّلها بعد عدة عقودٍ إلى مشروبٍ عالميٍّ يعرفه كلُّ بيتٍ، ويُمسكُ بتلابيب الاقتصاد العالمي = أروع من كونها شيئًا عاديًّا اكتُشِفَ؟

إذا علمتَ ذلك، علمتَ أنَّ أشيع رواية لاكتشاف البُنِّ هي الصُّدفة، وتأخذُ هذه الصُّدفة عدَّة أشكال:

أشهرها قصَّة الراعي العربي (خالدي) الذي كان يرعى الماعز في عدن،

(1) نور الدين، صالح أفندي، البن وزراعته، مجلة المقتطف، العدد التاسع، 1 يونيو 1890م/ 13 شوال 1307هـ ص634،

ED. S. MILTON: A cultural history from around the world, Astrolog publishing house, Ltd 2003, p7.

(2) Braudel, Fernand: Civilization and Capitalism, 15th-18th Century: v. 1: The Structure of Everyday Life, Translated by: Sian Reynolds, William Collins Sons & Co Ltd London and Harper & Row New York 1981 Reprinted 1985, p256.

قبل أن يلاحظ على قطيعه هياجًا وفرحةً غير مسبوقين، فتعقَّبَ الأمر فإذا الماعز تأكل من ثمار وأوراق شجرة مخصوصةٍ، هي شجرة البُنّ، قبل أن يخبر مولاه بها، فيستنتج أنَّ لها تأثيرًا مُطربًا على الإنسان ما دامت أثَّرت في الحيوان، فيقرِّرَ استخدامها على نفسه.[1]

وفي النسخة الفرنسيَّة من هذه الرواية، فإنَّ الراعي خالدي، بعد أن جرَّب هذه الثمرة المنعشة صار "أسعد راعي ماعزٍ في الجزيرة العربيَّة"، وصار ديدنه الرقصُ والفرح

تذهب الرواية إلى أنَّ أحد الدراويش ممن كان يخامره تعبٌ وحزنٌ كبيرٌ، وقف في إحدى تجوُّلاته على صخبٍ بالغٍ، فإذا بقطيعٍ راقصٍ من الماعز يصاحبهم راعٍ طروب، فاستوقفَ الدرويشُ الراعيَ واستخبره عن سبب طربهم، فوصفَ له خالدي البُنَّ، فجرَّبه هذا الدرويش؛ فانجلى عنه الحزن والتَّعب[2].

ثمَّ يتحوَّلُ هذا الراعي في روايةٍ أخرى إلى درويش منعزلٍ، يعيشُ في كوخٍ ناءٍ، ويرعى قطيعًا من المعز، قبل أن يكتشفَ اضطرابًا ونشاطًا على قطيعه؛ ليقف أخيرًا على حقيقة البُنّ[3].

قبلَ أن يتنصَّر هذا الدرويش في روايةٍ ثالثةٍ، ويصير رئيسًا لديرٍ من الأديرة في جزيرة العرب، خرجَ يومًا إلى الصحراء، فرأى قطيعًا من المعزى كان يرعى بعضها أغصان شجرةٍ، فتنشط بأكلها وتمرح، وكانت الشجرة هي شجرة القهوة؛ فاستدل بذلك على ما لحبوبها من خاصيَّة في التقوية والتنشيط[4].

(1) مونرو، تاريخ القهوة العربية (مرجع سابق)، ص121

(2) UKERS, Ibid. p 15.

(3) نور الدين، البن وزراعته (مرجع سابق)، ص634

(4) كيك، شذرات في أصل القهوة (مرجع سابق)، ص685

والحاصل، أنَّ هذه الروايات متكاثرةٌ في كتب المؤرخين للقهوة، واستقصاؤها لا يفيدُ في التدليل على شيء أكثر من ضبابيَّة حقبة اكتشاف هذه النبتة وخصائصها.

9- الأولياء الصالحون:

يدور فضلُ اكتشاف مشروب القهوة عند المؤرِّخين على ثلاثة رجالٍ من أهل العلم والتصوُّف في اليمن:

- الشيخ محمد بن سعيد الذبحاني (ت 875 هـ)

وردت أوَّلُ إشارةٍ مكتوبةٍ لاكتشاف الشيخ جمال الدين الذَّبحاني للقهوة في كتاب (دفع الهفوة في حلِّ القهوة) لأحمد بن موسى بن عبد الغفَّار المالكي، قال: «اعْلَم أن الأخبار قد وردتْ علينا بمصر أوائل هذا القرن [أي العاشر]، بأنه قد شاع في اليمن شراب القهوة يستعمله مشايخ الصوفية وغيرهم، للاستعانة به على السهر في الأذكار التي يعملونها على طريقتهم المشهورة، ثم بلغنا بعد ذلك بمدّة أن ظهورها وزمن انتشارها فيه كان على يد السيد المشهور بالعِلْم والولاية، الشيخ الإمام العالِـم العلّامة المفتي المسلِّك، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بالذَّبْحَاني، بفتح الذال المعجمة، وسكون الموحّدة، وفتح المهملة، وبعد ألفه نون مكسورة، نِسْبة إلى ذَبحان، بلدة معروفة باليمن

وسمعنا أنّه كانَ متولّياً لوظيفة إصلاح الفتوى، بِعَدَن، وهي وظيفة كانت بها إذ ذاك، يُعرَض على صاحبها الفتاوى، فيُقِرُّ مايراه صواباً، ويكتب تحتها بخطه «صحّ»، وينبّه على ما يرى إصلاحه. وسبب إظهاره لها على ما سمعناه أيضاً؛ أنّه عَرَضَ له أمرٌ اقتضى له الخروج من عدن إلى برّ عَجَم،

فأقام به مدة، فوجد أهله يستعملون القهوة، ولم يعلم لها خاصية، ثم عرض له لـمّا رجع إلى عدن مرضٌ فتذكرها، أو وُصِفَت له فشربها، فنفعته، فوجد فيها من الخواص أنها تُذهب النعاس والكسل، وتورث البدن خفة ونشاطاً، فلمّا سلك طريق التصوف صار هو وغيره من الصوفية بـعدَن يستعينون بشربها على ما ذكرناه، ثم تتابع الناس أجمعون من الفقهاء والعوام على شربها؛ للاستعانة بها على مطالعة العلم وغير ذلك من الحِرَفِ والصناعات، ولم تَزَلْ في انتشار إلى وقتنا هذا».

إذن، فورود الأخبار على ابن عبد الغفار جاء على مرتين، الأولى بداية القرن العاشر الهجري، وفيها أنّه قد شاع مشروب اسمه القهوة في اليمن، ثمَّ بعدها بمدةٍ بلغه أنَّ ظهورها واكتشافها كان على يدِ الشيخ محمد بن سعيد الذَّبحاني.

ويبدو أنَّ هذه الأخبار كانت محلَّ شكٍّ عند ابن عبد الغفَّار، ولم تكن كافيةً لتحقيق هذه النِّسبة للذبحاني، عند ابن عبد الغفَّار، لذلك كتبَ إلى بعض أهل العلم في زبيد باليمن يتثبَّت منهم صحَّة ما وردَ إليه من الأخبار، قال:

«ثم إني كتبت لبعض إخواننا في الله تعالى من أهل العلم والدين بزَبيد، وهو الفقيه الأجلّ، العالِم العلّامة، الشيخ جمال الدين، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام العلامة عبد الغفار [العلوي][1]، وهو من بيت كبير بزبيد؛ مشهور أهله بالعلم والدين، أن يبحث لي عن من يشربها باليمن ممن يُعتدّ به من أهل العلم والدين، وعن أوّل حُدوثها فيه، فكان مما كتبه إلى في الجواب ما صوّرته: وما ذكره سيّدي - حفظه الله - من البحث

(1) في الأصل: (باعلوي) وهو سبق قلم من المؤلف -رحمه الله- وصوابه العلوي كما أثبتّ، وبيت العلوي بيت علم وفضلٍ مشهور بزبيد، ذكرهم الخزرجي في (العقود اللؤلؤية)، والسخاوي في (الضوء اللامع)، والبريهي في تاريخه. من مشاهيرهم إبراهيم بن عمر بن علي العلوي (ت 752 هـ)، وابنه نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي (ت 815 هـ)، محمد إبراهيم العلوي (ت 822هـ).

عن من شربها من أهل اليمن، فسأل المملوك جماعة من المعمّرين ببلدنا، وأسنّهم الآن عمّ المملوك الفقيه العالِم الصالح، وجيه الدين، عبد الرحمن بن إبراهيم العلوي، فإنه الآن قد زاد على التسعين، فأخبرني - حفظه الله وأبقاه - عن بدء أمر القهوة؛ وذلك أنه قال: كنت بمدينة عدَن، فوصل إلينا بعض الفقراء السالكين، وكان يعمل القهوة ويشربها، وأنه كان يعمل للشيخ العلّامة خاتمة العلماء بـــثغر عدَن، الفقيه محمد بافضل الحضرمي[1]، والشيخ العارف بالله تعالى ذي الأحوال السنية، محمد الذبحاني ويشربانها بمحضر من الناس، ويكفي بهما حُجّةً في ذلك.. انتهى».

ثمَّ علَّق ابن عبد الغفَّار على كلام عبد الغفَّار العلوي السابق: «فيُحتمل أن يكون الذبحاني أوّل من أدخلها عدَن كما قيل، وهو المشهور، ويحتمل أن يكون المدخل لها غيره، ولكن نُسِبتْ إليه لكونه كان هو السبب في ظهورها وانتشارها، والله أعلم».

ويمكنك ملاحظة التشكُّك في هذه النِّسبة؛ حتى بعد ورود الكلام من زبيد، ويبدو أنَّ ابن عبد الغفار كان قد سمع كلامًا آخر.

وعند النَّظر إلى المصادر التي ترجمت للذَّبحاني، نجد أنَّ السَّخاوي ترجم له ولأبيه في (الضَّوء اللامع)، قال في ترجمته: «محمد بن سعيد بن أحمد، الجمال الذبحاني المذحجي اليماني العدني. من صلحاء اليمن هو وأبوه. كان صوفيًّا مباركًا، تفقَّه في بدايته واشتغل واجتهد ودرَّس قليلًا، ثم تصوَّف وغلب عليه التصوُّف، وطالع كتبه، وعمل السماع. وكان منجمعًا قليل الخلطة، لا يخرج إلا للجمعة، أو لدعوة، كثير الأنس بالغرباء والاستفادة منهم، وللعامة فيه اعتقادٌ كبيرٌ، واقتنى كتبًا كثيرة وكتب رسائل في التصوف، غير سالمة من الخلل اللفظي ولا يقبل ممن يرشده إلى

(1) هو جمال محمد بن أحمد بن عبد الله بافضل السعدي الحضرمي العدني، ولد بتريم سنة 840 هـ وارتحل لعدن لطلب العلم، ومات بها سنة 903هـ انظر: النور السافر (23)

الصواب بل يتكلف لتوجيه ما بيديه. مات في جمادى الأولى سنة خمس وسبعين..»[1]، وجاء في ترجمة أبيه عند السخاوي: «سعيد بن أحمد، سابق الدين المذحجي الذبحاني اليماني العدني، والد عبد الله ومحمد الآتيين.. وقدم بعد الأربعين إلى عدن، فاستوطنها واقتنى كتبًا نفيسةً وكان ضنينًا بها، وكذا استولى على عدة خزائن فأعدمها، ولم يكن بالمحمود مع إقباله على التصوف والمباحثة فيه والتكلف لذلك إلى أن مات عن سنٍّ، في أواخر رجب سنة سبعٍ وثمانين وكان إليه تدريس الحديث بالظاهرية بعدن عفا الله عنه وترجمته عندي مطولة في كلام بعض الآخذين عني»[2]

وقد ترجم له عبد الوهاب البريهي عرضًا في ترجمة والده، قال: « الفقيه بدر الدين سعيد بن أحمد الذبحاني، هو إمامٌ فاضلٌ مجوِّدٌ مجتهدٌ بطلب العلوم، يتعاطى الفتوى وقد طعن في السِّن، ونشأ له ولد يسمى محمدًا، نَجَبَ فأَعجَبَ، حتى قيل: إنه أدرك من نخب العلوم ما لم يدركه أبوه؛ لجودة فهمه وعلو همته وهو منقطع في طلب العلم والتدريس وله فيه دربة يعجب منها السامع، وهو في أول عشر الثلاثين وقد يتكلم في علم الحقيقة ولكنه قد يأتي بدعوات من التمكن ما لا يصادق عليه وهما في قيد الحياة عند جمع هذا المجموع».

ولكننا لا نجدُ في المصادر التي ترجمت له ذكرًا لاكتشافه للقهوة، أو رحلته إلى الحبشة، ولا حتى تصحيحه للفتوى. وهذا كله جعل نسبة اكتشاف القهوة للذّبحانيّ محلَّ شكٍّ، سيَّما إذا علمتَ أنَّ للعلامة القاضي محمد بن سعيد كبن الطبري المتوفى سنة 842هـ تأليفًا في القهوة[3]، أي قبل ورود والد الشيخ محمد بن سعيد

(1) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل- بيروت، بدون تاريخ، ج7/ ص249

(2) السخاوي، الضوء اللامع (مرجع سابق)، ج3، ص243

(3) العيدروس، عبد الرحمن بن محمد، إيناس الصفوة بأنفاس القهوة، مخطوط، نقلاً عن الحبشي، عبد الله بن محمد، من مقدمته لعمدة الصفوة في حلّ القهوة لعبد القادر الجزيري، المجمع الثقافي أبو ظبي، الطبعة الأولى،

الذُّبحاني إلى عدن. فلا مساغ لنسبة اكتشافها له وهي موجودةٌ مبحوثةٌ قبله.

وهذا وغيره من الإشارات، جعلت الباحث والمؤرِّخ د. عبد الودود مقشَّر يضعِّفُ من نسبةِ هذا الاكتشاف للذُّبحاني، بل يعتقدُ أنَّ القهوة نُسبت للذُّبحانيِّ خطأً، فهو «يعتقدُ أن ابن عبدالغفار المالكي والجزيري حدث لديهما لبسٌ في الأسماء بسبب بُعد المكان، وقلَّة معرفتهما باليمن وعلمائها، فقصدا الفقيه محمد بن سعيد بن كبن بن علي الطَّبري، والذي تولَّى القضاء بعدن لأكثر من 40 سنة، ودخل الحبشة، وأجاد اللغة الحبشيَّة، وكان مُعتقدًا لدى العامَّة، والذي أيَّدها ولم يكتشفها»[1].

- الشيخ أبو بكر العدني بن عبد الله العيدروس (ت 914 هـ)

انفرد نجم الدِّين الغَزِّي (ت 1061 هـ) بنسبة اكتشاف القهوة للشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس، جاء في الكواكب السائرة: «أبو بكر بن عبد الله الشيخ الصالح العارف بالله تعالى الشاذلي، المعروف بالعيدروس، وهو مبتكر القهوة المتخذة من البن من اليمن، وكان أصل اتخاذه لها أنه مر في سياحته بشجر البن على عادة الصالحين، فاقتات من ثمره حين رآه متروكًا مع كثرته، فوجد فيه تجفيفًا للدماغ، واجتلابًا للسهر، وتنشيطًا للعبادة، فاتخذه قوتًا وطعامًا وشرابًا، وأرشد أتباعه إلى ذلك، ثم انتشرت في اليمن، ثم إلى بلاد الحجاز، ثم إلى الشام ومصر، ثم سائر البلاد..»[2]

وانفرادُ الغزِّي – وهو مؤرِّخٌ شاميٌّ – بهذه النسبة؛ ضعَّفَ هذا الرأي، وقد علَّق الأستاذ البحَّاثة عبد الله بن محمَّد الحبشي على كلام الغزِّي: «وفي رأيي

1416هـ/ 1996م، ص5.

(1) مقشر، مرجع سابق، ص260

(2) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد العامري، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1418 هـ/ 1997م، ج1، ص115

أنَّ هذا قولٌ ضعيفٌ، أتى من مؤرخٍ عاش في الشام، ولم يوافقه عليه مؤرخو اليمن أنفسهم، وأنت تقرأ ترجمتهُ المطوَّلة في كتاب (النور السافر لأعيان القرن العاشر) لقريبه عبد القادر بن شيخ العيدروس المتوفى سنة 1031هـ فلا تجد إشارةً إلى اكتشافه لمشروب القهوة، وإنَّما كان معجبًا بشرابها، وله فيها مقاطيع كثيرة من الشعر، ومن هنا ظنَّ من ظنَّ أنه مكتشفُ القهوة»[1].

قلتُ: وقد قرأت الترجمة التي جمعها الشيخ أحمد بن علي الحلبي[2]، تلميذ الشيخ أبي بكر العيدروس، وليس فيها إشارة لاكتشافه القهوة، مع كونه ضمَّنها بعض الحكايا المتصلة بالقهوة.

ووقفتُ على كتاب (مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس)[3] الذي جمعه تلميذه الإمام الشيخ محمد بن عمر بحرق الحضرمي (ت 930 هـ) في مناقب الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس، وليس فيه إشارة لاكتشافه القهوة كذلك.

وفي رأيي أنَّ سبب نسبة الغزِّي اكتشافَ القهوة للشيخ أبي بكر العيدروس، هو بناؤه على ما ورد في بعض أشعار من سبقوه، من نسبة القهوة للعيدروس، مثل ما جاء في موشحة لأبي الفتح المالكي (ت 975 هـ):

من خِدرها العيدروس أبرزها
وللندامى الكِرام أبرزها
وبالمعاني الحسان طرَّزَها
وهيَّمَ[4] القومَ عندما وَضَعَا لها اسمَ راحٍ[5] ونِعمَ ما صَنَعَا فَضْلا

(1) من مقدمة تحقيقه لعمدة الصفوة في حل القهوة، عبد القادر الجزيري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1996م، ص8

(2) منها نسخة مخطوطة بزاوية العيدروس العلمية بتريم، وتجدها على الإنترنت.

(3) منها نسخة مخطوطة بزاوية العيدروس العلمية بتريم، وتجدها على الإنترنت.

(4) هيَّم: فعل متعدٍ من الهيام، وهو الجنون، والدُّوار، وجعلوه من درجات الحُبِّ.

(5) الرَّاح: الخمر، والقهوة كذلك اسم من أسماء الخمر، صار اسماً لقهوة البُنِّ، لا ينصرف الذهن لغيرها.

وجاء في موشحة لمامية الرومي (ت 987 هـ) :

سـامروني بقهـوة سَـمرةْ[1]	أبـــــرزت كالعـــروسْ
كـم جلاهـا بالأنس فـي الحضرةْ	شـيخـهـــا العيـدروسْ
أنسَــتِ النــاس لـذة الخمـرةْ	وهـــي قــوتُ النفـوسْ

وقد جاء في رسالة منسوبةٍ[2] لأبي الحسن البكري (ت 952 هـ) اسمها (اصطفاء الصفوة لتصفية القهوة)، وهي رسالةٌ على لسان القهوة، جاء فيها: «أما علمتَ أنَّ منشئي هو السيد الجليل مربي النفوس، الولي القطب أبو بكر العيدروس، المولود في أوّل هذا القرن بلا ريب، المطلع على كثير من أحوال الغيب!».

والشكُّ يلحق هذه الرسالة من نواحٍ، منها أنَّ تاريخ كتابتها (وليس نسخها) كان في 953 هـ كما هو مزبورٌ آخر الرسالة، أي بعد وفاة أبي الحسن البكريِّ - الذي تُنسَبُ له الرسالة - بسنة.

ومما يدلِّل على ضعف الرأي القائل بنسبة اكتشاف القهوة للشيخ أبي بكر العيدروس، أنَّ القهوة كانت معروفةً في حضرموت واليمن قبل ولادة الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس سنة 855هـ فقد جاء ذكرٌ للقهوة في رحلة المغربي إلى تريم عام 865 هـ وفيها أنَّ القهوة كانت تُجلَب من اليمن[3]. وعمر الشيخ أبي بكر العيدروس في هذه السنة خمسة عشر عامًا،

(1) من العاميَّة: وفصيحها: سمراء.

(2) نُسبت له في كشّاف مخطوطات جامعة لايدن، ثمَّ أزيلت، ولها نسخة في مكتبة راغب باشا في تركيا، بلا نسبة، والله أعلم.

(3) بافضل، محمد بن عوض، صلة الأهل بتدوين ما تفرّق من مناقب بني فضل، اسم ومكان الناشر غير معروف، الطبعة الأولى، 1420هـ ص335. ملاحظة: يدور في الأوساط الثقافيَّة الحضرميَّة كلامٌ حول صِحَّة هذه الرحلة من الأساس، وقد أخبرني أحد الباحثين أنَّ رحلة المغربي هي عملٌ أدبي كتبه بعض السادة في تريم، والناس حول هذه القصة فريقان يختصمان، والله أعلم بحقيقة الأمر.

فيكون من البعيد اكتشافُه لها وهي معروفةٌ متداولةٌ أيَّام صباه، وربما قبل ولادته بزمن، والله أعلم.

- الشيخ علي بن عمر الشاذلي (ت 828 هـ): «مُحدِثُ القهوة»

يتَّفقُ كثيرٌ من المؤرخين على أنَّ مُحدثَ القهوة المتَّخذة من البُنِّ هو الشيخ عليُّ بن عمر القرشي الشَّاذلي المخائي، نقل الجزيري في (عمدة الصفوة) عن الشيخ أبي بكر بن أبي يزيد المكي: «والذي بلغنا من جمعٍ يبلغ حدَّ التواتر، أنَّ أوَّل من أنشأها، وأظهرها، وبأرض اليمن أشاعها وأشهرها، سيدنا الشيخ العارف بالله تعالى عليُّ بن عمرَ الشاذلي، أحد تلامذة سيِّدنا الشيخ العارف بالله تعالى ناصر الدين بن [بنت] الميلق، أحد السادة المشايخ الشاذليَّة، ولسان حالهم في المعارف الإلهية، وأنها كانت قبل من الكُفْتة - أعني الورق المسمَّى بالقات - لا من البن ولا من قِشره»[1].

وقد ترجم الشيخ عبد القادر بن شيخ العيدروس (ت 1031 هـ) في كتاب «الزهر الباسم من روض الأستاذ حاتم» للشيخ عليِّ بن عمر الشاذلي ترجمةً حافلةً عند ذكره لمشاهير بني دِعسين - قوم الشيخ المتَرجَم له - ذكر فيها اكتشافه للقهوة، اختُصرتْ فيما بعدُ باسم «صفوة الصفوة في بيان حكم القهوة»، قال فيها: «ومن مشاهيرهم الشيخ الكبير، القطب الرباني، العارف الشهير، الأستاذ عليُّ بن عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن دِعْسَيْـن القرشي الشاذلي الصوفي، صاحب المخا.

كان شيخًا كبير القدر، مشهور الذِّكر، فقيهًا فاضلًا، عارفًا كاملًا، اشتغل في بدايته بالعلوم الشرعيَّة، ثمَّ حجَّ وزار المدينة الشريفة، وتوجَّه إلى مصر؛

---

(1) الجزيري، عبد القادر، عمدة الصفوة في حل القهوة (الصفحة)، وانظر ترجمته في: نزهة الجليس (2/ 253)، والضوء اللامع (5/ 263)، وتاريخ البُريهي (204).

لطلب العلم، على أكابر مصر حينئذٍ، مثل: شيخ الإسلام البُلقيني، والشيخ سراج الدين بن المُلقّن، فقرأ هناك مدَّةً، ثمَّ صحِبَ الشيخَ ناصر الدين بن بنت الميلق، وأخذ منه طريقة الشاذليَّة، وحصل له الفتح على يديه، ومكث عنده مدةً ثمَّ أمره بالذَّهابِ إلى اليمن، فرجع إلى اليمن، ودخل الحبشة إلى السلطان سعد الدين المجاهد، واعتقده السلطان، وظهرت له هناك كراماتٌ، وزوَّجه بأخته[1]؛ فاستولدها، ثمَّ خرج من الحبشة واستوطن قرية المخا

وانتفع به أهل تلك الجهة، وصحبه جمعٌ كثيرٌ، وشهر طريقةَ الشاذليَّة، ونشر علومهم وكتبهم، وصارت زاويته قريةً كبيرةً بساحل البحر»[2].

ثمَّ بعدَ أن روى طرفًا من كرامات الشيخ ومآثره، جاء على ذكر اكتشافه للقهوة، قال: «قلتُ: وهو أوَّلُ من أظهرَ القهوة؛ فنُسبَت إليه، واشتهرت اشتهارًا عظيمًا، وعُدَّ ذلك من جُملة كرامات الشيخ. وحُكي عنه أنَّه قال: عاد[3] هذه القهوة تبلغُ من المشرقِ إلى المغرب.

فكان كذلك وشاعت في أكثر البلدان، حتى وصلت إلى الأقطار البعيدة والأمصار النائية»[4].

وقد نسبَ اكتشاف القهوة للشيخ علي بن عمر الشاذلي كذلك، قريبه الشيخ العلامة عبد الملك بن عبد السلام بن دِعسين (ت 1006 هـ)، في قصيدة يمدحه فيها، ويعدد كراماته، أُوردُ منها محلَّ الشاهد:

ذكـر العهـد الـذي قـد قَدُمـا فـذرى دمعًـا يحاكـي الدِّيَمـا

(1) في نزهة الجليس (2/ 253): تزوج ابنة عم السلطان.

(2) العيدروس، الزهر الباسم (مرجع سابق)، ص 271

(3) عاد: كلمة من اللهجة

(4) العيدروس، الزهر الباسم (مرجع سابق)، ص273

مُغـرمٌ أضحـت صبابـات الهـوى	راميـاتٍ لحشـاه أسـهُمَا
أرتجـي الشـيخَ الـذي قـد خصَّـه	بنـوال فائـضٍ ربُّ السَّـما
فَهُـوَ الشـيْخُ علـيُّ الشـاذليّ	يُ القرشـيُّ الأُمـويُّ الانتمـا
الولـيُّ القطـبُ والغـوث الـذي	بالمخـا أضحـى إمامًـا عَلَمـا
كـم كرامـاتٍ لـه باهـرةٍ	ليـس يُحصـي عَدَّهـا مـن عَلِمَـا
إنَّ مـن أشـهرها بئـر المخـا	حيـثُ لا ينقـص منهـا النَّزحُ مَـا
ثـمَّ منهـا قهـوةُ البُـنِّ التـي	نورهـا اللَّمـاعُ يجلـو الظُّلَمَـا
سِـرُّها فـي كلِّ قُطـرٍ قـد سـرى	حيـثُ عـمَّ العُربَ ثـمَّ العَجَمَـا[1]

وقد نقل ابن معصوم في رحلته الإجماع على أنَّ مكتشفها هو الشيخ عليُّ بن عمر الشاذلي، قال بعد أن زار ضريح الشيخ في المخا سنة 1066 هـ: «والإجماعُ على أنَّه الذي أظهرَ القهوة المتعارفة في هذا الزمان، التي طبَّقت شهرتها العالم

قيل: وسبب اهتدائه إليها أنَّه كانت له لقحةٌ يُسرِّحُها كلَّ يومٍ للرعي، وكانت ترعى ثمرَ هذه الشَّجرة، فاستطاب لبنها طعمًا وخاصيَّةً، فتبعها يومًا، فرآها ترعى هذه الثمرة، فجنى منها شيئًا وقلاه واستعمله؛ فأحدثَ في نفسه نشاطًا وأريحيَّةً، فواظب على استعماله، ثمَّ طبخه فرآه أجدى من استعماله مقليًّا، فلم يزل الأمر يزيدُ حتى بلغ هذه الشهرة»[2]

ثمَّ جاء العيَّاشي (ت 1090 هـ) ليؤكِّدَ هذه النِّسبة، ويروي هذا الذِّيوع لها في رحلته (ماء الموائد)، حين قُدِّمت له القهوة بمصر سنة 1072 هـ:

---

(1) المبدروس، الزهر الباسم (مرجع سابق)، ص 271

(2) ابن معصوم، السيد علي صدر الدين المدني، رحلة ابن معصوم: أو سلوة الغريب وأسوة الأديب، تحقيق: شاكر هادي شكر، الدار العربية للموسوعات - بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/ 2006م، ص 88، 89

«وقد شاع وذاع عند كثير من النَّاس - ذكر غيرُ واحدٍ ممن تكلَّم عليها - أنَّ أوَّل من أحدثها وأخرجها من أرض اليمن، الشيخُ الوليُّ الصالح المتَّفَقُ على ولايته، سيدي علي بن عمر الشاذلي اليمني، وأمرَ أصحابه بشربها؛ ليستعينوا بذلك على السَّهرِ في العبادة»[1].

وقد نَسَبَ الشيخ عبد الرحمن بن محمد العيدروس (ت 1113 هـ) في رسالته «إيناس الصفوة بأنفاس القهوة» اكتشاف القهوة إلى الشيخ علي بن عمرَ الشاذلي، جاء في كلامه: «وأوَّل حدوثها أواخر القرن الثامن باليمن المبارك، ومُنشئها الإمام أبو الحسن علي الشهير بالشاذلي ابن عمر بن إبراهيم ابن أبي هديمة محمد بن عبد الله ابن الفقيه محمد الشهير بِدعْسَيْـن..»[2]

ولو استقصيتُ جميع مواطن نسبة القهوة للشيخ عليٍّ بن عمرَ الشاذلي في كتابات العرب والغربيين؛ لطال الكلام جدًّا، وفي ما سبق كفاية.

ومن أدلة اطمئنان الجماعات من أهل العلم والتصوُّف إلى نسبة هذا الاكتشاف إلى علي بن عمر الشاذلي، ما تكاثر في أورادهم وأدعيتهم من إهداء ثواب الفواتح إلى روح مشايخ القهوة، ويخصُّون بذلك عليَّ بن عمر الشاذلي:

جاء في «حلاوة القرطاس» وصفٌ لتهجُّد الحبيب أبي بكرٍ بن عبد الله العطاس (ت 1281 هـ) وفيه أنّه بعد أن يستيقظ من النوم بعد النصف الأخير من الليل، يستاك ثمَّ يقرأ شيئًا من القرآن، ثمَّ: «يتوضّأ ويصلي ركعتين خفيفتين، ويأخذُ في عمل القهوة بنفسه، ويكبُّها في الفياجين، ويرتِّب ثلاث فواتح:

(1) العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشيَّة، حققها وقدَّم لها: د. سعيد الفاضلي، ود. سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع - أبو ظبي، 2006م، ج1، ص238

(2) العيدروس، عبد الرحمن بن محمد، إيناس الصفوة بأنفاس القهوة، مخطوط، نقلاً عن: السقاف، عمر بن سقاف، تفريح القلوب وتفريج الكروب، دار الحاوي - تريم، الطبعة الأولى، ص147

الأولى: لسيِّدنا رسول الله ﷺ، وسيدنا الفقيه المقدَّم، وأصوله وفروعه.

والثانية: لمشايخ القهوة، الشيخ علي بن عمر الشاذلي، والشيخ أبي الحسن الشاذلي، والشيخ عبد الهادي السودي، والشيخ عبد الرحمن بن عمر العمودي، والشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه، والشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن، والحبيب علي بن حسن العطاس، والحبيب عمر بن سقّاف، وجميع مشايخ القهوة.

والثالثة: بنيَّة صلاح أمور المسلمين، وصلاح قضاتهم وولاتهم، وخمود نيران الفتن ما ظهر منها وما بطن..»[1]

ثمَّ إنَّ الدليلَ الحِسّيَّ يؤكّدُ أنَّ دخول القهوة للأقطار العربيَّة إنّما حصلَ تحت جناح زعامة علي بن عمر الروحيَّة، وسطوة اسمه الثقافيَّة، ومن المعروف أنَّ معظم الحواضر الإسلامية في القرون الوسطى كان يعيش فيها معظم الطوائف الصوفيَّة، وهي وإن خفتَ حِسُّها مع تصرُّم السنين، بل ربما انقطع وجودها بالكليَّة في كثير من المدن، إلا أنَّ رواسبها في التقاليد والطقوس الاجتماعيَّة باقية إلى اليوم، فإنَّكَ تجدُ كثيرًا من البلدان العربيَّة تُسمى فيها القهوة بالشَّاذليَّة، كتونس[2]، والجزائر[3]، وهذا في دول الخليج أشْيَع.

بل ربَّما تجاوز الأمر تسمية القهوة بالشاذليَّة إلى اعتقاد شيءٍ من القداسة فيها؛ فقد كان من عادة البدو أن يسفحوا الفنجان الأوَّل من الدلَّة

(1) العطاس، عبد الله بن أبي بكر، حلاوة القرطاس في مناقب الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، مخطوط مصور لديَّ، ج1، ص30، منه نسخة على الإنترنت.

(2) ابن عامر، أحمد، تونس عبر التاريخ: منذ أقدم العصور إلى إعلان الجمهورية، مكتبة النجاح - تونس، 1960، ص208

(3) الأرناؤوط، محمد م، من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي، جداول للنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى، 2012م، ص38

على الأرض، احترامًا لروح الشاذلي مكتشِفِ القهوة[1].

وفي ريفِ الشَّام، يسفحون الفنجان الأوَّل على الأرض، ويسمون ما فيه «حصَّة الشاذلي»[2]، ويُخشى إن لم يفعلوا ذلك أن ينقلب الإبريق، وتُراق القهوة حتمًا.

وقد بقي هذا التقليد وما يشبهه معمولًا به عند البادية إلى وقتٍ قريبٍ، فقد ذكر المؤرخ الشيخ عاتق بن غيث البلادي (ت 1431 هـ) في كتابه (نسب حرب): «أمَّا القهوة التي يسميها البعض (الشاذلية) فلها تقاليد لطيفة، فكانوا إلى عهدٍ قريبٍ إذا صبوا القهوة في الفناجين يمدُّونها مع قولهم: صلِّ على النبي، ﷺ، فيرد ذلك بالصلاة. أو يقول: الذكر لله، والصلاة على النبي، وهذا أحسن. وقبل أن يتناولوا منها شيئًا يقولون: الفاتحة على نيَّة الشاذلي والخامري»[3].

وبهذا - وغيره - يترجَّحُ أنَّ مكتشفَ القهوة، ومشيعها، هو الشيخُ عليٌّ بن عمرَ القرشيُّ الشاذليُّ المخائيُّ.

بداية انتشار القهوة:

لم تكن خطوات القهوة في البلدان التي دخلتها وادعةً خفيفةً، ولم تكن هذه الحبوب السمراء بريئةً من اتّهام، فقد كانت هذه الحبوب الصغيرة الساحرة تعمل عمل المتفجّرات في الثقافات التي تدخلها، فتُقام لأجل قدومها السياط والمقاصل بدل الموسيقى ومراسم التشريف.

ويبدو أنَّ الإنكار على شُربِ القهوة بمعنييه الشرعيِّ والسياسيِّ، لم يكن

---

(1) البكر، القهوة العربية في الموروث (مرجع سابق)، ص216

(2) خنشت، يوسف موسى، صور من حياة النبك وجبل القلمون، مطبعة القديس بولس في حريصا، 1936م، ص30

(3) البلادي، عاتق بن غيث، نسب حرب: قبيلة حرب، أنسابها فروعها تاريخها وديارها، دار مكة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، 1404هـ/ 1984م، ص231

مطروقًا في سنين اكتشافِ القهوة وبدايةِ فشوِّها في اليمن على يد الشيخ علي بن عمر الشاذلي، وإن وُجِدتْ إشارة إلى بحث الموضوع في تلك الجهات، يؤيِّدُ ذلك ما يُنسبُ للشيخ العلّامة القاضي محمد بن سعيد كبُن الطبري (ت 842 هـ) قاضي عدن المتفنّن أنّه «أفتى بحلِّيَّتِها»[1]، والإفتاء بحليَّة أمرٍ أو حرمته لاحقٌ على التشكُّكِ فيه، والسؤالِ عنه، ويبدو أنَّ الأمر في تلك الجهة لم يكن يتجاوزُ الاستفسار عن هذا المشروب الطارئ؛ إذ لم يكن معروفًا قبل ذلك.

ظهور القهوة بمكة وبداية الإنكار عليها:

من الضروريِّ أن يكون أوَّل مكانٍ استقبلَ حبوب القهوة بعد شيوعها في اليمن هو مكة المكرمة، فالحجُّ كان -وما يزال- أحدَ أهمِّ روافد الثقافة المكيَّة من لدن سيِّدنا إبراهيم - عليه السلام - حتى اليوم. ومن البداهة أن تكون القهوة انتقلت إليها عن طريق الحاجِّ اليمني، وابتدأ ظهورها في مكة بعد ظهورها في اليمن بوقتٍ قصيرٍ.

يعتمد الباحثون في تأريخ دخول مشروب القهوة لمكة على ما نقله الجزيري، عن ابن عبد الغفّار في «دفع الهفوة»: «ثم في سنة أربع أو خمس من هذا القرن [أي العاشر الهجري]، سمعنا في مصر أيضاً أنها وصلت إلى مكة المشرّفة، وفَشَتْ فيها أيضًا فُشُوًّا كبيرًا»[2].

وقد ذكر ابن عبد الغفّار عن دخول البن لمكة رأيًا آخر وهو أنَّ «البُنّ كان موجوداً بمكة وغيرها قبل القهوة بسنين كثيرة، وكان قِشره يُرمى في القمامات كما هو مشهور جدًّا»، ويؤيِّدُ ذلك ما نقله الجزيري في (العمدة) من كلام فخر الدين أبي بكر بن يزيد المكي في (إثارة النخوة): «وأمّا نحنُ

---

(1) العيدروس، عبد القادر بن شيخ، الزهر الباسم من روض الأستاذ حاتم الأهدل، مخطوط بالمكتبة البريطانية - لندن، رقم 10 lot 683، ق277

(2) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق6

فقد أدركنا القشر يُرمى في مكة وغيرها منذ عشرين سنة وأكثر، ولم تظهر القهوة منه إلا في أواخر القرن التاسع».

فيبدو من النَّقلين السابقين أنّنا أمام تاريخين لظهور القهوة لمكة، مَرَّةً مشروبةً أوائل القرن العاشر، ومَرَّة مأكولةً في زمنٍ أسبق.

وعلى ذِكر هذه الطريقة في تعاطي القهوة -وهي أكل البُنِّ بعد إزاحة قشره بدلًا من شُربه- فقد كانت طريقةً مطروقةً بدايةَ انتشار البُنِّ في اليمن، قبل أن تخفُتَ، ويطغى عليها استخدام البن مشروبًا. فقد ذكر الإمام حمزة النَّاشري (ت 926 هـ) في منظومته «جلب الزَّبون في مدح البون»:

كُلِ البُـنَّ لا تعـدل ببنِّـكَ تَنبُـلا[1] لتعلـو بـه بيـن الأنـام وتَنْبُـلا

فـإنَّ لأكل البُـنِّ عنـدي منافعًـا رواهـا ثِقـاتٌ عن ثقـاتٍ على الوِلا

وفيها:

وإنْ مـا أردتَ الأكل منـه فـأوَّلَا أَزِح قِشْـره عـن شِـقِّه إنْ تَسَـهَّلَا

وكل منـه نَـزْرًا فوق عشـرينَ حبةً وإلا فَـزِدْ عشـرًا ومـن فَوقِهـا فلا

وقد كان بعضهم يمضغ البن، ثمَّ يجعل البنَّ الممضوغ في أحد الشِّدقين، وهذه الطريقة مأخوذة من الأحباش، لذلك نبَّه النَّاشري على فُحشِ هذا السلوك في نفس المنظومة، وشبَّهه بفعل القرود:

ولا تمـلأنَّ الفـمَّ مثـل زيالـعٍ[2] تـرى كلَّ شِـدقٍ كالقـرودِ قـد امتلا[3]

---

(1) التنبُل أو التَّنبُل أو التُّنبول: ورق نبات ينبت في بلاد الهند، يُستَعمل ممضوغًا بالنُّورة والفوفل في بلاد الهند، يقوّي اللثة، ويطيِّب رائحة الفم. وقد كان شائعًا في الحجاز واليمن. انظر: مروج الذهب للمسعودي (209/1)

(2) الزَّيالع: المنسوبون إلى برّ زيلع، أو مدينة زيلع، مدينة من بلاد الحبشة تقع اليوم في جمهورية الصومال، وكان يُطلق على بلاد الصومال والحبشة برّ زيلع، أو برّ العجم، وبرّ سعد الدِّين، نسبة للملك المجاهد سعد الدين.

(3) وهنا يشير إلى أنَّ أهل الحبشة كانوا يستخدمون البُنَّ ممضوغًا كالقات، يخزّنونه في الشِّدقين، ثمَّ يمتصون ريقه إلى الجوف، وقد دخلت هذه العادة إلى اليمن في البُنّ والقات، ثمّ تركوها في البُنّ، وبقوا عليها في استخدامهم

فَرُبَّتَمـا[1] قـد غيَّـرَ العيـنَ فِعلُـه ... أو الخَـدَّ حتَّى صار في الفُحش مُدخِلًا

وتراه في نفس المنظومة، يذكر القهوة التي تُعمل من البنّ:

كـذا قهـوةٌ بِعها بِبُـنٍّ إذا غـدتْ ... من القِشر لا من [حبة][2] البون تُعمَلا!

وإن قهـوةٌ بيعَـت بمثـلٍ لهـا فـلا ... يصِـحُّ لأجـلِ المـاء أو أن تؤجَّلا

وإن سَـلَمٌ فـي قهـوة البُون قد جرى ... فحرِّمـه للتأثيـر بالنَّـار يُصطلـى

فهذا وغيره من الشواهد يدلُّ على وجود طريقتين لتعاطي البنّ في اليمن والحجاز، مرَّة بصيغته المجردة، ومرَّة قهوةً مطبوخةً، ولعله ما جعل ابن عبد الغفَّار يقول: إنَّ البنَّ وُجِدَ قبل القهوة بزمن طويل، وأنَّ قشره كان يُرمى في القمامات، فلا جَرَمَ أن الفترة الوسيطة بين وجود البنّ حَبًّا في مكة، واستخدامه مشروبًا، كانت فترة استخدامه مأكولًا.

أما أنا فيظهر عندي أنَّ القهوة عُرِفَت مشروبةً - كما عُرفت مأكولةً - في مكَّة، في أوائل وقت ظهورها في اليمن، بداية القرن التاسع الهجري، أو قبله بقليل، أي في حياة مُحدِثها الشيخ عليّ بن عمر الشاذلي (ت 828 هـ)، ومستندي في ذلك ما رواه الشيخ عبد القادر بن شيخ العيدروس (ت 1061 هـ)، في «الزهر الباسم» عند حديثه عن القهوة، قال: «وأخبرني الفقيه الصالح عليُّ بن عبد الرحمن الجازاني، قال: سمعتُ سيدي الوالد يقول: إنَّ السيد الولي الكبير الشَّريف الرُّديني وصل إلى [مكة] لزيارة الصالحين، وكان مولعًا بشرب القهوة، هو وكافَّة أصحابه، وكان إمام الحرم الشريف يكره هذه الحالة، والتعاطي بها في هذا المحلّ الشريف، فأرسل إليه بعض الأشراف في درسه، وقال له: قل للسيِّد الرديني: لا يَشرَبْ هذه القهوةَ في هذا المحلِّ بهذه الكيفيَّة. فلمَّا وصَلَ إليه وأعلمه ما قال إمام

القات، رفع الله شرّه عن بلاد المسلمين.

(1) رُبَّتَما: رُبَّة، مؤنث رُبَّ حرف الجر، دخلت عليها "ما" الزائدة.

(2) أضفتها لإتمام المعنى.

الحرم الشريف، أجابه السيد الرديني بالسمع والطاعة، فَتَعِبَ الإخوان والفقراء.

فلما كان عصر ذلك اليوم، طلَبَ السيد الرديني طابخ القهوة، وقال له: زِد في العبرة مرتين على العادة؛ فانشرح الإخوان والفقراء. فلمَّا كان صبيحة اليوم الثاني، أصبح رسول إمام الحرم الشريف في حضرة السيد الرديني، يشربُ القهوة مع الفقراء، فتعجَّب منه شيخه وطلبه، وسأله عن ذلك، فقال لشيخه: يا سيدي هذه الليلة رأيتُ النبي ﷺ وهو يقول لي: يا ولدي اترك الرديني، فإنه على الحق

فقام إمام الحرم الشريف واجتمع هو وأصحابه في حضرة السيد الرديني، وشرب القهوة في حضرته»[3].

وبغضِّ النَّظر عن الجانب الغيبيِّ من القصَّة، فإنَّ ثبوت أصل القصة يؤكِّد أنَّ القهوة عُرِفَت بمكة مشروبةً في أواخر القرن الثامن الهجري، أول بداية القرن التاسع؛ فالشريف أحمد بن محمد الرُّديني، الوارد في القصَّة، المتوفى في طريق رجعته من الحج سنة 827 هـ[4]، كان أحدَ المعاصرين لعليٍّ بن عمر الشاذلي، بل والآخذين عنه، والمؤاخين له، كما ذكر البُريهي في تاريخه[5].

ومما سبقَ يتبيَّنُ أنَّ القهوة قد عُرِفَت في مكَّة المكرمةِ في زمان قريبٍ من زمنِ ظهورها في اليمن، أواخر القرن الثامن، أوائل التاسع الهجري، كما عُرِفَت مأكولةً ومشروبةً في نفس الفترة، وأنَّ الإنكار عليها قد حدث في أوائل القرن التاسع الهجري، لكن لا على وجه الحُرمَة الشرعيَّة بل على وجه الأدب والذَّوق، واللياقة الاجتماعيَّة.

---

(3) العيدروس، الزهر الباسم (مرجع سابق)، ق 286

(4) الشرجي، أبو العباس أحمد الزبيدي، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع - صنعاء، الطبعة الأولى، 1406 هـ/ 1986م، ص84، 85

(5) البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكي، طبقات صلحاء اليمن، ص267

وهذا يجعلنا نتطرّق لبداية الإنكار الفعلي عنيفًا في مكة المكرمة، فقد كانت مكة المكرمة، مسرحَ أوّلِ إنكارٍ علنيٍّ، حدث عام 917 هـ برعاية سياسيّة، الحدثُ الذي فجّرَ حربًا أدبيّةً طاحنة بين العلماء، أدَّت إلى تكاثر الرسائل والمؤلفات في موضوع القهوة، وذيوع هذا المشروب إلى كلِّ الأقطار[1].

ولعلَّ أوّل من توسَّع في نقلِ تفاصيل هذه الحادثة هو العلّامة أحمد بن عبد الغفّار المالكي في كتابه (دفع الهفوة في حِلِّ القهوة)، وقد كان في مكة وقتها، يقول: «ثم حدَث الإنكار عليها بمكة المشرّفة ونحن بها عام سبعة عشر وتسعمئة، وكان القائم في ذلك رَجُلَين أعجميّين أخوين، كازَرونيَّيْن مشهورين بالحَكيميْن، وبالأخوين أيضًا، وكان لهما فضيلة في المنطق والكلام، ومشاركة في الطب، ويدّعيان مرتبة في الفقه لم تُسلّم لهما»[2]. وأساس تأليف كتاب ابن عبد الغفّار هو الرَّدُّ على من حرّم القهوة، وقد أتى على عبارات المحضر المرفوع إلى السلطان قانصوه الغوري بالتفكيك والتسخيف عبارةً عبارةً، ثمَّ بحث القضيّة بحثًا أصوليًّا رصينًا؛ لينتهي إلى تحليل القهوة بما لا يُدفَع.

وقصّة المحضرِ أنَّ ناظر الحسبة بمكة «خاير بك»، وبعد خروجه من صلاة العشاء في الحرم، ليلة الجمعة، الثالث والعشرين من ربيع الأوّل، وفي طريقه لبيته، شاهدَ جماعةً من النَّاس بناحية من نواحي الحرم، مجتمعين في عمل المولد، و«وجد بينهم شيئاً يتعاطونه على هيئة الشَّرَبَةِ الذين يتعاطون المسْكِر المنكر، ومعهم كأس يديرونه، ويتداولونه بينهم»[3]، فأوجسَ في

(1) سجّل هذا المحضر بحروفه وناقشه ابن عبد عبد الغفار المالكي (كان حيًّا) في «دفع الهفوة»، ونقل عنه بل اختصر مؤلفه عبد القادر الجزيري (ت 974 هـ) في كتابه «عمدة الصفوة في حلِّ القهوة».

(2) ابن عبد الغفار، أحمد بن موسى المالكي، دفع الهفوة في حلِّ القهوة، مخطوط بمكتبة عارف حكمت - المدينة المنورة، رقم 1415، ق6

(3) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق8

نفسه إنكارًا، فلما سألهم عن الشراب الذي يديرونه بينهم، «قيل له: إنّ هذا شراب قد اتُّخِذ في هذا الزمان، وسُمِّيَ القهوة، يُطْبَخُ من قِشْر حبّ يأتي من بلاد اليمن، يقال له البُنّ، وأنّ هذا الشراب المذكور قد فشا أمره بمكة، وكثُر وصار يُباع في مكة في أماكن على هيئة الخمّارات، ويجتمع إليه بعض الناس من رجال ونساء بدُفٍّ ورباب وغير ذلك من آلات الملاهي، ويجتمع في الأماكن التي يُباع فيها من يلعب بالشطرنج، والمنقلة، والكنجفة، وغير ذلك، بالرّهن وغيره، مما هو ممنوع في الشريعة المطهّرة حماها الله من الفُسّاق إلى يوم التلاق»[1].

فما كان من الأمير إلا أن أنكر عليهم، وفرّقهم، فلما أصبح الصَّباح «جَمَعَ قضاة الإسلام، وعلماء الأنام، ممن هو مُتّصف بمعرفة العلم والتصوف والصلاح والزهد والورع والدين، ممن يُقتدى بقولهم وفعلهم، من السادة الشافعية والحنفية والمالكية»[2]، وأحضر لهم القهوة في إبريقٍ كبيرٍ، وأخذ يناقشهم في أمرها، وأمرِ اجتماع الناس عليها بتلك الطريقة الموصوفة، فأجابوا أجمعين «بأنَّ اجتماع النَّاس عليها على هذه الهيئة حرامٌ اتفاقًا»[3]. أمَّا البُنُّ، فهو نباتٌ، الأصل فيه الحِليَّة، ومرجع أمره إلى الأطبَّاء. فلما كان هذا هو الأمر، أحضر الناظرُ الأخوين الشَّيخين نور الدين أحمد العَجَمي الكازروني، وأخاه علاء الدين عليًّا، وهما «أعيان السادة الأطباء بمكة»[4]، وسألهما عن البُـنِّ فأجابا بأنّه «باردٌ يابِسٌ، مفسدٌ للبدن المعتدل»[5]، وأقاما شهادتهما في المجلس بما يعرفان.

(1) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق8

(2) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق8

(3) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق8

(4) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق9

(5) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق9

ثمَّ استُشهِدَ من في المجلسِ، فشهِد «جماعةٌ» من الحاضرين أنَّ القهوة المذكورة ذُكِرَ لهم أنها حلالٌ فجربوها، «فتغيّرتْ حواسُّهم وأنكروا هيئتهم، وتغيّر عقلهم، وحصل بذلك الضرر في أبدانهم»[1].

فلما سمع المشايخ الحاضرون شهادة أهل الطبّ، وكذا شهادة المجرِّبين، لم يجدوا بُدًّا من الإجماع على تحريمها في ذلك الظَّرف، والشهادة بخطوطهم على ذلك.

ولمَّا حصل ذلك في مجلس الناظر، وانعقد الأمرُ على التحريم، «أشهر الأمير النداء بالمنع من شربها وبيعها، وشدّد في ذلك، وعزّر جماعة من باعتها، وكبَسَ مواضعهم، وأخرج ما وجده فيها من قشر البُنّ وأحرَقَه في وسط المسعى، فبطلتْ [القهوة] حينئذ من السوق، وكان الناس لا يشربونها إلا خفيَةً في بيوتهم اتّقاء شرّه؛ لأنه بلغه عن شخص أنه شربها فعزّره، وطاف به في الأسواق»[2].

ورفعَ الأمير خاير بك، المحضر ومعه سؤالٌ إلى السلطان قانصوه الغوري، وطلبوا منه مرسومًا سلطانيًّا بمنعها، لكنه تأخَّرَ.

ويرى ابن عبد الغفَّار أنَّ معظم المشايخ الذين وقَّعوا على المحضر «كانوا عارفين بحقيقة الحال، بلْ من شُرّاب القهوة المواظبين عليها، ولم يكن لهم غرض في الكتابة، وإنما كتبوا اتقاء فحش الأمير؛ لأنه كان متعصِّباً في المسألة جدًّا

وكان مع ذلك سفيه اللسان، جريئاً على القضاة وغيرهم من الأعيان وغيرهم».

غير أنَّ شيخًا واحدًا من المشايخ، هو الشيخ نور الدين ابن ناصر

(1) ابن عبد الغفار، دفع المفوة (مرجع سابق)، ق9

(2) ابن عبد الغفار، دفع المفوة (مرجع سابق)، ق7

الشافعي، لم يعجبه ما انتهى إليه المجلس من الإجماع على التحريم فـ«تصدّى لـمُعَارضتهم، ولكنه سمِعَ ما لا ينبغي ذكره، بل كفّره بعض أهل المجلس من أجل كلام صدر منه أثناء البحث؛ مع أنه في غاية الصحة لا محيص عنه أصلا؛ فضْلاً عن أن يترتب عليه أدنى محذور»[1].

أمّا عن «الجماعة» التي شهدت بتغيُّر أحوالهم، فليسوا سوى رجلينِ «أحدُهما عاميّ محْض، سقطيٌّ في المسعى، يقال له (خَرْيَه بَرْيَه)

والثاني رجلٌ أعجميٌّ ضريرٌ حافظٌ للقرآن، فقيرٌ من بلد الحَكَمَيْن، ومُتردّد عليهما، واسمه حافظ، وقد ألبسوهما زي الفقهاء، وأحضروهما المجلس إيهاماً لأنهما من أهله؛ ترويجاً لقبول شهادتهما التي واطؤوهما عليها قبل عقد المجلس؛ لعدم وجدان من يوافقهم عليها مطلقاً غيرهما

بل قيل: إنّهما ارتشيا عليها»[2].

وهكذا يمضي ابنُ عبد الغفَّار في تفكيك ملابسات هذا المحضرِ ونقدِه نقدًا لاذعًا، فهو أحدُ المعاصرين له، والعارفين بأهله.

على أيّة حالٍ، لحقَ كتابةَ المحضرِ السابق، كتابةُ سؤال لحضرة السلطان قانصوه الغوري بالقاهرة، نصُّه: «ما قولكم - رضي الله عنكم - في مشروب يقال له القهوة شاع شُربه في مكة وغيرها؛ بحيث يتعاطونه في المسجد الحرام وغيره، يُدار بينهم بكأس من إناء آخر، وقد أخبر خلقٌ ممن تاب عنه بأن كثيرُه يؤدي للسكر، وأخبر عُدُولٌ من الأطباء بأنه مُضِرٌّ بالأبدان، وقد مَنع من شُربه من يُعتدّ بقوله من العلماء بمكة والزهاد بها، وهناك شاهدٌ جاهلٌ جعلَ نفسه واعظاً، وأفتى الفُسّاق بـحِلِّ شربها، فقيل له: ما تقول في هذه الإدارة على هذه الصفة؟ فقال:

(1) ابن عبد الغفار، دفع الغفوة (مرجع سابق)، ق9

(2) ابن عبد الغفار، دفع الغفوة (مرجع سابق)، ق11، 12

الشارع أدار اللَّبَن، فقيل له: أخطأت؛ لم تكن إدارة اللَّبنِ على هذه الصفة. فهل يَحِلُّ شُربه على الوجه المذكور؟ أم يحرُم مطلقاً لكونه مسكراً أو مضراً بالأبدان؟ وماذا على هذا الجاهل المبيح لشربه؟ وهل يجب على ولي الأمر – أيده الله تعالى – إزالة هذا المنكر والمنع منه وردع هذا الجاهل ومن يقول بقوله أم لا؟ وما الـحُكم في ذلك؟ أفتونا مأجورين وابسطوا الجواب أيدكم الله تعالى آمين»[1].

وقد عُرِضَ السؤال في القاهرة على أكابر مشايخها، وأهل الفتوى فيها من المذاهب الأربعة، وكتب معظمهم على السؤال بالتحريم، ورُفع للسلطان الغوري، فجاء مرسومه: «وأما القهوة فقد بلغنا أن ناسًا يشربونها على هيئة شرب الخمر، ويخلطون فيها الـمُسكر، ويُغَنُّون عليها بآلة، ويرقصون، ويتكسرون. ومعلوم أن ماء زمزم إذا شُرب على هذه الهيئة كان حراماً، فليمنع شُرَّابُها من التظاهر بشربها، والدوران بها في الأسواق»[2].

وشتَّان ما بين السّؤال – وقبله المحضر – والمرسوم السلطانيِّ الذي جاء هادئًا، متَّزِنًا، موفَّقًا، ليس فيه تصريحٌ بتحريم عينِ القهوة، ولا تأييدٌ لاتجاه أصحاب السؤال الساعين لقمع المبيح لها الشيخ نور الدين الشافعي. وقصارى ما ذهب إليه المحضر هو: منع شُربها على هيئة الخمر، وخلطِها بالمُسكِرِ، والتَّظاهر بها والدوران في الأسواق!

كان المنع من بيع وشرب القهوة قد حصل بمكة بعد المحضر، وحين جاء مرسوم السلطان الغوري مخيِّبًا لآمال أهل المحضر، «تجاسر الناس على شربها، لا سيما وقد بلغهم أنها لم تُمْنع من مصر التي هي بلد السلطان، ولم يُنكرها أحد من علمائها إذ ذاك، وفتر خاير بك عن التسلّط على الناس بسببها

(1) ابن عبد الغفار، دفع المفوة (مرجع سابق)، ق 12، 13
(2) ابن عبد الغفار، دفع المفوة (مرجع سابق)، ق 12

فازداد الأمر فتوراً، والقهوة ظهوراً»[1].

وقد أُعفي خاير بك عامَ 918هـ من إمارة مكة، وقدِمَ عوضًا عنه الأمير قطلباي الذي أكثر من شُربِ القهوة «فاشتهرت أضعاف شهرتها الأولى»[2]، ولم يزل حال القهوة في ظهورٍ، ومقاهيها في انتشارٍ، ولم يتعرَّض لها أحدٌ بالمنع.

ولكن لمَّا قدِمَ الشيخ الكبير محمد بن علي بن عراق لمكة، في ذي القعدة من عام 932 هـ؛ «لإطفاء الفتنة التي أطفاها الله تعالى بوصوله بين الشريف أبي نمي بن بركات والأرْوام»[3]، أشار على الحكام بإبطال بيوت القهوة، «لِـما كان يُوحَى إليه أنه يُفعل فيها من المنكرات؛ مع تصريحه بحلِّها في حد ذاتها غير مرّة لغير واحد؛ بحيث بلغ ذلك مبلغ التواتر المفيد للقطع»[4].

واستمرَّ هذا المنع مؤقَّتًا، حتى توفي الشيخ محمد بن عراق، بعد قدومه لمكة بأشهر، خامس صفر سنة 933 هـ بمكة؛ فرجع الحال إلى ما كان عليه من التَّظاهر ببيع القهوة وشُربها، بل «إنَّ باعَة القهوة بمكة يزيدون على الخمسين»[5] في ذلك الوقت.

ثمَّ وردَ في – عَشْرِ الخمسين وتسعمئة – في موسم الحاج حُكمٌ سلطانيٌّ جديدٌ بمنع القهوة، وإبطال دكاكينها، ومنع باعتها من التَّسبُّبِ بها؛ بسبب شكوى امرأة كانت مجاورةً بمكة.

علَّق الجزيري على الحادثة: «فامتُثِل ذلك جميعُه يوم المناداة، ثمَّ تعدَّدت بيوتها ونعوتها لذويها من غير مبالاةٍ من الولاة، وشُرِبَت في موسم

(1) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق 7
(2) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق7
(3) العيدروس، النور السافر (مرجع سابق)، ص174
(4) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق7
(5) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق7

تلك السنة جهَارًا، ودام استمرارُها».

ولعلَّ هذا المنع لم يكن أكثر من مجاملةٍ سلطانيَّةٍ لشكوى المرأة الروميَّة التي جاورت في مكة، أو هو ما استقرَّ في وجدان المكيين أنَّ هذه المراسيم العابرة للثقافاتِ لم تكن أكثر من بهارجَ سُلطانيَّةٍ لا أثر لها بعد انتهاء قراءة المرسوم، بل إنَّ حاملي المراسيم أنفسَهم ربَّما شعروا بهذا الإحساس، فقد ذكر ابن حجر الهيتميُّ في «ثَبَته» أنَّ حاملي مراسيم المنع السلطانيَّة أنفسَهم كانوا «إذا خلوا [من قراءة مراسيم المنع] طلبوها [أي القهوة] وشربوها، وقالوا لأهلها: إذا ذهبنا فافعلوا ما شئتم»[1]، ولم يوثَّق أنَّ الأمر آل إلى المنع في مكة بعد ذلك.

ظهور القهوة بالقاهرة، وبداية الإنكار عليها:

فشا شرب القهوة في القاهرة بعد فشوِّه في مكة المكرمة، ويذكر ابن عبد الغفَّار أنَّه «في سنة ثمان، أو تسع وصلتْ إلى مصر، وكان ظهورها في حارة الجامع الآن هو المعمور بذكر الله. وكانت تُشرب في نفس الجامع في رواق اليمن، وكان يشربها فيه اليمانيون ومن يسكن معهم في رواقهم من أهل الحرمين الشريفين»[2].

إذن عُرفَت القهوة في مصر سنة 908 هـ تقريبًا، وكانت تُشرب في رواق اليمانيين بالأزهر الشريف، ويشربها معهم أهل الحرمين، وأكثر من اعتنى بشربها منهم أوَّل الأمر: المتصوِّفة المشغولون بالرواتب والأذكار، يشربونها كل ليلة إثنين وجمعة، «وكان يشربها معهم موافقة لهم من يحضر الراتب من العوام وغيرهم، وكنا ممن نحضر معهم

(1) ابن حجر، أحمد بن محمد الهيتمي، ثبت الإمام شيخ الإسلام ابن حجر الشافعي، تحقيق: د. أمجد رشيد، دار الفتح للدراسات والنشر - عمّان، الطبعة الأولى، 1435هـ/ 2014م، ص418

(2) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق6

وكان يشربها معهم من أهل الجامع من أصحابنا وغيرهم خَلْق لا يُحصيهم إلا الله»[1].

وقد استمرَّ الحال في الجامع الأزهر الشريف كذلك حتى سنة 915هـ، إذ قلَّ المعتنون بشربها داخل الجامع «لكنها كانت تُشرب كثيراً في حارته، وتُباع فيها جهرًا في عِدّة مواضع، ولم يتعرّض أحَدٌ في هذه المدّة - مع طولها - لشُرّابها، ولا أنكر شُربها، لا لذاتها، ولا لوَصْفٍ خارج عنها من إدارة أو غيرها؛ كما يشهد بذلك كله من كان في الجامع الأزهر إذ ذاك ووقف على هذه الأحوال»[2]

ثمَّ في عام 939 هـ رُفع سؤال عن القهوة إلى حضرة الشيخ أحمد بن عبد الحقِّ السنبَاطي (ت 950 هـ) الواعظ بالجامع الأزهر، صورته: «ما قولكم - رضي الله عنكم - في شرابٍ يُسمونه القهوة، يجتمع عليه جماعةٌ يشربونه، ويزعمون أنَّه مباح، مع أنه يترتَّبُ عليه مفاسد كثيرة، فهل ذلك جائزٌ أم حرام؟»[3]

فبالغ الشيخ في النَّكير على القهوة، واستدلَّ على ذلك بـ «أنَّ جماعاتٍ كثيرينٍ ممن شربها وتاب منها؛ ذكر أنَّها مُسكرة»[4]، ثمَّ راح يعدِّدُ معايبها، ويستدلُّ على تحريمها بما لا دليل فيه من «أنَّ هذا الشراب ليس هو حلو الطَّعم، وليس فيه لِذَّة، ولا يُستعمل غالبًا إلا وهو حارٌّ، وكثيرٌ ممن يستعمله عنده قِلَّة دين، ويُقدِّمها على عِياله، بل رُبَّما يُقدِّمها على قوت نفسه، فلولا نشاة وطربٌ يحصل لهم من ذلك لما فَعلوا ذلك»[5]، إلى آخر ذلك مما استدلَّ به على كونها مسكرةً مُذهِبةً للعقل، ومفسدةً للبدنِ، ثمَّ انتهى إلى تحريمها.

---

(1) ابن عبد الغفار، دفع المفوة (مرجع سابق)، ق6

(2) ابن عبد الغفار، دفع المفوة (مرجع سابق)، ق6

(3) الجزيري، عمدة الصفوة (مرجع سابق)، ص53

(4) السنباطي، أحمد بن عبد الحق، رسالة في تحريم القهوة، مخطوط مكتبة طرابزون، ق1. نسخة استفدتها من الأستاذ عبد العزيز اليحيى، رئيس قسم المخطوطات بمكتبة الملك عبد العزيز سابقًا.

(5) السنباطي، مرجع سابق، ق2

ويبدو أنَّ الشيخ أحمد بن عبد الحقّ، قد ورث هذا الموقف المناهض للقهوة من والده الشيخ عبد الحقّ بن محمد السُّنباطي (ت 931 هـ)، فقد كان والده أحدَ الموقّعين بتأييد حرمة القهوة على السؤال الذي رُفع لعلماء مصر سنة 917 هـ، أيّام الإنكار على القهوة بمكة[1].

مرَّ الجواب الذي كتبه الشَّيخُ للسؤال المرفوع دون إنكارٍ يُذكر، حتى كانت سنة 941 هـ، حين «تعرَّضوا للشيخ في مجلس وعظه بذكر القهوة»[2]، و«كان يحضر درسه ألوفٌ مؤلَّفةٌ من العوامّ على اختلاف طبقاتهم وجهلهم وغباوتهم»[3]، فأفتى بحرمتها على ما كتب في رسالته السابقة، فتعصَّب لما قال جماعةٌ من العوامّ، وخرجوا «كالأسود الضارية؛ فدخلوا بيتها، وضربوا أهلها، ونهبوا أموالهم، وكسروا أوانيهم»، فانزعج نائب السلطان بمصر لمَّا بلغه ذلك، وقد حرص بعضُ من يكنُّ للشيخ الحسد أن يحرّكوه ضِدَّ ابن عبد الحقّ، فأرسل الباشا لوقته إلى الشيخ من يقول له: «الزم بيتك، فلا تعظ بعد اليوم، ولا ترتقِ المنبر للخطابة، ولا تُفتِ، ولا تُدرِّسْ، ولا تؤمَّ بالنَّاسِ»[4].

ثم يروي شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي ردَّة فعل الناس في مصر على ما فُعلَ بأهل القهوة، وفيها أنَّه «اجتمع أهل اليمن والحجاز وغيرهما، وخرجوا في أزقَّة مصر يُنشدون ويبالغون في التَّضرُّع والدُّعاء على من أفتى بحرمة القهوة، وأمرَ أن يُفعلَ بأهلها ما فُعِلَ، وصار لهم تخشُّعٌ وأصواتٌ مُضربةٌ، ومن جُملة إنشادهم: "الغارة يا سيِّدَ الكونين"، وداموا على ذلك مدّة وعظم سرورهم بمنع الشيخ من وظائفه الخمس السابقة، وصاروا يتبجّحون ويقولون: هذا من بركة القهوة!»[5].

(1) ابن عبد الغفار، دفع الفهوة (مرجع سابق)، ق14

(2) الجزيري، عمدة الصفوة (مرجع سابق)، ص53

(3) ابن حجر، ثبت ابن حجر الهيتمي (مرجع سابق)، ص416

(4) ابن حجر، ثبت ابن حجر الهيتمي (مرجع سابق)، ص417

(5) ابن حجر، ثبت ابن حجر الهيتمي (مرجع سابق)، ص416

وقد أثار موقف الشيخ ابن عبد الحق السُّنباطي فتنةً كبيرة، احتيج معها للاستفتاء في أمر القهوة، فاتصل الأمر بقاضي قضاة مصر إذَّاك، الشيخ محمد بن إلياس الحنفي، فأفتى بحلِّيتها، ولم يكتف بذلك، بل أمرَ أن تُطبخ القهوة في بيته، وسقى منها جماعات من الناس، وجلس يتحدَّث إليهم معظم النّهار؛ ليختبرهم، فلم ير منهم تغيُّرًا، ولا شيئًا أنكره، فأقرَّها على حالها[1].

ويبدو أنَّ موقفَ ابن عبد الحقِّ أنتج موجة سخطٍ بين العامَّة والعلماء على حدٍّ سواء، فتناوله بعض أهل المجون بألسنتهم، حتى كتب فيه بعضهم:

إن أقوامًا تعدَّوا	والبلا منهم تأتّى
حَرَّموا القهوةَ عَمدًا	وَرَوَوا إفكًا وبُهتًا
إن سألتَ النَّصَّ قالوا:	ابن عبد الحقِّ أفتى
يا أولي الفضلِ اشربوها	واتركوا من قال بُهتًا
ودعوا العذَّال فيها	يشربون الماء حتى[2]

وكذا الحالُ مع الشيخ أبي الحسن البكري (ت 952 هـ)، حين آنسَ من النَّاس ضيقًا وحنقًا، أفتى بتحليلها نظمًا، وتعرَّض للشيخ ابن عبد الحقِّ:

أقول لمن قد ضاق بالهم صدره	وأصبح من كثر التشاغل في فِكْرِ
عليك بشرب الصالحين فإنه	شرابٌ طهورٌ سامي الذِّكرِ والقَدْرِ
فمطبوخُ قشر البن قد شاع ذكره	عليكَ به تنجو من الهَمِّ في الصَّدرِ
وخل ابن عبد الحق يفتي برأيه	وخذها بفتوى من أبي الحسن البكري[3]

(1) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق7

(2) القاسمي، جمال الدين، رسالة في الشاي والقهوة والدخان، ص21

(3) العيدروس، النور السافر (مرجع سابق)، ص385

ولم يزل أمرُ القهوة بمصر متذبذِبًا بين المنع والسماح، لم يصدر فيه مرسومٌ قاطع. ومع أنَّ محصَّل فتوى قاضي القضاة بمصر الحِليَّة، إلا أنَّ الساحة الفكريَّة لم تزل مشغولةً بالصراع الفقهي في أمرِ القهوة، ولا يزال النَّاس يسألون العلماء عن حكمها، حتى كثُرت فتاواهم في حِلِّها وحُرمتها.

وفي إحدى ليالي شهر رمضان المبارك من عام 945 هـ وافى صاحبُ العَسَسِ أحد بيوت القهوة، «إمَّا من تلقاء نفسه، أو لأمرٍ أوحيَ إليه»، وأخرج من كان فيه، واقتادهم بالحديد إلى منزل السوباشاه فباتوا فيه، ثُمَّ أطلقوا منه صباحًا بعد أن ضرب كل واحدٍ منهم 17 ضربةً، ثمَّ عاد الحال إلى ما كان عليه بعد يومين أو نحوها[1].

ثمَّ في عامِ 968 هـ وردَ «حُكمٌ شريفٌ» من باب السلطان العالي في عهد سليمان القانوني، يقضي بمنع المنكرات والمسكرات والمحرَّمات، ومنع استعمال القهوة والتجاهر بشربها، وهدم كوانينها، وكسر أوانيها

وقد تعجَّب الجزيري من حرصهم على باعة القهوة دون باعة البَرْش والحشيش، بل إنَّهم «أذنوا لباعة البرش والحشيشة في فتح حوانيتهم، وبيع ذلك من غير نكير»، وعن إنكارهم على باعة الخمر في نفس الحملة، يقول: «وأمَّا بيع الخمر فهو فاشٍ من غير تحريمٍ شديدٍ، إلا كتحلَّة القَسَم»[2]!

ويبدو أنَّ طاقة أصحاب الشرطة قد ضعفت عن ملاحقة شُرَّابِ القهوة بعدها، وبقي الإنكار عليها محصورًا في فضاء الوعظ والخطابة، وما زال ينحسرُ حتى اختفى.

---

(1) ابن عبد الغفار، دفع المفوة (مرجع سابق)، ق7، 8

(2) الجزيري، عبد القادر بن محمد، الدرر الفرائد المنظَّمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظَّمة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ 2002م، ج2، ص633

ظهور القهوة في الشَّام، وبداية الإنكار عليها:

لم تكن حواضر الشام - وقبلها القاهرة - بمنأى عن الأحداث التي حصلت بمكة حول القهوة، وقد كانت هي الأخرى مسرحًا آخر من مسارح السجال الأدبي في شأن القهوة. فقد كانت العلاقات بين العواصم العربيَّة الرئيسيَّة الثلاث: مكة ، والقاهرة، ودمشق، وثيقةً؛ لاتصالها بمكَّة من ناحية دينيَّة، كون مكة محلَّ الحجِّ الذي تتسرَّبُ له قوافل الحجَّاج من جميع الحواضر الإسلاميَّة، وأهمُّها: القاهرة (منطلق الحاجّ المصري وملتقى قوافل الحاجّ المغربي والأفريقي)[1]، ودمشق (منطلق الحاجّ الشامي وملتقى قوافل الحاجّ التركي ومن يليه من أهل تلك الجهات)[2]، وكذلك لكون هذه العواصم تابعةً لسلطةٍ سياسيَّةٍ اسميَّةٍ واحدة، أيام المماليك، والعثمانيين.

ثمَّ إنَّ الحجَّ موسمٌ تلتقي فيه العلماء، ويتبادلون الإجازات العلميَّة، ويأخذون أسانيد بعضهم في العلم، وربَّما جاوروا بمكَّة أو المدينة إلى موسم الحجِّ التالي، أو لبقيَّة حياتهم، فلا يُستغربُ انتقال القهوة -وهي رفيقة مجالس العلم والذِّكر وقتَها- إلى هذه الأقطار من مكَّة، بفعل هذ الاتِّصالات، وقد مرَّ معنا دخولها لمكَّة بفعل الحاجّ، ولا يبعدُ أن يكون خروجها من مكَّة إلى الأقطار الإسلاميَّة بفعل الحاجِّ كذلك، أو بمن انتقل من مكَّة والقاهرة إلى الشام، وسيأتي بيان هذا.

أورد ابن طولون الصالحي الدمشقي (ت 953 هـ)، أول إشارة لدخول القهوة لدمشق وشربها فيها، وكان ذلك في معرض حكايته اجتماع قاضي

(1) جلال، آمنة حسين، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم القرى، 1407هـ/ 1987م، ص5

(2) جلال، المرجع السابق، ص5

الحنفيَّة بمكة بديع الدين ابن الضِّياء الحنفي، بالشيخ عليٍّ بن محمد بن عراق (ت 963 هـ)، في مجلس الشيخ عليٍّ الكيزواني (ت 952 هـ) بدمشق، سنة 941هـ، حيث «سمع المولد وشرب هو والشيخ علي وجماعته القهوةَ المتّخذةَ من البن».

قال ابن طولون: ولا أعلم أنها شربت في بلدنا هذه يعني دمشق قبل ذلك[1].

وكان سفر القاضي ابن الضِّياء من مكَّة إلى دمشق، صبح الجمعة، خامس عشر شهر ذي الحجَّة سنة 939هـ مع قافلة الحاج الشاميِّ، وحصل ذلك بعد أن عُزِلَ من قضاء مكَّة وجدة سنة 935هـ[2].

ويحكي ابن طولون كذلك في (ذخائر القصر) عن رجلٍ مكِّيٍ آخر، هو الشيخ أبو اللطف عبد اللطيف بن عبد الله باكثير، المتوفى حدود سنة 950 هـ، قدم سنة 937 هـ إلى دمشق، واجتمع بابن طولون، وقرأ عليه[3]، ثمَّ خرج من دمشق سنة 938هـ، وعاد إلى دمشق سنة 941هـ، وصاحب فيها الشيخ أبا الفتح محمد بن عبد السلام المالكي (ت 975 هـ) الذي كان «مغاليًا في نصرة القهوة المتخذة من البن»[4]، إلى رحلة الحجِّ في شوَّال من تلك السنة[5]، وله في القهوة موشَّحٌ لطيفٌ يمدح فيه القهوة.

ثمَّ في ترجمة عليٍّ بن محمَّد بن عراق، يشير ابن طولون إلى أنَّ ابن عراق دخل دمشق سنة 947هـ، وأنَّه «أشهر شرب القهوة بدمشق، فاقتدى

---

(1) الغزي، الكواكب السائرة (127/ 2)

(2) ابن فهد، جار الله بن فهد المكي القرشي، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، ت: د. محمد الحبيب هيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، 1420 هـ/ 2000م، ص543

(3) ذخائر القصر، ص 426

(4) الغزي، الكواكب السائرة (20/ 3)

(5) الغزي، الكواكب السائرة (180/ 2)

به الناس، وكثرت من يومئذ حوانيتها»[1]. فيبدو أنَّ القهوة قد أخذت طريقها إلى دمشق سنة 940 هـ (وربما قبل ذلك)، ثمَّ ما زالت تفشو حتَّى أشهرَ شربَها ابنُ عراقٍ، فاقتدىٰ به النَّاس.

وما كان لهذا الفشوِّ أن يمرَّ دون سؤال من العامَّة والخاصة عن حكم هذا المشروب الجديد، ولن يعدم هذا الفشوُّ معارضةً شديدة من جهةٍ أخرى، كيف وأحبار الموقعين على محضرِ مكة -وبعده السؤالِ المرفوع لمصر سنة 917 هـ- لم تجفَّ بعدُ؟

فانبرى- في طليعة المناهضين لهذا المشروب - الشيخ العلامة الواعظ يونس بن عبد الوهاب العيثاوي (ت 977 هـ)، الخطيب بالجامع الجديد بدمشق، وكان ممن يتشدَّدُ في تحريم القهوة، والإنكار على شاربيها فوق المنبر، وكان يرى أنها «أقبح مصيبةٍ حدثت في الدِّين، فشت وظهرت بين المسلمين»[2]!

وقد ألَّف العيثاوي رسالةً في تحريم القهوة[3]، ذهب فيها إلى تحريم القهوة؛ عينًا وصفةً، لإسكارِها وإضرارِها، بل رُبما تجاوز - عفا الله عنه - وكفَّر من قال: «أشربُها على رغم العلماء الذين ينهون عن شُربها»[4]!

وشايع في هذا التحريم أيضًا، الشيخ العلامة المفتي قطب الدين محمد بن سلطان، المعروف بابن سلطان الحنفي (ت 950 هـ)، وكان يقول: «إنها من جملة المصائب التي حدثت بهذا الزمان»، ويسمي بيت القهوة

---

(1) الغزي، الكواكب السائرة (2/ 196)

(2) العيثاوي، يونس بن عبد الوهاب الدمشقي، قول أهل السنة في تحريم القهوة، مخطوط بمكتبة برلين - ألمانيا، رقم Wetzstein_II_1716 ق2

(3) هي التي أشرنا إليها في الحاشية السابقة.

(4) العيثاوي، مرجع سابق، ق6

«الخمارة»[1].

و قد انضَمَّ إلى المانعين بعضُ أعيان حلب، منهم قاضي قضاة حلب الشيخ محمد بن عبد الأول الحسيني (ت 963 هـ)، الذي ولي قضاء حلب سنة 949هـ فمنع شرب القهوة على الوجه المحرَّم[2]، وهو إدارتها كإدارة الخمر بين الشَّرَبَةِ. ولمَّا عُزِلَ من قضاء حلب قُلِّدَ قضاء دمشق، فدخلها سنة 952هـ، «ووافق القطبَ بن سلطان، والشيخ يونس العيثاوي في القول بتحريم القهوة، ونادى بإبطالها، ثم عَرَضَ بإبطالها إلى السلطان سليمان، فورد أمره بإبطالها في شوال سنة ثلاث وخمسين، وأشهر النداء بذلك»[3]. ولعلَّها عاودت الظهور، حتَّى تكرَّر المنع مرة أخرى سنة 961 هـ[4].

وقد اجتمع رؤوس هذه الحرب الكلاميَّة مرة في مجلس قاضي دمشق علي أفندي، المشهور بقنالي زاده: الشيخ عبد الوهاب العيثاوي، الذي كان يرى تحريم القهوة، والشيخ أبو الفتح المالكي الذي كان «يكاد يرى وجوبها»[5]، وتباحثا في القهوة، وذكر كلُّ واحدٍ دليلَه «فظهرَ الشيخ أبو الفتح في البحث على الشيخ يونس، حيث لم تكن أدلَّة التحريم ناهضةً»، فراح الشيخ أبو الفتح بعدها في نظمِ الموشحات والمقطَّعات في بيان محاسن القهوة، والحطِّ والسخرية من المحرِّمين، الذين «كانوا يخافون من لسانه»[6].

ويظهر أنَّ الشيخَ يونسًا العيثاوي لم يـمِل عن موقفه شعرةً، وظلَّ يذمُّ القهوة على المنابر. فيحكي الغزِّي أنَّ مصطفى باشا، والي دمشق الجديد،

---

(1) الغزي، الكواكب السائرة (13/ 2)

(2) ابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي، در الحبب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق: محمود الفاخوري، ويحيى عبّارة، منشورات وزارة الثقافة السورية - دمشق، الطبعة الأولى 1972م، ج2، ص221

(3) ابن العماد، شذرات الذهب (490/ 10)

(4) الغزي، الكواكب السائرة (165/ 3)

(5) البوريني، تراجم الأعيان (253/ 1)

(6) الغزي، الكواكب السائرة (20/ 3)

الذي كان «غشومًا سفَّاكًا للدماء، ومع ذلك كان يحترم العلماء ويعظّمهم»، صلَّى خلف الشيخ يونس العيثاوي بالجامع الجديد، فتعرض في خطبته للظلم، وتحريم القهوة فغضب لذلك الوالي، وعقد مجلسًا عند القاضي جلب إليه ألدَّ خصوم العثياوي، الشيخ أبو الفتح المالكي، والشيخ نجم الدين البهنسي، إلا أنَّه «حصل للشيخ نوعُ إنصافٍ» من القاضي، على عدم رضاه على تعرُّض الشيخ العيثاوي للباشا صراحةً[1]!

ويبدو أنَّ وقود هذه الشِّدَّة في المنع، كان مستمدًّا مما كان يشيع في مقاهي دمشق آنذاك من المنكرات، حتَّى كره بعضهم الجلوس في بيت القهوة تنزيهًا للنفس من صنيع البطَّالين، وفي هذا يقول علي جلبي الحمصي[2]:

أقول لأصحابي عن القهوة انتهوا ... ولا تجلسوا في مجلس هي فيهِ

وما كان تَركي شربها لكراهةٍ ... ولكن غَدت مشروبَ كلِّ سفيهِ

وهذا قريب من قول أبي السعود مفتي الروم، وقد سئل عن القهوة قبل اشتهار أمرها، فأجاب: «ما أكبَّ أهلُ الفجور على تعاطيه، لا يَحسُن ممن يخشى الله ويتقيه»[3]، علَّق الغزي عليه: «وهذا ليس فيه تصريحٌ بتحريمها، بل يقتضي أن الأولى تركُها حذَرًا من التشبُّه بالفُجّار، والكلام في القهوة الآن قد انتهى إلى الاتفاق على حلها في نفسها، وأما اجتماع الفسقة على إدارتها على الملاهي، والملاعب، وعلى الغيبة، والنميمة فإنه حرام بلا شك»[4].

وقد لام ابن طولون الشيخَ أبا الفتح المالكي حين ترجم له حين، بسبب موشَّحه الشهيرِ في مدح القهوة، وتعرُّضه للشيخ يونس العيثاوي، والتي

(1) الغزي، الكواكب السائرة (184/ 3)
(2) الغزي، الكواكب السائرة (175/ 3)
(3) الغزي، المرجع السابق.
(4) الغزي، الكواكب السائرة (32/ 3)

أوَّلها:

اسقيــاني قهــيوة البُــنِّ صِــرفـــةَ الأكـــؤسِ
كــي أميـط الكـرى عــن الجفــن فــي دجـــى الحِنـــدِس

قال ابن طولون: وليت لم يقله؛ لأنها صارت في دمشق الآن تُدار، ويُنشَد عليها بمجالس الخمر![1].

وبوفاة الشيخ يونس العيثاوي، سنة 995 هـ، تهدَّم أقوى حصون الإنكار على شُرب القهوة، وخفَّ النكير عليها جدًّا، بحيث لم تشغل الأصوات المحرمة بعدها حيِّزًا كبيرًا في فضاء الجدل الفقهي.

دخول القهوة للعراق:

العجيب أنَّ المصادر التاريخيَّة العربيَّة لا تذكر شيئًا ذا قيمةٍ عن تاريخ دخول القهوة والمقاهي إلى بغداد.

وأوَّل إشارة إلى افتتاح مقهى في بغداد وُجدت في تاريخ (كلشن خلفا)[2]، على يد الوالي العثماني جغاله زاده سنان الذي ولي بغداد من 995 إلى 999 هـ، والذي سمّاه البغداديُّون في ما بعد بـ«خان جغان»، ويُعتقد أنَّ جغاله زاده افتتحه مجاراةً لصنيع الولاة في إسطنبول من افتتاح المقاهي والاستفادة من عوائدها والضرائب عليها[3].

ولعلَّ مقهًى آخر قد وجد طريقه إلى أزقة بغداد العتيقة، عام 1013 هـ/

(1) ذخائر القصر، ص579

(2) نظمي زاده، علي بن عبد الله البغدادي، كلشن خلفا، مطبوع بدار الطباعة المعمورة بالقسطنطينية سنة 1143 هـ نسخة محفوظة بمكتبة جامع الفاتح بإسطنبول، رقم 4462، ق66

(3) سركيس، يعقوب، مباحث عراقيَّة في الجغرافيا والتاريخ والآثار وخطط بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدود - بغداد، الطبعة الأولى، 1374 هـ/ 1955م، ج2، ص 180

1604م، على يد الوالي العثماني حسن باشا، وقد وصف الرحالة البرتغالي بيدرو تيكسيرا في رحلته هذا المقهى فقال: «يجلس الرجال الراغبون في شرب القهوة في صفوف، وتُقدَّم القهوة إليهم ساخنةً في فناجين من البورسلين. يأخذ كل واحدٍ منهم فنجانه، منتظرًا أن يبرد قليلًا ليرتشفه

وقد جرت العادة أن يجلس الرجال في المقهى لمبادلة الأحاديث، وتزجية الوقت

ولجذب الزبائن فقد وُظِّف لهذا المقهى سُقاة مِلاحٌ، يرتدون ملابس زاهية، وتعمل الموسيقى في المقهى طول الوقت. وفي الصيف، تنتعش المقاهي ليلًا، والعكس في الشتاء، ويقع المقهى بجوار النهر ، ويحتوي على نوافذ كثيرة، وصالتين كبيرتين، تجعلانه مكانًا رائعًا للاستجمام، ويوجد مقاهٍ أخرى في المدينة، على غرار الموجودة في تركيا وبلاد فارس»[1].

هذا الموثَّق في المصادر، وإن كنتُ أعتقدُ أن القهوة قد وجدت طريقها إلى العراق في زمنٍ أبكر من هذا، على غرار جارتها الشام، والله أعلم.

دخول القهوة إلى إسطنبول، وبداية الإنكار عليها:

لم تعرف إسطنبول المقاهي قبل عام 962 هـ لكنَّ القهوة كانت قد وجدت طريقها إلى البلاط السلطاني في وقتٍ أبكر، وربما كانت حكرًا على السلاطين، فإنَّ السلطان سليم الأول، لمَّا كسر السلطان قانصوه الغوري سنة 922هـ، وأخذ مصرَ «حملَ البُنَّ معه إلى القسطنطينيَّة»[2]، وفي حدود عام 950 هـ جيء بالقهوة من اليمن على يد السلطان سليمان القانوني،

(1) TEIXEIRA, PEDRO: The Travels of Pedro Teixeira, PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY - London, 1902, p. 61-63

(2) القاسمي، رسالة في الشاي والقهوة والدخان، ص15

فأفتى شيخ الإسلام أبو السعود بإغراق السُّفن مع حمولتها؛ فأُغرقت أمام دار المدفعيّة[1].

وعن قصّة دخولها لإسطنبول، يتحدَّث المؤرخ التركي إبراهيم بجوي أفندي: «في بدايات السنة المذكورة [962 هـ]، أتى شخصٌ يُعرَفُ باسم حكيم من حلب، وشخص آخر يُعرف باسم شمس من الشام، وفتح كلُّ واحدٍ منهما دُكَّانًا كبيرًا تحت القلعة وبدؤا في بيع القهوة، وراح يتجمَّع بعض الأحبَّاء الأصفياء المبتلين بداء الكيف، وخصوصًا بعض الظرفاء من طائفة القُرَّاء والكُتَّاب»، ويظهرُ أنَّ المقاهي قد دخلت إلى إسطنبول وهي ناضجة التَّجربة، مكتملةُ الشَّرْط، فكان يحصل فيها الاجتماعُ، وقراءة الكتب، ولعب الشطرنج، ويجلس فيها العاطلون، وأصحاب الشُّرَطِ، «حتى صار يأتي إليها الأعيان رغمًا عن إرادتهم»[2]، وامتلأت المقاهي بالجالسين «حتى أصبح لا يوجد مكان في القهوة يمكن الجلوس، أو حتى الوقوف فيه»[3].

وقد حاول العلماء في تلك الفترة حضَّ السلطان مراد الثالث على منعها، وقد صدر أمر السلطان عام 983 هـ بمنع المنكرات والمحرمات[4]، وشمل منعه القهوة، لكنَّ أصحاب المقاهي احتالوا على المنع بفكرة «مقاهي الزاوية»، ومقاهي الطرق الخلفيَّة، واتصلوا بصاحب الشُّرطة وأقنعوه، فوافق، وانتشرت المقاهي مرة أخرى بحيث أُلغي المنع[5]. وتكاثرت فتاوى العلماء في تحليلها وتحريمها، حتى صدرت فتوى شيخ الإسلام،

---

(1) جلبي، كاتب، ميزان الحق في اختيار الأحق، مخطوط محفوظ بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم 3176، ق16

(2) بجوي، إبراهيم أفندي، تاريخ بجوي: التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية، ترجمة وتقديم: ناصر عبد الرحيم حسين، المركز القومي للترجمة - القاهرة، الطبعة الأولى 2015، ج1، ص 403

(3) بجوي، المرجع السابق، ص403

(4) بيهم، محمد جميل، أوليات سلاطين تركيا المدنية والاجتماعية والسياسية، مطبعة العرفان - صيدا، الطبعة الأولى، 1350هـ/ 1931م، ص23

(5) لويس، برنارد، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تعريب وتعليق: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1402هـ/ 1982م، ص 167

مفتي السلطنة، بستان زاده محمد أفندي، المتولي للإفتاء من 997 هـ حتى 1005 هـ؛ بالحِلِّيَّة، وقد نظم هذه الفتوى شِعرًا[1].

واستمرَّ انتشار المقاهي في إسطنبول بدرجة كبيرة، وانتشر معها الدُّخان الذي دخل لإسطنبول عام 1009 هـ وصار يُقدَّم في المقاهي مع القهوة، واغتام جوُّ مقاهي إسطنبول بالدُّخان «إلى درجة أن الذين كانوا بداخل هذه المقاهي لا يرون بعضهم البعض»[2].

وفي عام 1043 هـ، نشبَ حريقٌ كبيرٌ في إسطنبول بسبب الدُّخان، التهمَ جملةً من المقاهي، «وأحرق مئات الآلاف من الرجال!»[3]، فصدَّر السُّلطان مراد الرابع أمرًا بإغلاق المقاهي، وتحريم القهوة والتَّدخين، وأعدمَ عددًا من الذين يشربون القهوة ويدخِّنون، بل وصل الحال إلى إعدام من رؤي أو أُخبر عنه أنَّه يشرب الدخان في الحال[4].

وكان الدَّافع المُعلن وراء هذا القرار القاسي: هو حماية المدينة من الحرائق. بينما كان السبب المبطن، رغبة السلطان مراد في الانتقام لمقتل أخيه عثمان على يد الانكشاريَّة الذين اتَّخذوا من المقاهي وشرب الدُّخان عادة لهم[5].

لكنَّ هذا المنع تراخى كثيرًا بعد مدَّة، فالناس كانوا قد تعوَّدوا على شرب القهوة، وكانت قد صار يشربها «العلماء وكبار موظفي الدولة»[6]، فعادت المقاهي للانتشار مجدَّدًا بوفاة السلطان مراد الرابع سنة 1049 هـ وقد حاول السلطان محمد الرابع الذي ولي السلطنة بين (1058 - 1098 هـ)

(1) عندي نسخة من هذه الفتوى.
(2) بجوي، مرجع سابق، ص 404
(3) بجوي، مرجع سابق، ص 405
(4) المقتبس، القهوة ومحالها، العدد الثاني، 1 فبراير 1912، ص159
(5) المقتبس، مرجع سابق، 159
(6) لويس، مرجع سابق، ص169

إلى منع المقاهي في سنة 1066 هـ متجاهلًا ما كانت تدرُّه للدولة من أرباح، لكنَّ خطَّة المنع لم تنجح؛ فقد وجدت القهوة طريقها عميقًا في عادات الناس الاجتماعيَّة[1]، وانتشرت المقاهي في جميع أرجاء الدولة العثمانيَّة.

بداية ظهور القهوة في الغرب:

عرفت أوروبا القهوة عن طريق الرَّحالةِ الذين كانوا يعودون لأوطانهم من «الشَّرق المحمَّدي» بالحكايا والغرائب وأحيانًا بحبوب البُنِّ. وقد مرَّ معنا أنَّ أول من ذكر البن من الأوروبيين هو ليونارد راولف، الذي قام برحلة إلى الشرق عام 980هـ/ 1573م، مرَّ فيها بلبنان وفلسطين وسوريا والعراق، وذكر عادة شرب البن في حلب[2].

ثمَّ جاء بعده الطبيب والنباتيُّ الإيطالي بروسبيرو ألبيني، الذي رحل إلى مصر لدراسة نباتاتها وأعشابها عام 988 هـ/ 1580م، وكان أوَّل من كتب عن نبتةِ البُنِّ ومشروبها بشكلٍ مفصَّل[3].

- إيطاليا:

يبدو أنَّ أوَّل مكانٍ استُخدِمت فيه القهوة بشكلٍ محدود في أوروبا كان إيطاليا، حيث عرفها الفينيسيُّون بحكم تجارتهم مع الهولنديين الذين عرفوا القهوة عن طريق رحَّالتهم، ثمَّ دخلت روما، وفي هذا السياق يُحكى أنَّ البابا كلمنت الثامن (950 هـ/ 1553م - 1013 هـ/ 1605م) كان قد حرَّمها، لأنها «مشروب شيطاني»، ثُمَّ عُرِضَ عليه الأمر أخرى، فجرَّب القهوة، ولم

(1) مونرو، تاريخ القهوة (مرجع سابق)، ص121

(2) راولف، رحلة المشرق (مرجع سابق)، ص81

(3) UKERS: Ibid. p.26

يكد ينتهي من فنجانه حتى تراجع عن التحريم، وتأسّف «كيف يُترك هذا المشروب اللذيذ للمسلمين الكفرة؟»[1].

ويُعتقد أنَّ أول مقهى افتُتح للقهوة في إيطاليا كان في عام 1055 هـ/ 1645م[2]، وافتُتِحَ أوَّل مقهى متخصص في فينيسا عام 1094هـ/ 1683م، ثمَّ انتشرت المقاهي بعدها في إيطاليا.

- فرنسا:

الحال في فرنسا كالحال في معظم الدول الأوروبيَّة، عُرفت القهوة فيها أوَّل الأمر بشكل شخصيٍّ ومحدود قبل افتتاح المقاهي، وترسيم المشروب في العادة الاجتماعيَّة. وتجدر الإشارة إلى أنَّ أوَّل إشارة للبُن في المراجع الفرنسية، وُجدت في رسالة بعثها أنونوريو بيللي، النباتيُّ الإيطالي، عام 1004 هـ/ 1596م إلى صديقه الفرنسي تشارلز ليكلوج، عن «بذورٍ يستخدمها المصريون لصنع سائلٍ يسمونه القهوة»[3].

ويذكر أنَّ أوَّل كميَّة من البُنِّ وصلت لفرنسا، كانت برفقة بيري دي لاروك (والد جين دي لاروك صاحب أول رحلة فرنسية لليمن) عام 1053هـ/ 1644م، جلبها معه من إسطنبول، كما أحضر معها أوانيها[4]. وبعدها بسنوات قليلة أخذ الرحالة دي ثيفينيت تعليم الباريسيين كيفيَّة طبخ القهوة، واستخدامها[5].

يؤرِّخ الفرنسيون بداية الظهور الفعلي للقهوة وانتشارها في باريس،

(1) UKERS: Ibid. P. 26
(2) UKERS: Ibid. p. 27
(3) UKERS. Ibid. P31
(4) UKERS: Ibid. P31
(5) UKERS: Ibid. P31

بوصول سليمان آغا، مبعوث السلطان العثماني مراد الرابع، سنة 1080هـ/ 1669م، حيث وصل باريس بكميّات معتبرة من البُنّ، وحين نزل بدار الضِّيافة، زيَّنها بالطراز الشرقي، وأقام حفلًا، دعا فيه النبلاء، الذين تدافعوا لتجريب هذا المشروب الذي لم يكونوا يعرفونه من قبل. ورغم أنّ إقامة المبعوث آغا لم تتجاوز سنةً، إلا أنّها كانت كفيلةً بإشاعة تقاليد هذا المشروب بفرنسا[1].

- إنجلترا:

افتُتح أول مقهى في إنجلترا عام 1060 هـ/ 1650م، في أوكسفورد على يد يهودي من لبنان اسمه «يعقوب»، ثمَّ تبعه يهوديٌّ آخر بعدها بأربعة أعوام، ليفتتح مقهًى آخر في أوكسفورد عام 1064هـ/ 1654م[2]، وقد كان افتتاح أوَّل مقهى في لندن عام 1062 هـ/ 1652م، على يد رجل بسيط يُدعى «باسكوا روزي»، ثمَّ انتشرت المقاهي بشكل سريع، لكن سُرعان ما توقَّفَ هذا الانتشار - على غير عادة المقاهي في العالم - لأن الإنجليز كانوا قد نقلوا تجربة تحضير القهوة إلى المنازل، وحوَّلوها لعادة منزليَّة.[3]

وصفات القهوة اليوم جديدة؟ أم هي مضافاتٌ قديمةٌ عرفها سَلَفُ القهوة؟

قبل مناقشة مضافات القهوة، يجدُرُ التقديم لمقدمتين: فقهيَّة، وأخرى طِبِّيَّة، أجدهما مهمتين لفهمِ المدخل الذي وَلَجتْ منه مضافاتُ القهوة، قبل أن تستقرَّ في ممارسةِ التحضير، وتصبحَ لازمةً لتمييزِ وصفةٍ - في القهوة - عن أخرى. فهذه المضافاتُ قبل أن تكونَ ذوقًا، كانت حاجةً، أو خروجًا

(1) UKERS: Ibid. P33
(2) UKERS: Ibid. P41
(3) UKERS: Ibid. p42

من الخلاف بتعبير الفقهاء، ولهذا قصَّةٌ أحاولُ سردها بشكلٍ مختصر.

مقدمة فقهيَّة

اعلم أنَّ مدار تحريمِ القهوة - عند من حرَّمها أوَّل الأمر - على أمور: بعضها ذاتيٌّ: كالإسكار، والإضرارِ، وبعضها عَرَضِيٌّ، أي لما يعرِضُ للقهوة من خارجها، كمزجها بما يَحرُم، وهيئةُ شُربها، وشربها في أماكن الشُّبهات؛ فتحرم لأجله.

أمَّا إسكارُها، فقد كان أوَّل حُجَج المانعين، ومبنى محضر التحريم الذي جمع له خاير بك العلماء في مكة عامَ 917هـ، كما مرَّ معنا، وهو كما عبَّر ابن عبد الغفار في دفع الهفوة: «أن دعوى أنها من الخمر الـمُسْكر في غايةِ السقوط، بل من محض العِناد».

وأمَّا إضرارُها، فذهبَ المانعون إلى أنَّها مُضرَّةٌ مُطلقًا، وربما جعلوا الإضرارَ ذريعةً ثانويَّةً حين ثبتَ لها الإسكارُ، فتحريمها لأجل إسكارها أولى. وتوسَّط أناسٌ فذهبوا إلى أنَّها مثل غيرها من المأكولاتِ والمشروبات، قد تضرُّ بعض أصحاب الأمزجة اليابسةِ أو السوداويَّة والصفراويَّة (وهو ما سنناقشه بعد قليلٍ)، فقالوا: تحرُم على من يضرُّه شربها، كما يحرُم العسل - وهو حلال في ذاته - على من يضرُّه تناوله، وهي بهذا لا تحرُم لذاتها.

وأمَّا مزجها بما يحرم، كالحشيشة والأفيون وغيرها مما ادَّعاه المانعون، فهو تحريمٌ لها من حيث ما يعرِض لها من مضافاتِها المحرَّمة، إذْ تأخذ حكمها لاتصالها بها، وهذا ليس فيه تحريمٌ لِعَين القهوة.

وأما هيئةُ شُربها، فمن ما اختُلفَ فيه كذلك، فبعضهم يرى أنَّها «سُنَّةٌ»، وأنَّ النبيَّ ﷺ أدار اللبن بين أصحابه، وبعضهم احتاطَ سدًّا لذريعة التَّشبُّه

بمجالس الخمر، فمنع شُربها في هيئة تشابه هيئة شُرب الخمر، مع تصريحه بِحلِّها في ذاتها.

وأمَّا شُربها في أماكن اختلاط الرجال بالنِّساء، وما يحصل فيها من لغوٍ وباطلٍ، فمفهومٌ أنه تحريمٌ للاختلاط المحرَّم.

وأودُّ التَّوقُّفَ قليلًا عند دعوى الإضرارِ، لأنَّها مما توقَّفَ عنده المحلِّلون أيضًا، وإضرارُ القهوة - إن كان لها إضرارٌ - حسب نظرة الطِّب القديم آتٍ من كون طبعها: باردةً يابسةً. فما هو اليُبسُ وما هي البرودة المعنيَّة؟

مقدمة طِبيَّة:

اليُبس والبرودة ، والرطوبة والحرارة، من خصائص الأشياء، في نظرية الطب الأبقراطية، وهي تقابل العناصر الأربع المكوِّنة لكل شيء في العالم: الماء، والهواء، والتراب، والنار.

وهذه الأخلاط هي: البلغم، والدم، والسَّوْداء (المِرَّة السَّوْداء، ويُقصَد بها الدم المتخثر من الطحال)، والصفراء (عصارة المرارة)؛ ويقابلها في الجسم أربعة أعضاء، هي: المخ، والقلب، والطحال، والكبد؛ بالإضافة إلى ارتباطها بأربع طبائع، وهي: البلغمي والدموي والسوداوي والصفراوي (المزاج الغضوب).

فالمُرَّة السوداء تقابل الأرض من العناصر، وطبعها اليبس والبرودة. والمُرَّة الصَّفراء تقابل النَّار من العناصر، وطبعها اليبس والحرارة. والدَّم يُقابل الهواء من العناصر الأربعة، وطبعه الحرارة والرطوبة. والبلغم يُقابل الماء من العناصر الأربعة وطبعه البرودة والرطوبة.

وعن فلسفة هذه الأخلاط يقول وليام باينم: «اقترن مذهب الأخلاط

بفكرتين راسختين ومرتبطتين إحداهما بالأخرى في أوساط الطب الغربي؛ هما: التوازن والاعتدال؛ فقد رأى الأبقراطيون أن الصحة نتاج التوازن السليم بين الأخلاط الأربعة. واختلال التوازن بينها - أي الزيادة المفرطةَ أو النقص المفرط في أيٍّ منها - أو اعتلال أي منها (الذي كثيرًا ما يُوصف بالفساد) يُفضي إلى المرض»[1].

إذن، فالإضرارُ هنا يكون بحسبِ مِزاج الشخص المتعاطي للقهوةِ، ومزاجه العام هو ما تحدِّده غلبة خليطٍ في جسمه على آخر. فإذا صحَّت هذه المقدِّمَةُ، فينبغي لتحقيق الإضرارِ = تحقُّقُ طبعِ القهوة أوَّلًا.

طبع القهوة:

اختُلِفَ في طبعِ القهوة، على رأيين :

- البرودة واليُبوسة: وهو رأيُ المحرِّمين، وأوَّلُ من صرَّح به في مجلس تحريم القهوة في مكة عام 917 هـ؛ الحكيمان الكازرونيَّان أحمد وأخوه علي، اللذان كانا «في الحقيقة أصلَ المجلس وخصمَه والسببَ فيه»[2] وتابعهما على ذلك خلقٌ كثيرٌ، ممن اغترَّ بهيئة المجلس، أو اعتمد على تواقيع مشايخ الإسلام، وكبار العلماء على ذلك المحضر، فعدَّ وصفها بالبرودة واليبوسة من المسلَّمات. ونجدُ هذا الرأي متردِّدًا عند بدر الدين القوصوني (ت 931 هـ)كذلك حين سئل عن القهوة، فقال: « وأمَّا في الكيفيَّتين المنفعلتين - أعني الرطوبة واليبوسة - فتجدها مائلةً إلى اليُبسِ؛ لأنّا نجدُها تجفِّفُ الأبدان وتغيِّرُ الأمزجة، وأما القدر النافع منها فهو يختلفُ بحسب مزاج مستعملها. وأما كون الإكثار منها مضرًّا؛ فكلُّ كثرةٍ عدوٌّ

(1) بايهم، ويليام، تاريخ الطب: مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: لبنى عماد كريم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، الطبعة الأولى، 2016م، ص20، 21

(2) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق11

للطبيعة. ولا شكَّ أنَّ الإكثار منها مضرٌّ، خصوصًا بذوي الأمزجة اليابسةِ»[1].

- الحرارة واليُبوسة: وهو من أوائل الآراء في طبع البن، قاله به الشيخ عبد اللطيف المشرِّع (ت 900 هـ) في كتابه «الموصل للأغراض»، وهو كذلك رأيُ داوود الإنطاكي (ت 1008 هـ) في التذكرة، قال: «وهو حارٌّ في الأولى يابس في الثانية وقد شاع برده ويبسه وليس كذلك؛ لأنه مُرٌّ؛ وكل مُرٍّ حارٌّ ويمكن أن القِشر حار، ونفس البن إما مُعتدِلٌ أو بارد في الأولى»[2]، وتابعه على هذا الرأي خلقٌ كثيرون.

والحاصل أنَّ تحديد خاصيَّتها بدِقَّةٍ متعذِّرٌ ذاك الزمان، وإن مال الأكثرون إلى يُبسها، مع عدم جزمهم، واختلافهم في ما إذا كان هذا اليُبسُ من أصل طبعها، أو من خاصيَّتها، وفي بقاء الاختلاف في ذلك، يقول ابن عبد الغفار: «على أن اليبس مما لم يتحقق فيها إلى الآن، وإن كان هو الغالب على الظن، وسببه عدم النص عليها في كتب المتقدمين، وعسر الوقوف على حقيقة الحال على أهل العصر، والناس فيها مختلفون، فيهم من يقول أنها باردة، ومنهم من يقول فيها حرارة، وهم كالـمُتَّـفقين على اليُبس، وليس عندهم جزم بشيء من ذلك كله، بل إنما يقولون أنه الظاهر فقط، من أجل ما يحصل منها من السهر وخفة البدن، وإن احتمل أن يكون ذلك بالخاصية لا بالطبع، بل هذا هو الظاهر، بل المحقّق

وبالجملة فالوقوف على حقيقة طبائع الأشياء عَسِرٌ في حدّ ذاته على أئمة الطب المعتبرين، فضلًا عن غيرهم، ومن ثَمَّ قلَّ أن يُجمعوا على طبيعة شيء من المفردات»[3].

---

(1) القوصوني، بدر الدين محمد بن محمد بن محمد، جواب سؤال عن القهوة، مخطوط محفوظ بمركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية - الرياض، رقم الحفظ: 11343-1

(2) الإنطاكي، داوود، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعجاب، طبعة حجرية بدون معلومات، ج1، ص49

(3) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق22

ونجدُ أنَّ الخلاف في تحديد طبعها قد جلبَ نوعًا من الاحتياطِ عند الأطباء والفقهاء لمَن أراد أن يستخدم القهوة، فنجدُ عندهم محاولاتٍ لتعديل «مزاج القهوة» - بافتراض أنَّ طبعها البرد واليبوسة - بما يُضادُّ هذا الطبع، فعند الحكيم القوصوني نجدُ إشارةً إلى هذا «التعديل»، يقول: « ولا يبعد أن يُضاف إليها شيءٌ من السُّكَّر أو العسل لباردي المزاج، يُعين ذلك على نفوذها».

وكذلك نجدُ تنويهًا عند الإنطاكي لمن أراد شرب القهوة للنشاط ودفع الكسل: أن يُكثر معها «من أكل الحلو ودهن الفستق والسَّمن»[1]، ولو نظرنا في طبع السُّكر والفستق والسَّمن عند الإنطاكي سنجدها في الأغلب حارَّةً رطبةً؛ فتعدِّلَ طبع القهوة «الباردة اليابسة».

ثمَّ وقفتُ على كلامٍ في الطِّب لأحد المتأخرين، يتحدَّث فيه عن طبائع القهوة، ويبدو أنَّ البحثَ الطِّبي فيها قد تطوَّر واستقرَّ على معرفة أكبر عن طبع القهوة، فنجده يجزم أنَّ طبع القهوة بنِّيها وقشريِّها «باردٌ يابسٌ في أوَّل الدرجة الثانية، فإذا حُمِصْنَ وطُبِخْنَ اكتسَبنَ بعضَ حرارةٍ من النار، وبعض رطوبةٍ من الماء؛ فيَصِرْنَ أقربَ إلى الاعتدالِ، وكلَّما نَضجنَ زِدْنَ في الحرارة، فإذا انتضجنَ كانَ طَبْعُهُنَّ في الدَّرجة الأولى من الحرارة، وزادت يُبوستهنَّ»[2].

ثمَّ تجده يتكلَّمُ عن مزج القهوة لتعديلِ مزاجها، أو تغليبِ خاصيَّةٍ فيها على أخرى، فالبنُّ المحمَّص يُصلِحه «اللوز المقلي أو السَّمن»، ومزج القهوة يدفع ضَرَرها: «فإن مُزجت القهوة بالسَّمن ليَّنتِ الطبيعة، وإن مُزجت بالسُّكَّر واللبن ليَّنت الصَّدرَ وغذَّتِ البدنَ، ورَفَعَت السُّعالَ، وإن طُبخَت مع القَرَنْفُلِ؛ زادتْ حرارةً على حرارتها؛ فتطيِّبَ نكهة الفمِّ، وتَدْفَع

(1) الإنطاكي، التذكرة (مرجع سابق)، ص95

(2) الموصلي، محمد أمين بك أفندي البغدادي، مجموعة من الوصفات الطبية والفصول القصيرة حول مواضيع طبية، من مجموع مخطوط بالمكتبة البريطانية، المجموعة الشرقيَّة، رقم Or 6273، ق112، 113

البرودةَ والبلغم، وإن طُبخَت مع زنجبيلٍ وسكَّر؛ ليَّنت الطبيعة وقطعت البلغم وغذَّت البدن

وإن طُبخَت مع الشَّمار [الشَّمر]

تدفع بقيَّة مادة الحُمِّيَات العفنة

وإن طبخن مع [النانخة] ليَّنت الرياح وفتحت السدد

وإن طُبخت بعودٍ وقرنفلٍ ورُشَّ عليها ماء الورد؛ قوَّت القلب والدماغ والكبد والمعدة وهضمت الطعام، وحرَّكت الحرارة الغريزيَّة

وعندي أنَّ الممزوجةَ أولى وأحسنُ من الصِّرفة، ومزجها يكون على رأي الطبيب»[1].

أجدُ النَّصَّ الأخير كاشفًا عن وجه حقيقة المضافات، وهو وإن كان يلوح في كلام الأطباء الذين عاصروا فشوَّ القهوة، وبحثوا في طبعها، أعني القوصوني والإنطاكيَّ، إلا أنَّه تأكَّد في كلام الموصلي المتأخر عنهم، وهذا – بطبيعة الحال – ناتجٌ عن تراكمِ البحث، وتكرار المشاهدة والتجربة على مدى قرونٍ من ظهور القهوة في أواخر القرن الثامن/ أوائل التاسع الهجري، واستفحالها مطلع القرن العاشر الهجري.

ولو نظرتَ في المضافات التي ذكرها الموصلي، ستجدُ أنَّ كثيرًا منها ما زال يُستخدم في القهوة العربيَّة (السعوديَّة) حتى اليوم: فالزنجبيل مشهورٌ في قهوة أهل اليمن وجنوب المملكة العربية السعوديَّة، وكذا القرنفل (أو المسمار والعويدي) شائع في قهوة الدلّة في السعوديَّة والخليج، وكذا النَّانخة

(١) الموصلي، مرجع سابق، ق114

والشَّمر في قهوة أهل الجنوب في السعوديَّة[1]، وكذا الحليب

أمَّا الهيلُ فمن مضافات القهوة في القرن العاشر، وليس حديثًا - كما يتوهَّم البعض - فقد ذكره أبو الفتح المالكي (ت 975 هـ)، في جملة ما يُضاف للقهوة في زمانه:

وإنَّمــا تـقـبــلُ كالقَرَنْفُــلِ والهـالِ والمسـكِ وبعـضِ الصَّندَلِ

ومــا ســوى ذلــكَ فهــو أجنبــيْ مِنهــا فَسَــلْ بهــا، وإلا جَــرِّبِ

والذي أستريح له في تفسير تعدد الوصفات، أنَّ مبدأ هذه الإضافات والمطيِّباتِ هو الطِّبُّ، وابتداءُ أمر الإضافاتِ إنَّما كان بدايةً للخروج من الخلاف في إضرارِ القهوة المزعوم، ثمَّ وافقَ هذا التعديلُ هوى وشهوةً في الذوق، فاستفحل أمرُ الإضافاتِ حتى نُسيت العلَّة الأولى لها، وغدت الإضافاتُ قائمةً على الاستحباب والإلف والذوق، حتى صارت هذه الإضافات مفارز لتصنيف الوصفات على حسبِ البلدان.

ولا يعني هذا أنَّ كلَّ من مزج القهوة، أو أضاف إليها ما يعدِّلُ خاصيَّتها في زمان ظهورها كان يفعل ذلك على رأي الطبيب، بل يكفي أن يفعلها جماعةٌ من الناس أو واحدٌ منهم وهو عاقلٌ لعلَّة الإضافةِ، ثمَّ تنتشر هذه الوصفةُ أو الإضافة كما لو كانت مسلَّمةً، وتشيع دون إدراك لعلَّة الإضافة، وهذا المشاهَدُ، فنحنُ نشرب القهوة اليوم لا نسأل من أضاف لها الهيل: لِم أضافه؟ أو من أضاف لها الزنجبيل لم أضافه؟ ونحملُ ما نشربُ على الذَّوق، فإن أسغناه، وإلا أضفنا ما يوافق ذوقنا، وهذا باعثُ تنوُّع الوصفات على اختلاف المناطق، ولا يتعارض مع كون العلَّة الأولى الباعثة على هذا التنوُّع هي: الطبّ. والله أعلم.

(1) انظر الدليل التعريفيّ لعام القهوة السعوديَّة 2022، ص 29

وسيأتي ذكرُ المضافات التي عرفها العربُ في زمان ظهور القهوة.

مضافات القهوة:

باتَ من المسلَّم عند كثير من النَّاس أنَّ القهوة إنَّما عَرَفَت مضافاتها من الحليب والسُّكَّرِ، والثلج في زمان متأخِّرٍ، على يد الأوروبيِّين، حين قدِمت وافدةً لنا بوصفاتها الجديدة، بل ربما ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم والمثقفين، والحقُّ أنَّهم لا يُلامون، فتراث القهوة لم يُخدم، بله معظم التراث العربي المخطوط.

والحقيقةُ أنَّ المطالع في تراث القهوة العربي يجدُ أنَّ معظم مضافات القهوة كانت معروفةً أوَّل أمر القهوة، بل وقبل خروجها من الجزيرة العربيَّة إلى الأتراك فضلًا عن الأوروبيِّن، كذلك التَّحميص ودرجاته، وإليك دليلُ ذلك.

تحميص القهوة:

عرف العربُ البنَّ مأكولًا - كما قدَّمنا في فصل دخولها لمكة - ومشروبًا، وعرفوه محمَّصًا على درجاتٍ - لا كما يتوهَّمُ كثيرٌ من النَّاس أنَّ القهوة السوداء ما عُرفَت إلا في مصر والشام وتركيا- بقياس الشاهد على الغائب.

وكانوا يُسمُّون التحميص آنذاك «التَّجحيم» من جَحَمَ النَّار إذا أوقدها، ومنه اشتُقَّ اسم الجحيم للنار[1].

فكان يؤكَلُ طريًّا، وفي ذلك يقول النَّاشري:

وإنْ مـا أردتَ الأكل منـه فـأوَّلًا   أزِح قِشْـره عـن شِـقِّه إنْ تَسَـهَّلَا

والمعروف أنَّ إزاحة القشر تكون للذي لم يُحمَّص بعدُ.

---

(1) انظر مادة (جحم) في اللسان.

وعن درجات قلوه، أو حمصه، أو تجحيمه، يقول:

ومهما قُليَ من بعد سَلْخِ قُشوره ... فأسبغهُ دَهْنا بالسَّليطِ[1] معدّلاً

ولا بأس بالتجحيم[2] معتدِلاً ولا ... تُلِحَّ به كي لا يعود محنظلًا[3]

وللناس في المقلوِّ منه مذاهِبٌ ... فمنهمْ إلى الصَّافي الثقيل تَميَّلا

ومنهم إلى الحالي المُسوَّد مائلٌ ... ومنهم إلى تجحيمهِ ما تَزَيَّلا[4]

ومنهم مع التَّجحيم يبغيه حارقًا ... وهذا مريرُ الطَّعمِ في الأكلِ أوَّلا

وخيرُ أمور الكُلِّ أوسطها فكن ... إلى وسطٍ هشًّا لتربَحَ مأكَلا

فانظر إلى درجات تعاطي البُنِّ، مرَّةً وهو ثمرٌ (غير مجَحَّم)، ثمَّ التحميص المعتدل (الذي لم يُلحَّ فيه)، أو الذي بعده بدرجة (الحالي المسوَّد)، وهناك المتفحِّم (مريرُ الطعم)، واختار الناشري التحميص المعتدل.

ثُمَّ انظر في أدب أهل القرن العاشر، تجدهم يمتدحون القهوة السوداء، وسواد القهوة ابنُ حمصها (تجحيمها)، كما ستراه في قسم الديوان.

أمَّا مضافات القهوة التي عُرفت في فجر القهوة، فهي:

الهيل والقرنفل:

جاء في منظومة «جلب الزبون في مدح البون» لحمزة بن عبد الله الناشري (ت 926 هـ):

وبالهيل كُلْه كي تُطَيِّبَ نكهةً ... كذلك شِبثًا كُلْ وخَلٍّ قَرَنْفُلا

(1) السَّليط: الزَّيت، وهو زيت السمسم خاصة عند أهل اليمن، ويسمى في حضرموت "سليط جُلْجُل".

(2) التجحيم: التحميص.

(3) أي لا بأس بتحميص حبِّ البن، لكن لا تبالغ في تحميصه فيعودَ مُرًّا.

(4) أي مكث ولم يفارق.

وفي أرجوزة أبي الفتح المالكي (ت 975 هـ):

مـعْ أنَّهـم مـا وضعـوا قـطُّ بِهـا مُحرَّمًـا أصــلًا فكـنْ مُنتَبِهًـا
إذْ هــيَ لا تقبلُـهُ بِحــالِ فمزجُهــا بــهِ مــن المُحــالِ
وإنَّمــا تقبــلُ كالقَرَنْفُــلِ والهـالِ والمسكِ وبعضِ الصَّندَلِ
ومـا سـوى ذلـكَ فهـو أجنبـيْ مِنهـا فَسَـلْ بهـا، وإلا جَـرِّبِ

السُّكَّر والعسل:

أوّل من عرف القهوة بالسُّكَر هم العرب، وكان اتِّخاذ السُّكَّر في القهوة صِفةً لأهل اليَسار والمكانة جاء في منظومة الناشري:

وكُلُّـه كأبنـاء العُلـى بمسـكِّرٍ[1] وطيِّبه بالمسكِ الذَّكيِّ وإن غلا
فإنَّـكَ مهمـا شُـبتَه بمسـكِّرٍ يكون ليُبْسٍ فيه رطبًا مُعدِّلا[2]

وفي وصايا الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة (ت 972 هـ) لشارب القهوة أن يعدِّل مزاجها بالسُّكَّر إن كان من أصحاب الأمزجة اليابسة، أو بالعسلِ إن كان مزاجه رطبًا:

حتـى إذا بقيَـت فـي الـدَّن صافيةً فعنـد ذا ينبغـي إمعانُـك النَّظـرا
فـي طَبـعِ شـارِبها، فاليابسُ الْـقِ له فيها من القَنْدِ[3] كي لا يُضعِفَ البصرا
وضِـدَّه الرَّطبُ، فاستعمل له عسـلًا[4] وقـل لـذي الطِّب: هـذا يدفـعُ الضَّررا

وذكر العيدروس في «الزهر الباسم» أنَّ القهوة كانت معظم قوت الإمام

(1) المسكِّر: ما يوضع على الطعام لتحليته، وهو من التسكير أي وضع السُّكر في الطعام.
(2) وطبيعة السُّكر: حار رطب، لذلك كان فيه تعديل مزاج البُن: البارد اليابس، انظر: تسهيل المنافع لابن الأزرق (١٦).
(3) القند سكَّر القَصب. وهو حارٌّ رطبٌ، يعدِّل مزاج البارد اليابس.
(4) لأنَّ طبع العسل: حارٌّ يابس، فيعدِّل مزاج الرَّطب البارد.

أحمد بن علوي باجَحْدَب (ت 973 هـ) وكان أصحابه - في آخر حياته - يضعون له فيها السُّكَّر؛ «حِرصًا منهم على إيصال نوعٍ غِذاءٍ إلى بطنه، خشية الخُلوِّ بالكليَّة»[1].

الحليب:

انتشر عند باحثينا أنَّ أوَّل من مزج القهوة بالحليب هو سليمان آغا، مبعوث محمد الرابع إلى باريس سنة 1080 هـ/ 1669م، ويذهب الغربيُّون إلى أنَّ أوَّل من مزج القهوة بالحليب هو يوهان نيهوف، السفير الهولندي لدى الصين عام 1071هـ/ 1660م[2].

والحقُّ أنَّ أوَّل من عُرف عنه مزج القهوة بالحليب هو الإمام صفي الدين، أحمد بن عمر الـمُزجَّد الشافعي، صاحب العباب (ت 930 هـ)، قال ابن عبد الغفار في حديثه عنه: «وأما شُربها فأخبرني ولده - حفظه الله - أنه كان يَشْرَبها لا يتركها أبداً، وأنه في مرض موته لـمّا عجز عن تناول الطعام كان لا يقبل إلا القهوة الممزوجة باللّبن الحليب؛ ولم يزل على ذلك حين توفّاه الله تعالى»[3]. وقد تُوفِّي المزجَّد قبل أن تدخل القهوة للشام أو تركيا، فضلًا عن أن يعرفها الغرب.

وكنتُ قد دعوتُ عبر حساباتي في مواقع التواصل الاجتماعي إلى تسمية القهوة بالحليب بـ«المُزَجَّديَّة»، بدل الكابتشينو، أو الفلات وايت، أو الكورتادو، وهي أسماء أجنبيَّةٌ لوصفات القهوة بالحليب، صعبة النطق في الأساس استُسيغَتْ مع الاستعمال، مثلها مثل أيِّ لفظٍ أجنبي يجد مقعدًا في المعجم اليوميِّ، فإنما السهولة فيه ناتج التكيُّفِ لا من أصل بُنيته، وإلا

(1) العيدروس، الزهر الباسم (مرجع سابق)، ق284
(2) Claudia Roden (1994). Coffee: A Connoisseur's Companion. Pavilion Books. p. 95
(3) ابن عبد الغفار، دفع الهفوة (مرجع سابق)، ق20

فمن ذا الذي نطق الكابتشينو أو الاسبريسُّو أوَّل معرفته بهما بشكلٍ صحيح؛ فالذي جعل الدُّربةَ والاستعمال سبيلًا لاستساغة اللفظ الأجنبي، يجعلهما - بنفس المبدأ - سبيلًا لإساغة اللفظ العربيِّ الجديد.

الثلج:

أوَّل من ذُكِر أنَّه كان يشرب القهوة باردةً، هو الإمام عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر السَّكران باعلوي (ت 923 هـ)، جاء في «الزَّهر الباسم» للعيدروس: «وبلغني أنَّ الشيخ الكبير عبد الرحمن بن علي - نفعنا الله ببركاته - كان لا يشربها إلا باردةً، وكان يقول: إنَّ القهوة الباردة تطرد الشياطين المارِدة»[1].

وللأديب أحمد بن شاهين القبرصي الدمشقي (ت 1053 هـ) يذكر القهوة بالثلج[2]:

غنيت بالثَّلج عن سوداء حالكةٍ ... من قهوةٍ لم تكن بالأعصر الأوَلِ
وقلتُ لمَّا غدا خِلِّي يعنِّفُني ... فلي يغنيط عن الشَّحِلِ

وقد وفدت إلينا عام 2015 طريقة تحضير للقهوة الباردة اسمها قهوة الـ «كولد برو» (Cold brew) وتعني - حرفيًا - التحضير البارد، ولا أدري أين الفرادة في استخدام الاسم الوصفي لهذا المشروب، بينما يمكن تسميته - على أضعف الإيمان - «القهوة الباردة»، أو اشتقاق ونحت اسم لها من اسم مبتكرها، فتستطيع أن تقول: «رحمانيَّة» نسبة لعبد الرحمن، أو «بكريَّة» نسبة لأبيه - على قاعدة النَّسب في النحو، أو غير ذلك.

والحقُّ أنَّ مثل هذا لا ينجح ما لم يُعتنَ بالتوعية بأصل الاشتقاق، حتى

(1) العيدروس، الزهر الباسم (مرجع سابق)، ق284.
(2) القاسمي، رسالة في الشاي والقهوة والدخان (مرجع سابق)، ص31

يُشتهر الاسم، أمَّا بعد الذيوع فلا يصبح للارتباط السببي داعٍ، كما حصل مع «الشاذليَّة»؛ فمعظم من يسمي القهوة شاذليَّةً لا يدري لمنْ تُنسب، وقد مرَّ معنا في فصل اكتشاف الشيخ علي بن عمر الشاذلي للقهوة وارتباطها باسمه واسم طريقته، أنَّ البادية كانوا يسمونها الشاذليَّة غير عارفين بصاحب النِّسبة. وهو اسمها إلى اليوم في كثيرٍ من المجتمعات العربية البدوية والحضرية.

الأطياب:

أُضيف للقهوة المسكُ، والعنبرُ، والعودُ، والصَّندلُ، والمصطكى، وغيرها، قال أبو الفتح المالكي في ما تقبله القهوة من المضافات:

وإنَّما تقبلُ كالقَرَنْفُلِ والهالِ والمسكِ وبعضِ الصَّندَلِ
وما سوى ذلكَ فهو أجنبيْ مِنها فَسَلْ بها، وإلا جَرِّبِ

وعن إضافة العود، قال ماميَّة الانقشاري (ت 987 هـ):

أنا المعشوقة السمرا وأجلى في الفناجينِ
وعُودُ الهندِ لي طِيبٌ وذكري شاع في الصِّينِ

ولحقه الأديب حسين الجزري (ت 1033 هـ):

اسقني قهوةَ بنٍّ وامزُج القهوة عودا
فهي للصفراء والبلغم تمحو وهي سودا

عن إضافة المصطكى، يقول الحسن بن إسحاق (ت 1160 هـ):

تأمَّل فناجينًا أتتكَ بقهوةٍ وللمصطكى رَقمٌ عليها بلا يد
تجدها رسالات السلوِّ وحبَّذا صحيفة ياقوت وأسطر عسجدِ

قال الصنعاني في نفحات العنبر: «وآل إسحاق ممن اشتُهروا بتشبيه

القهوة في الفنجان، ثمَّ تابعهم خلقٌ من شعراء اليمن، واجتمع لهم من ذلك كرّاسة مسماة بـ«سلافة النشوة»، ذكر أنهم أول من فتح باب التشبيه بالمصطكى»[1].

هذا ما تيسَّرَ في هذه العُجالة، ويليه الديوان، والحمدُ لله ربِّ العالمين أولًا وآخرًا.

(1) نفحات العنبر (2/290)

ديوان القهوة

«شعر قهوة البن من القرن التاسع الهجري»

جمع وتعليق

ماجد بن عدنان الأهدل

الأنظام والأراجيز

«جلبُ الزَّبون في مدحِ البون»*

لتقي الدين حمزة بن عبد الله الناشري[1]

(ت 926هـ)

قال - رحمه الله -: [الطويل]

أُصرِّحُ باسم الله في النَّظْمِ أولًا	مع الحمد لله الذي خلق المَلا
وأشهدُ أَلَّا ربَّ إلا إلهنا	هو الله ربُّ العرش ذي الطَّولِ والعُلا
تَبارَكَ ما أعلى عُلاه وشَأْنَهُ	وأعظَمَه في المُلك لن يتحوَّلا
وأشهدُ أنَّ الهاشميَّ مُحمَّدًا	رسولٌ من الرَّحمن للخلقِ أُرسِلا
عليه صلاةُ الله تترى مؤبدًا	وسلَّمَ تسليمًا يدوم على الوَلا
ويشملُ أصحابًا له وقرابةً	وكُلَّ ذراريهم وتابعهم وِلا[2]

***

* القصيدة مخرجة على نسختين من مخطوطة «السِّر المكنون في مدح البون» للشيخ علوان الحموي (ت 936هـ)، النسخة الأولى: نسخة دار الكتب - تيمورية - مجاميع - رقم: 194، وبها رطوبة منعت من قراءة كثير من الفقرات. النسخة الثانية: نسخة المكتبة الظاهرية: 27/ 6919، ذات خط نسخي جميل، مليئة بالتصحيف.

(1) هو تقيُّ الدِّين، أبو العبَّاس، حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر الناشري الزبيدي الشافعي، العلامة المتفنِّن، صاحب التصانيف، وُلِد في زبيد سنة 833 هـ ونشأ بها، وتلمذ لعلمائها؛ فحفظ القرآن والشاطبيتين وألفية ابن مالك، وقرأ على البرهان بن ظهيرة بمكة وقاضي عدن أبي حيش محمد شارح الحاوي، وقرأ النحو على قاضي الحنفية بزبيد صديق بن المطيب وسمع على أبيه وقريبه الطيب والزين أحمد الشرجي والتقي بن فهد ووالده النجم عمر القرشي، ولقي الشمس السخاوي بمكة واستجازه وقد أفاد السخاوي كثيرًا منه في مادة كتابه «الضوء اللامع»، وأجازه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، وكتب له بالإجازة هو وعلماء مصر، كالشيخ زكريا الأنصاري، والجوجري، والسيوطي، له: «الإيضاح على الحاوي»، «الأربعون التهليلية» و«مسالك التحبير من مسائل التكبير» ومختصره «التحبير في التكبير» و «انتهاز الفرص في الصيد والقنص» ، وكتاب في النبات اسمه «حدائق الرياض وغوصة الفياض» و «عجائب الغرائب وغرائب العجائب» و «سالفة العذار في الشعر المذموم والمختار»، وتوفي سنة 926 هـ. ترجمته في: النور السافر (130) و البدر الطالع (1/ 158) والضوء اللامع (164/ 3)، وشذرات الذهب (134/ 8)، مصادر الفكر للحبشي (427).

(2) الوِلاء: الوِلاء: بالكسر، الترتيب والمتابعة، من والى يوالي وِلاءً إذا تابَعَ. وقد كررها الناظم في قافية أكثر من بيت.

وبعدُ فهـذا النَّظْـم في البُـنِّ مُبدَعٌ فأجـدِرْ بـه[1] فـي مَدحِـه أن تَحوَّلا

لأنّـي رأيـتُ النَّـاس فيـه تَنَافَسـوا وغالـوا بـه فـي كلِّ جمعٍ تحفُّـلًا[2]

وتاقـتْ إليـه النَّفـسُ عنـد ادّكارِه ولا سِـيَّما إنْ أبصرَتْـه مُحصَّـلًا

فأحببـتُ تنبيهًـا على عُظْـمِ موقعٍ له فـي قلـوبِ النَّـاسِ ممن تَنَبَّلا

وذكـرَ خـواصٍّ فيـه قيَّـدتُ بعضها وآدابِ أكلٍ فيـه عنـد ذوي العُـلا

فأثبـتُّ ما عنـدي وبعضًـا سَـمِعتُه وقلـتُ مقـالًا مُعجِبًـا فيه قـد حَلا

***

كُلِ البُـنَّ لا تعـدِل ببنِّـكَ تَنبُـلا[3] لتعلـو بـه بيـن الأنـام وتَنْبُـلا

ولا تأكلـنَّ القـاتَ[4] رَطبًـا ويابِسًـا فـذاك مُضِـرٌّ داؤه فيـه أعضَـلا

ولا تعدلـنْ بالبُـنِّ فـي النَّقـل[5] فُستُقًا ولا بُندِقًـا، كلّا، ولـوزًا وفوفَـلا[6]

فـإنَّ لأكل البُـنِّ عنـدي منافعًـا رواهـا ثِقـاتٌ عـن ثقـاتٍ على الوِلا

فواظب عليـه لا تخفْ منـه مَقْتَلًا فمـا فيـه داءٌ قـد علمنـاه يَقتُـلا

فخـذه دواءً فـي أمـورٍ مُهمَّـةٍ تحِلُّ بجسـمِ المرء لا تـكُ مُهمِلا

وهـا هـوَ حـارٌّ يابـس الطَّبـع حَرُّه مـن الدَّرجـات الـكلِّ ثانيـةً ولا[7]

---

(1) أجدِر به: فعلٌ ماضٍ جاء بصيغة الأمر للتعجُّب، من جَدُرَ جَدارةً، ومعناه: ما أجدَرَه بكذا.

(2) التَّحفُّل: التزيُّن والمباهاة.

(3) التَّنبُل أو التُّنْبُل أو التُّنبول: ورق نبات ينبت في بلاد الهند، يُستَعمل ممضوغًا بالنُّورة والفوفل في بلاد الهند، يقوِّي اللثة، ويطيِّب رائحة الفم. وقد كان شائعًا في الحجاز واليمن. انظر: مروج الذهب للمسعودي (1/209)

(4) القات: ورق شجر مخدِّر من فصيلة القاتيات Celastraceae، ينبت في شرق أفريقيا واليمن، ويستعمله أهل اليمن ممضوغًا، وقد كان يُشرب مغليُّه أوّل الأمر، ثمَّ استقرَّ استعماله على المضغ.

(5) النَّقل: ما يُتَنقَّلُ به على الشرّاب (اللسان: نقل). وهو ما يؤكل من المكسَّرات كالبندق والفستق والبذور المقلوة. وهنا إشارة مهمة إلى أنَّ البنَّ كان يُستخدم كالمكسَّرات في اليمن أوَّل شيوعه قبل أن يستقرَّ استخدامه على صيغة المشروب المغلي الذي نعرفه اليوم.

(6) الفَوفَل: ثمر نخلة مثل نخلة النارَجيل تحمل كَبَائس فيه الفوفل أمثال التمر. صلب كأنه عود خشب. (اللسان: فوفل)

(7) الحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة من طبائع الأشياء في الطب القديم. قال داوود الإنطاكي في التذكرة (1/88): البُنّ: ثمر شجر باليمن ..هو حار في الأولى يابس في الثانية وقد شاع برده ويبسه وليس كذلك؛ لأنه مر وكل مر حار

بثالثةٍ خُذ يُبسَه ثُمَّ إنَّه ... يكون به قَبْضٌ لمن قد تأمَّلا

وفيه زوال الهمِّ والغمِّ والكَرَى ... ويُذهِبُ فِكرًا في العواقب مُقبِلًا

ويَشْرَح صَدرَ المرءِ في كُلِّ حالةٍ ... بتفريجِ هَمٍّ كي يرى حُزنَه انجلى

ومنه نشاطٌ مُعقِبٌ أريَحِيَّةً[1] ... يُعينُ على الأعمالِ إن هو أُعمِلا

ويُذهِبُ أوصاب العظام بإثرِها ... ويُبرِئ عنك البلغمَ المتأصِّلا

ويشفي سُعَالًا بَلْغَميًّا موقَّفًا ... ويُذهبه حتَّى الغليظَ المسعَّلا

ويقطعُ ماءً سائلًا كلَّ ليلةٍ ... من الفَمِ حين النَّومِ، بل يُسخِنُ الكِلى

وفي أكلِه دفءٌ من البرد فاعتمد ... عليه لدفع البرد عن أن تَزمَّلا[2]

ويُصلح باهًا[3] قد تعطَّلَ أمرها ... إذا أكثرَ العِنِّينُ[4] منه فأجزلا

ومهما ابتليتُم بالرُّطوبة إنَّه ... لإفراطِ ترطيبٍ يكون مقلِّلا

ويقتلُ دودَ البطنِ إن كانَ أكله ... ذريعًا فبالتجحيم[5] كله لتقتُلا

ومن غثيان القلب، كن أنتَ آكِلًا ... له، ويُشهِّي عائفًا قد تعلَّلا

ويهضِمُ مأكولًا ثقيلًا ومُخبِثًا ... ويُحدِرُه أيضًا سريعًا مُعجَّلا

ويُذهِبُ ريح الثوم من فمِ آكلٍ ... وكلَّ كريهِ الرِّيح كالحُرْف[6] والطِّلا[7]

ويمكن أن القشر حار ونفس البن إما معتدل أو بارد في الأول والذي يعضد برده عفوصته. وبالجملة فقد جرب لتجفيف الرطوبات، والسعال البلغمي، والنزلات وفتح السُّدد، وإدرار البول وقد شاع الآن اسمه بالقهوة إذا حمص وطبخ بالغا وهو يسكن غليان الدم وينفع من الجدري والحصبة والشرى الدموي..». وقد اختُلف في طبعه بين الحكماء.

(1) الأريحيّة: الواسعُ الخُلُق المنبسِطُ إلى المعروف، والاسم أريحيّة، وأخذته أريحيّة، أي: خِفّة وهَشّة (اللسان: ريح)

(2) التزمُّل: التلفّف بالثِّياب (اللسان: زمل).

(3) الباه والباءة والباء: النكاح (اللسان: بوأ). وقد اختُلفَ في خاصيّته هذه، فقد كان يرى داوود في التَّذكرة أن القهوة تُذهِبُ الباءة، وتقطع الشهوة إن أكثر منه.

(4) العِنّين: الذي لا يأتي النساء (اللسان: عنن)

(5) التَّجحيم: من جَحَمَ النار إذا أوقدها، ويُقصد به هنا التحميص، أي تعريض حبوب البن للنار.

(6) الحُرْف: بالضم، حَبُّ الرَّشاد (الثُّفاد)، ومنه قيل شيءٌ حِرِّيفٌ بالتشديد، للذي يَلْذَعُ اللسانَ بحَرافَتِه. (الصحاح: حرف)

(7) الطِّلاء: الخمر.

ويجلو فمًا أيضًا بطيِّبِ نكهةٍ ... ويُذهب أوساخًا به قد تخلَّلا

فأعظم به نفعًا لتطييب نكهةٍ ... يُزيلُ عن الثَّغرِ السُّهولة[1] والقِلى

ومهما شممتَ البُنَّ من فَم غادةٍ ... يشوقُكَ منه ريحه أن تُقَبِّلا

ويقطعُ باسورَ المقاعد أكلُه[2] ... كذا يقمع الصَّفراء قمعًا مُحَلِّلا

فكُلْه لصفراء الغَداة ولم أُرِدْ ... طبيعتَه إذْ تلك بالحَرِّ تصطلي

وإن سُكَّ[3] شيءٌ منه بالماء إن طُلي ... به وجعُ العينين زالَ مُعجَّلا[4]

كذا قاله عبد اللطيف مشرِّعٌ[5] ... بتأليفه في الطِّبِ[6]، جرَّبَ فانجلى

ومهما أكلتَ البُنَّ من باكريَّةٍ[7] ... على الرِّيق فاشربْ بَعده الماء مُنهِلًا

لأنَّ بهذا الشُّرب قد صِرتَ ظافرًا ... (وإلَّا فيُخشى إن يكُ [الماء] أوَّلا)[8]

---

(1) كذا في الأصل: السهولة، ولعله يقصدُ بها سيلان ماء الفم، من قولهم نهر سهل، إذا كان سائلا، أو أنها تصحيفٌ لسيولة. والله أعلم.

(2) ونفعه للباسور مما اختلف فيه الحكماء أيضًا، فيرى عبد اللطيف المشرِّع (ت 900 هـ) في «الموصل للأغراض في مداواة الأمراض» خ- ق 14: يرى نفعه للباسور. لكن داوود الإنطاكي (ت 1008 هـ) في التذكرة (86/ 1) أنه: «يولد البواسير»، لكن وكان مما جرَّبه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت 926 هـ) للباسور فشُفي، روى ذلك تلميذه ابن حجر الهيتمي في شرحه على العُباب للمزجَّد - خ، ق 48، فراجعه.

(3) السَّكُّ: الضرب و الإغلاق والإقفال، ويقصد هنا التنقيع، بأن يُغلَق على شيء من البن في إناء فيه ماء.

(4) قال المشرع: «ويُقطَّر في العين فيزيل الحمرة من البياض الرقيق في العين»، انظر: الموصل للأغراض - خ، ق14

(5) هو سراج الدين، عبد اللطيف بن موسى بن أحمد بن علي بن عجيل اليماني، يُعرف بالمشرِّع، بكسر الرّاء المشدَّدة، العلامة الصالح، من علماء زبيد باليمن، له كتاب: الموصل للأغراض في مداواة الأمراض، توفي بزبيد في محرم من سنة 900هـ انظر: قلادة النحر (519/ 6)

(6) انظر: الموصل للأغراض في مداواة الأمراض، لعبد اللطيف المشّرع، مخطوطة بجامعة الملك سعود، رقم 1856، ق 14.

(7) باكريَّة: الصباح.

(8) أضفت ما بين المعقوفتين؛ لإقامة الشطر، وهو في التيموريَّة :(وإلا فيُخشى أن يكون أوَّلا)، وفي الظاهرية هكذا: (وأن تقول البن ظفرت أولا!)، وكلا الشطرين ولا يستقيم وزنًا ولا معنى. وفي الزَّهر الباسم: (وأن لا تقول البن ظفرتَ أوَّلا)، وفي «السناء الباهر» للشلِّي (180): (وأن لا تقول البن ظفرتَ أولا)، وكلها غير مفهومة، ولعل صوابه ما أُثبِتَ: (وإلا فيُخشى إنْ يكُ الماء أوَّلا)

يعني على الرِّيق، وقد كانت العرب تعتقد أنَّ شُرب الماء على الريق يورث الهزال، انظر: عيون الأخبار (294/ 3)

كـذا قالـه الشَّـرْجيُّ[1] زيـنُ الهـدى لنـا ... جـرى في حديـثٍ منه فـي البُـنِّ فَصَّلا

فتلـك خـواصُّ البـنِّ ها قـد خصصتُها ... وآدابُـهُ وَافَـك كالـدُّرِ تُجتَلـى

فـلا تطعمنْ فـي الصُّبـح شـيئًا قُبَيْلَه ... (سِـواهُ فَحَقًّـا أنْ يُقـدَّم أوَّلا)[2]

فـلا تُهمِلَـنَّ البُـنَّ فـي باكريَّـةٍ[3] ... وبعـد الغَـدَا ثـمَّ العَشَـاءِ علـى الـوِلا

وإن زِدتَ فـي أكلٍ فأنـتَ مخيَّـرٌ ... فـلا حَجْر في الإكثـار أو أن تُقلِّلا

نعمْ أنتَ إن أكثرتَ فـي الأكل مُمْعِنًا ... يُخـافُ بـه يُبْسُ الدِّمـاغ مخبِّـلًا

وفي سَـحَرٍ بعـد التَّسَـحُرِ كله للنـ ... ـشـاطِ وبعـد الفِطـر كُلْـه مُعَجِّـلًا

وكُلْـه هنيئًـا حيـثُ بَالُـكَ حاضـرٌ ... خليٌّ عـن الأشـغالِ كـي تَـكُ مُقبِلًا

وأوصيـكَ لا تأكُلْـه فـي حـالِ دهشـةٍ ... بشـغلٍ فتُلهـى عـن تَطَعُّم مـا حَلَا

وإنْ مـا أردتَ الأكل منـه فـأوَّلًا ... أَزِح قِشْـره عـن شِـقِّه إنْ تَسَـهَّلَا

وكل منـه نَـزْرًا فوق عشـرينَ حبةً ... وإلا فَـزِدْ عشـرًا ومـن فَوقِهـا فلا

ولا تمـلأنَّ الفـمَّ مثـل زيالـعٍ[4] ... تـرى كلَّ شِـدقٍ كالقرود قـد امتلا[5]

فَرُبَّتمـا[6] قـد غيَّـرَ العيـنَ فِعلُـه ... أو الخَـدَّ حتَّـى صار فـي الفُحش مُدخِلًا

ولا بُـدَّ منـه فـي معاشـرةٍ جَـرَتْ ... لمحبوبكَ المحبوب بالحُسْنِ والحُلى

---

(1) هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشَّرْجي، شهاب الدين، المعروف بالزبيدي، ولد سنة 812هـ وهو محدث البلاد اليمنية في عصره. نسبته الأولى إلى شَرْجَة حَيس، له التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، وطبقات الخواص، توفي بزبيد سنة 893هـ. انظر: الضوء اللامع (1/214)

(2) من التيمورية، وفي الظاهرية: (فجديرٌ أن يُقدَّمَ أوَّلا)، ولا يستقيم. والأصوب ما أثبت.

(3) في التيمورية: في كلِّ باكرٍ..

(4) الزَّيالع: المنسوبون إلى برِّ زيلع، أو مدينة زيلع، مدينة من بلاد الحبشة تقع اليوم في جمهورية الصومال، وكان يُطلق على بلاد الصومال والحبشة برّ زيلع، أو برّ العجم، وبرّ سعد الدِّين، نسبة للملك المجاهد سعد الدين.

(5) وهنا يشير إلى أنَّ أهل الحبشة كانوا يستخدمون البُنَّ ممضوغًا كالقات، يخزِّنونه في الشِّدقين، ثمَّ يمتصون ريقه إلى الجوف، وقد دخلت هذه العادة إلى اليمن في البُنِّ والقات، ثمَّ تركوها في البُنِّ، وبقوا عليها في استخدامهم القات، رفع الله شرَّه عن بلاد المسلمين.

(6) رُبَّتما: رُبَّة، مؤنث رُبَّ حرف الجر، دخلت عليها "ما" الزائدة.

فأطعِمــه منــه أكلــةً بعــد أكلــةٍ   وكلْ أنــتَ مِنــهُ عنــد ذلــكَ أوَّلَا

تنقَّــل بــه مــن بعــدِ راحٍ فإنَّــه   يُلَــذُّ بــه نَقــلًا لمــن قــد تَنقَّــلا

وأكــرِم به أصحــابَ أنسِــكَ دائمًا   وأتحــف بــهِ أضيافَــكَ الغُــرَّ مُفضِــلًا

وأفضِــل علــى حُضَّــار عَقْــدِ تناكُــحٍ   بــه جَرَتِ العــادات ممن تَــجَمَّلا

وأسـعِف بــه حُضَّــار كلِّ وليمــةٍ   إذا فرغوا من غســل أيــدٍ تَطَوَّلا[1]

وأتحــف بــه حُضَّــار عُرسِــكَ مُكْرِمًــا   لئــلا يَقيلــوا مــن نعاسٍ قــد اعتلى

وإن عقــد الأصحــابُ في الحيــن نُزهةً   فأطعِمْهُــمُ مِنــهُ ومــن قــد تَطَفَّــلا

فمــا قــد ســمعنا أو رأينــا بمُكــرِمٍ   علــى غيــره فــي هــذه العِــدِّ[2] عَــوَّلا

وفــي سَــفَرٍ لاسِــيَّما ســفر البحــا   رِ، في مجلسِ الأصحابِ كُنْ مُتوسِّلا[3]

يُسلِّيك عــن وعثاءَ مــا فيه عــن غِنى   ويُسـليكَ بالتفريــج عــن كربــة الخلا

رويــدًا رويــدًا بالترفُّــق لا تكــن   بمســتعجلٍ فــي أكلــهِ فتُجَهَّــلا[4]

ولا تكُ مثلَ الشَّــاةِ إذ تــأكل النَّوى   تُدَقْدِقُــه دقًّــا عنيفًــا مُعجَّــلًا

وكُلْ بالتَّأنِّــي كــي تُــرى مُترفِّهًــا   ومحتشِــمًا بيــن الأنــام مُكمَّــلا

وكُلْــه كأبنــاء العُلــى بمســكَّرٍ[5]   وطيِّبــه بالمســكِ الذَّكــيِّ وإن غلا

فإنَّــكَ مهمــا شُــبتَه بمســكَّرٍ   يكــون لِيُبْــسٍ فيــه رطبًا مُعــدِّلا[6]

وبالهيــل كُلْــه كــي تُطَيِّــبَ نكهــةً   كذلــك شِــبثًا كُلْ وخَــلِّ قَرَنْفُــلا

---

(1) التَّطوُّلُ: التفضُّل.

(2) ضُبطَت في التيمورية بالكسر "العِدّ" وهي الجماعة من الناس كما في اللسان في مادة (عدد)

(3) البيت ساقط من الظاهريّة.

(4) أي تُرمى بالجهل وسخف العقل. والجهل ضدُّ العقل (اللسان: جهل)

(5) المسكَّر: ما يوضع على الطعام لتحليته، وهو من التسكير أي وضع السُّكر في الطعام.

(6) وطبيعة السُّكَّر: حار رطب، لذلك كان فيه تعديل مزاج البُن: البارد اليابس. انظر: تسهيل المنافع لابن الأزرق (17).

فذلـك مأكـول الملـوك وصَحبِهِـم وكلِّ رئيـسٍ مـن تِـجَار[1] ومـن تَـلا

ونَقْـلٌ علـى شُـرْبِ المُـدامِ مقدَّم يزيـل التَّغشِّي ليس عـن ذاك مَعْـدِلا

وما ذاك تحريـضٌ على الشُّـربِ للطِّلا فيشـرب مـن طيـن الخبال بيوم لا[2]

ونافِسْ بـه أبنـاء جِنسِـكَ يـا فتى تكـون رئيسًـا كامِـلًا ومبجَّـلًا

وزَيْنُـا بنـا قدِّمْـهُ مهمـا وجدتَـه وكُل منـه مفتُولًا منقَّـى مُغربَلا[3]

وإن لـم تجد كل ما يلـي ذاك رُتبةً ونزِّلْـهُ فـي ذا منـزِلًا ثـمَّ منـزِلًا

ومهمـا قُلـيْ من بعد سَـلْخِ قُشـوره فأسبِغهُ دَهْنـا بالسَّـليطِ[4] معـدِّلاً

ومـن بعـده فادعكـه باليَـدِّ بُرهـةً لينـزاح قِشـرٌ رقَّ عنـه قـد اعتلـى

وكُلـه طريًّـا أيَّ يـومٍ وليلـةٍ ويوميـن منـه أو ثلاثًـا، وبعـدُ لا

نعـم إن دعتكـم للعتيـقِ ضـرورةٌ كفِي سَـفَرٍ فاحسُـوه مضغًـا ومأكلًا

ولا بـأس بالتجحيـم[5] معتدِلاً ولا تُلِـحَّ بـه كـي لا يعـود محنظـلًا[6]

وللنـاس فـي المقلوِّ منـه مذاهِـبٌ فمنهـمْ إلى الصَّافـي الثقيـل تَمَيَّلا

ومنهـم إلـى الحالـي المُسـوَّد مائلٌ ومنهـم إلى تجحيمـهِ مـا تَزَيَّلا[7]

---

(1) التُّجَار: جمع تاجِر، مخفَّفة.

(2) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أبو داوود في سننه (3680): عن ابن عباسٍ، قال النبي ﷺ: «كلُّ مخمَّرٍ خمرٌ، وكلُّ مسكرٍ حرامٌ، ومن شرب مسكرًا بخستْ صلاتُه أربعين صباحًا، فإن تاب تاب اللهُ عليه، فإن عاد الرابعةَ كان حقًّا على الله أن يَسْقِيَه من طينةِ الخبالِ. قيل: وما طينةُ الخبالِ يا رسولَ الله؟ قال: صديدُ أهلِ النارِ، ومن سقاه صغيرًا لا يعرفُ حلالَه من حرامِه كان حقًّا على الله أن يَسْقِيَه من طينةِ الخبالِ». بيومِ لا: يقصد يوم القيامة إشارة إلى قوله تعالى:(يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون) الشُّعَراءَ، الآية 88.

(3) في الظاهريَّة: مفتولاً. وقرأته في التيموريَّة كما أثبتُّ. والفتل: ليُّ الشيء باليدين، والتنقية: اصطفاء الجيِّد، والغربلة: نَخلُ الشيء بُغية تصفيته.

(4) السَّليط: الزَّيت، وهو زيت السمسم خاصة عند أهل اليمن، ويسمى في حضرموت "سليط جُلْجُل".

(5) التجحيم: التحميص.

(6) أي لا بأس بتحميص حبِّ البن، لكن لا تبالغ في تحميصه فيعودَ مُرًّا.

(7) أي مكث ولم يفارق.

ومنهم مع التَّجحيم يبغيه حارقًا   وهذا مريرُ الطَّعمِ في الأكلِ أوَّلا

وخيرُ أمور الكُلِّ أوسطها فكن   إلى وسطٍ هشًّا لتربَحَ مأكلا

وضعه بظرفٍ من زجاجٍ يصونه   من اللِّين كي يبقى زمانًا مطوَّلا

ودع عنك حُقَّ الخَرْطِ[1] يا لك بل وإن   تكن من نحاسٍ عَدِّ عنه وعَدِّلا

وضع فيه قرطاسًا من المسك علَّه   يعبِّقُهُ أو عنبرًا ثمَّ مَنْدَلا[2]

وإن شئت صِرفًا كُلُّه أو بمسكَّرٍ   وإلا فمدقوقًا يكون متوبَلا[3]

وإن شئت أحكامًا فخذها جليلةً   تبَرَّحُ في أثواب فخرٍ من الملا

***

(1) الحُقُّ والحُقَّة: بالضم، وعاء مخروط من خشبٍ أو عاج. (اللسان: حقق). وما زالت تُستخدم اليوم في تهامة اليمن بمعنى الوعاء الصغير. ويظهر لي أنَّ تزهيد الناظم في أوعية الخشب، لأنَّها تُعدّي رائحتها إلى البُنّ، والبُنّ شديد الامتصاص للروائح المجاورة.

(2) المندل: عودُ الطيب الذي يُتبخَّر به. (اللسان: ندل).

(3) متوبل: اسم المفعول من توبَّل، توبلتُ القدر إذا جعلت فيها التوابل (اللسان: تبل)

[ذِكرُ معرِفة أحكامه وطهارته وصحَّة بيعه، وقبض سَلمِه، وبيع قشره، ونفي الزَّكاة عنه]

وهاهي أبكارٌ أتتْ عَزَّ عزوها ... إلى عالمٍ أو فاضلٍ من أولي العلا

فمهما يُبَلُّ البُنُّ في الماء ليلةً ... وغيَّره بالفُحْش ما طهر الملا![1]

وأمَّا المُصلِّي فَهْوَ في فَمِهِ فَلا ... يصِحُّ له، مع بَلعِ ريقٍ تخلَّلا

إذا كان في الرِّيق التَّغيُّر منه أو ... إذا انحلَّ منه البعضُ والجوفَ أُوصِلا

وفي الصَّومِ ذا جارٍ وإن لم يَصِلْه قُلْ ... فيُكرَه تنزيهًا كعِلْكٍ تأصَّلا[2]

وإن لم يكن في رِيقٍ فمٌ تغيُّرٌ ... فصحِّحْهُما مع بلعِ ريقٍ تحلَّلا[3]

***

ومذهبنا ألا زكاةَ تُصيبه ... فليس بقوتٍ ضِدَّ من قد تخيَّلا[4]

وأوجبها النُّعمان فيه وصحبُه ... خلافًا لباقي مذهبٍ قد تحصَّلا[5]

وليس لهم في ذاك نصٌّ وإنَّما ... نقولُ قياسًا فيه كُن متأمِّلا

وصحَ له بيعٌ مع القِشرِ إنَّه ... ليصلُح فيه الإدِّخار من البِلى[6]

---

(1) مطموس في التيموريَّة، وهو كذا في الظاهرية، ولم أفهم شطره الثاني.

(2) نصَّ الشافعي على كراهة مضغ العِلك للصائم، قال: «وأكره العلك لأنه يجلب الريق، وإن مضغه فلا يفطره». انظر: الأم للشافعي (110/ 2)

(3) وهي مسألة الأكل في الصلاة، وهي مما يُفسد الصلاة بالجملة، واختلفوا في مقدار العفو. قال النووي في الروضة (296/ 1): «ولو كان بين أسنانه شيء فابتلعه، أو نزلت نخامة من رأسه فابتلعها عمدا، بطلت صلاته. فإن أكل مغلوبا، بأن جرى الريق بباقي الطعام، أو نزلت النخامة ولم يمكنه إمساكها لم تبطل. وإن أكل ناسيا، أو جاهلا بالتحريم، فإن قل لم تبطل».

(4) ذهب الشافعية إلى أن الزكاة لا تجب في شيء من الزروع والثمار إلا ما كان قوتًا. والقوت هو ما به يعيش البدن غالبا دون ما يؤكل تنعما أو تداويا. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (279/ 23)

(5) النُّعمان: لقبٌ للإمام أبي حنيفة - رحمه الله-. وقد أجمع أئمة المذاهب الأربعة على أنَّ في التمر والعنب من الثمار، والقمح والشعير من الزروع = الزكاة، إذا تمت شروطها. واختلفوا في ما عداها من الأصناف، وأوجب أبو حنيفة الزكاة في كلِّ ما يُقصد بزراعته استنماء الأرض، من الثمار والحبوب والخضراوات. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (278/ 23) بتصرف.

(6) قياسًا على جواز بيع الجوز في قشرته السفلى عند الشافعي وغيره. وبيع الحبَّة في قِشرتها من بيوع المغيَّبات،

بذلـك أفتـى الطَّيـبُ الناشـريُّ[1] عَنْ ... سـؤالٍ سـألناهُ فخـذهُ معلَّـلا

***

ولا يَلـزمُ الشَّـاري قبـولَ مُقشَّـرٍ ... وذلـك عَيـبٌ مثلُـه سَـلَمٌ تـلا[2]

وصـحَّ مبيـع القِشـرِ منفـردًا لمـا ... يُرجَّـى بـه نَفـعٌ وليـسَ معطَّـلَا

ومن نفعـه أن تُطعَمَ الشـاة وانتفع ... بتسـخينه بالمـاء واشـربَه مُنهِـلَا

كـذا مـا قُلي مـن ذلكم غيـرُ لازمٍ ... قبـولٌ لـه فـي كلِّ عقـدٍ تحصَّـلَا

نعـم بالتراضي جَـازَ أن يُقبـلَ الذي ... مضـى وليكـن من غيـر شـرطٍ تَخَلَّلا

وذلــك فيمــا يشـتريه بقشـرِه ... وإلا ففـي المقشـورِ يلزمـه كلا

وإن بُـلَّ حتـى قـد تنفَّخ صـحَّ فيـ ... ـهِ بيـعٌ وجُعـلٌ أو صَـدَاقٌ تَكَفَّـلا

كـذا لا تبـع هـذا بمـا هـو مثلـه ... ولا غيـرَ مبلـولٍ بـه يـا فتـى العُـلا[3]

وبِعـه بقشـرٍ منـه بـل مـعْ تفاضُلٍ ... وقِشـرًا بقشـرٍ كيـف مـا شـئته افعـلا[4]

أي التي تكون فيها السلعة حاضرةً لكنَّها غيرُ مرئية، كالجوز واللوز في قشرتيه أو قشرته، والحنطة في سنبلها، والمفارش المطويَّة، وهو داخلٌ في الغَرَر عند الفقهاء واختلفوا في مقدار هذا الغرر، وحكمه تبعًا، والجمهور على أن الغرر الصغير غير المؤثِّر جائز. قال النووي في المنهاج (156/ 10): «أجمع المسلمون على جواز أشياء فيها غرر حقير، كبيع الجُبة وإن لم ير حشوها. وجوَّزوا بيع الجوز في قشرته لئلا يُسرع إليه الفساد».

(1) هو العلامة محمد بن أحمد بن أبي بكر بن علي، أبو عبد الله، الطيّب الناشري الزَّبيدي،فقيه شافعيٌّ، اختص بالظاهر يحيى بن إسماعيل: صاحب اليمن. وأنشأ له مكتبة في في تعز بلغت نحو 500 مجلدة. وولي قضاء الأقضية في زبيد سنة 844 هـ واستمر إلى أن مات سنة 874 هـ، وكان أبرع من درّس الحاوي. انظر: الضوء اللامع (298/ 6)

(2) إذا جرت العادة ببيع البنّ مع قِشره، فعليه يكون بيعه مقشَّرًا من التَّغيرُّ في صفة المَبيع (البن)، فلا يلزم الشاري قبوله وهو بالخيار، وذلك جارٍ في بيع السَّلم، إذ هو بيعُ عاجلٍ بآجلٍ موصوفٍ في الذِّمة. وسيأتي بيانه.

(3) المذهب أنَّ الطعام المبلول لا يُباع بيابسٍ ولا مبلولٍ من جِنسه. قال القَليوبي في الحاشية (213/ 2): «لا يصح بيع نحو بر مبلول بجنسه ولو بعد جفافه أو بغير مبلول ومثله ما يبطل كماله».

(4) اتفق العلماء على أن ربا الفضل (أي بيعُ ذهبٍ بذهبٍ، أو فضّة بفضة، أو قمح بقمحٍ مع تفاضلٍ في أحد العوضين؛ كأن يبيع صاع قمح بصاعين)، لا يجري إلا في الجنس الواحد من الأعيان الربويَّة الستة: (الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح)، ولا يجري في الجنسين ولو تقاربا لقول النبي ﷺ: «بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد». واختلفوا في علَّة تحريم الربا في الأجناس الأربعة (غير الذهب والفضة)، فذهب الشافعيَّة أنَّ علَّة التحريم في الأجناس الأربعة: البر، والشعير، والتمر، والملح = كونها مطعومة؛ أي أنها تصلح أن تكون طعامًا للآدمي، وعليه قاسوا في الأطعمة مما عدا الأجناس الأربعة المنصوص عليها. انظر: الموسوعة الكويتية (76-22/ 57) بتصرف.

وذاكَ لأنَّ الطَّعمَ في القِشرِ منتفٍ ... وقد كان يُلقى في المزابل أوّلَا[1]

قياسًا على المأكول في الجَدب[2] إنه ... نفوا عنه طعمًا للنُّذور وقيل: لا

وإنْ بيعَ بعضٌ منه بالبعض صحَّ مَعْ ... حلولٍ وقبضٍ لا إن افترقا [فلا][3]

بشرطِ التَّساوي في المبيعين إنَّه ... إذا زاد أربى فهو ليس محلَّلا

ومهما قُلي دعْ بيعَ بعضٍ لمثله ... لتأثيرِ نارٍ فيه صارَ مُعلَّلا[4]

كذا لا تبعه بالذي ما قُلي ولا ... بما هو في قِشرٍ فخذه مُفصَّلًا

كذا قهوةٌ بِعها بِبُنٍّ إذا غدتْ ... من القِشر لا من [حبة][5] البون تُعمَلا![6]

وإن قهوةٌ بيعَت بمثلٍ لها فلا ... يصِحُّ لأجلِ الماء أو أن توَجَّلا[7]

وخذ سَلَمًا في البُنِّ في قِشرِه يَصِحْ ... حُ كالجوز في قِشرٍ غليظٍ له اعتلى[8]

(1) يعلِّل الناظم هنا جواز الرِّبا بين البنِّ وقشره؛ لأنهما ليسا متَّحدي الجنس، ثمَّ لكون القشر ليس قوتًا في العادة، فقد كان مما لا يُلتفتُ إليه أوَّل أمره. وفي فتاوى ابن حجر (2/ 240): «وسئل عن قشر البن هل هو ربوي أم لا؟ فأجاب بقوله: الذي دل عليه كلامهم أنه غير ربوي؛ لأنه لا بد في الربوي من أن يكونَ يُعد للأكل على هيئته، كما صرحوا به ومن ثم لا ربا في الحيوان، وإن جاز بلعه؛ كصغار السمك، ولا في حب الكتان ودهنه، ولا في نحو الورد ومائه، والعود؛ لأن هذه كلها لا تعد للأكل على هيئتها، ولا شك أن قشر البن أولى من هذه بكونه غير ربوي لأن بعض هذه يتناول على حالته وأما قشر البن فلا يتناول على حالته أصلا فلا يعد مطعوما» فانظره.

(2) في الظاهرية والتيمورية: الجذب، وما أُثبِتَ أظهر.

(3) في الأصل: كلا، والأظهر ما أُثبِتَ.

(4) يعني لا يجوز بيع البنِّ المحمَّص (المصطلى بالنَّار) بِبنٍّ محمَّصٍ؛ لجهل التَّساوي بين العوضين، فربما أثَّرت النار في أحدهما أكثر من الآخر، وضبط تأثير النار صعب. قال النووي في المجموع (11/ 92-93): «المسألة الثانية: بيع مطبوخه بمطبوخه وقد نص عليه الشافعي أيضا في المختصر قال تلو الكلام المتقدم ولا مطبوخا منه بمطبوخ لأن النار تنقص من بعض أكثر مما تنقص من بعض وليس له غاية ينتهي إليها..».

(5) أضفتها لإتمام المعنى.

(6) لاختلاف الجنس بين البنِّ وقشر البنِّ فصحَّ.

(7) لانتفاء التماثل بين القهوتين؛ لعلَّة المائيَّة، وهي تأثير الماء بالزيادة والنقصان في أحدهما، من ثمَّ تعرُّض القهوتين للنار بما لا يسهل ضبط مقداره، وهذا مما يؤيِّد انتفاء التماثل بين القهوتين.

(8) قاس متأخرو الشافعيَّة البنَّ في قشره على الجوز، قال في تحفة المحتاج: «ويصح السَّلم في الجوز، وألحق به بعضهم البن المعروف الآن وهو واضح بل الوجه صحته في لبه وحده؛ لأنه لا يسرع إليه الفساد بنزع قشره عنه كما قاله أهل الخبرة». قال الشرواني محشِّيًا: «قوله: (لا يسرع إليه الفساد إلخ) بخلاف الجوز واللوز فإنه لا يصح السَّلَم في لبهما وحده لأنه إذا نزعت قشرته السفلى أسرع إليه الفساد والمراد بلب البن ما هو الموجود غالبا

[بذلك أفتاكَ المُزَجِّدُ[1] إذ تَسَلْ ... عن العالمِ المفتيِّ فازَ واعتلى][2]

ويمنع في المقلو من سَلَمٍ إذا ... تأثَّرَ بالقلي الـمُلحّ لمن قلى

وإن لم يؤثِّر جازَ أو إن جعلتَه ... أصيلًا يكنْ في غير مطعوم اجعلا

وإن أُسلِم المبلولُ في القَرضِ جُوِّزا ... وجَاز له قرضٌ وفي الرَّدِّ أشكلا[3]

وإن سَلَمٌ في قهوة البُون قد جرى ... فحرِّمه للتأثير بالنَّار يُصطلى[4]

وللبُنِّ جازَ القَرضُ والرَّهن جعلُه ... صَداقًا له والماءُ بالماءِ جُمِّلا[5]

[كذا ما قُلي] في الغَصْبِ رُدَّ بمثلِه ... وصورتِه عيبًا ولا إن قُلي فلا[6]

ومهما غصبت القشر أو كنتَ مُتلفًا ... له فاعزِم المثل الذي فيه أصَّلا

من القلب الذي نزع قشره، وفي إسراع الفساد بلب اللوز وقفة ظاهرة!» انظر: تحفة المحتاج بحواشي الشرواني والعبادي (18/ 5-16) أما اليوم فالعادة أن يُباع البنُّ مقشَّرًا، محفوظًا في أوعية تؤخِّر فساده.

(1) هو الإمام صفي الدِّين أحمد بن عمر بن محمد السَّيفيُّ المراديُّ الزَّبيديُّ، المعروف بالمزجَّد، فقيه شافعيٌّ وقاضٍ، له «العُباب» في فقه الشافعي، قال فيه صاحب العقيق اليماني: (أجمع علماء مصر والشام واليمن أنه لم يصنف مثله في حسن ترتيبه وتهذيبه وجمعه، أقام في تهذيبه عشر سنين)، ولي قضاء عدن ثم قضاء بلده. توفي سنة 930هـ. انظر: مقدمة تحقيق العباب، والنور السافر (137)، وشذرات الذهب (169/ 8).

(2) البيتُ في التيموريَّة: «بذلك أفتى المزَجَّدُ إذْ سألتَ عن
العالم المفتيِّ فازَ واعتلى»، وصورته في الظاهريَّة: «بذلك أفتى المزجَّد إذ سألت عن
العالم المفتي فازَ واعتلى»، وكلا البيتين مكسورٌ، وما أثبتُّه محاولةٌ لتقويم البيت.

(3) يقصد أنَّ إذا جاز السَّلَمُ في المبلول، جاز القرض فيه كذلك، جريًا على القاعدة: ما جاز السلم فيه، جاز قرضه، وما لا فلا. انظر الأشباه والنظائر للسيوطي (457). والإشكال في ردِّ المبلول ظاهرٌ، لأنَّ الماء غير معلوم الكمِّية.

(4) سبق بيانه في مسألة بيع البن المقلي (المحمص) ببن مقلي، ويجري لصحة السَّلم ما يجري لصحة البيع عامة.

(5) القاعدة أنَّ ماجاز فيه السَّلم جاز القرض فيه، وما جاز بيعه جاز رهنه، وما جاز بيعه جاز جعله صَدَاقًا. قال الشربيني: «كل ما صح كونه عوضا معوّضا عينًا أو دينًا أو منفعةً كثيرًا أو قليلًا - ما لم ينته في القلة إلى حد لا يتمول - صح كونه صداقا؛ وما لا فلا». انظر: مغني المحتاج (368/ 4)

(6) الغصبُ عند الفقهاء: أخذ مال متقوم محرم بغير إذن مالكه على وجه يزيل يده، إن كان في يده. والأصل أن يردَّ الغاصب المال المغصوب، فإن أتلفه أو استهلكه ضمن بدله أو قيمته. انظر موسوعة القواعد الفقهية (275/ 6). والشطر في الأصل: «وما هو مقليٌّ في الغَصْبِ رُدَّ بمثله..» وكسره ظاهرٌ، وما بين المعقوفين محاولة تصويب.

[المساقاة في البن]

وأشـجاره فيها المُساقاةُ لا تصحْـ ... حُ إلا على وجهٍ ضَعيفٍ وأُهمـلا[1]
قياسًـا علـى بَقْـلٍ وسِـدرٍ لأنـه ... كإهليلجٍ لـم يُسقَ بالنَّهرِ والـدَّلا[2]

[الوصيَّة في البُن]

ومـوصٍ إذا أوصـى ببُنٍّ ليُشـترى ... لـه مـا نـوى منه فيُعطـى مكمَّـلا
يكـون بقشـرٍ ثـمَّ إن كان موصيًـا ... ببـنٍّ لـه مِـن نيِّـه احكـم مفصَّـلًا
وإن كان موجـودًا بقشـرٍ وغيـره ... ومقلـوه التخييـرَ للـوارث اجعـلا[3]
وإن فيهـم الأيتـامُ خُيِّـرَ بَالِـغٌ ... وذو اليُتـم يُعطى عنـه أرداه مأكلًا
وإن وجـدوا منـه عتيقًـا وضِـدَّه ... تَخيَّـرَ ذو رشـدٍ، وذو اليُتـمِ والبلا
وإن لـم يكن إلا أحـاد الذي مضى ... تعيَّـنَ فاحكـم بالجـواب مفصَّلا

(1) مذهب الشافعي الجديد أنَّ المساقاة لا تصحُّ في غير النَّخل والكَرم، قال في الأم (4/11): «والمساقاة جائزة في النخل والكرم؛ لأن رسول الله ﷺ أخذ فيهما بالخرص، وساقى على النخل وثمرُها مجتمع لا حائل دونه، وليس هكذا شيء من الثمر كله دونه حائل، وهو متفرق غير مجتمع، ولا تجوز المساقاة في شيء غير النخل والكرم». والمتأخرون من الشافعيَّة اختاروا القول القديم للشافعي بجواز المساقاة في غير النخل والكرم من الثمار، قال الأسيوطي (ت 880 هـ) في العقود (1/201): «وتجوز المساقاة على سائر الأشجار المثمرة كالنخل والعنب والتين والجوز وغير ذلك عند مالك وأحمد وهو القديم من مذهب الشافعي، واختاره المتأخرون من أصحابه».

(2) لا خلاف في مذهب الشافعي على جواز المساقاة في النخيل والكرم، كما لا خلاف على بطلان المساقاة في ما ليس له ساق؛ كالبطيخ، والبقول، والزرع. واختلفوا في مساقاة الشَّجر من غير النخل والكرم، على قولين: الجواز والبطلان. انظر: الحاوي (9/ 169)، وروضة الطالبين (5/ 150 - 151) بتصرُّف.

(3) أي إن لم يفصِّل الموصي في وصيَّته في البُنِّ، فيخيَّرُ الوارث.

[أحكام الأيمان والطلاق]

وإن قال زوجٌ: إن أكلتِ لزوجةٍ ... - أي البنَّ - فانساغته بلعًا له فلا

طلاقَ لأنَّ البَلْعَ لم يُسْمَ أَكْلةً ... فلا بدَّ من تكسير ذلك أوّلا[1]

وتَطلُقُ بالمقلو منه ونيِّه ... بقشرٍ ومقشورٍ ومدقوقٍ انخلا[2]

وإن قال: هذا البنَّ كان لعينه ... فلا حُنْثَ بالبنِّ الذي كان أوصلا[3]

وإن قال: بُنًّا، حصلته بِنَزره ... ثلاثًا وثنتا، دونها فأقول: لا[4]

وإن أكلته في الـمُكَرْكَرِ لم يقع ... طلاقًا خلا المدقوقِ أو أن يتويلا[5]

وذاك لأن البنَّ مستهلك [..][6] ... (.. ثمَّ في الأخرى بعت عليه اسألا)[7]

كذلك في الأيمانِ قِسْها على الطَّلا ... قِ في الحكمِ لا تحكم بغيرٍ مبدَّلا

---

(1) لأنَّ العبرة في ألفاظ الطلاق باللغة، فلا يسمى البلعُ أكلاً؛ لأنه يلزم في الأكل التكسير بالأسنان، والمضغ.

(2) وتطلُق المرأة إذا أكلت البنَّ حبًّا نيئًا أو محمَّصًا، بقشره أو غير مقشورٍ، مدقوقٍ أو منخول، لأنَّ ذلك كله يسمى بُنًّا.

(3) فإن عينَّ بُنًّا وأشار إليه، لم تطلق إذا أكلت بنًّا غير الذي أشار إليه.

(4) يعني إذا نكَّرَ البنَّ وأطلقَ، ومعلوم أنَّ التنكير يفيد الشمول، فيقع الطلاق بأكلها ثلاث حبَّات؛ لأنه أقلُّ الجمع، وذهب بعض الشافعيَّة إلى أن أقل الجمع اثنان. فإن حلف رجلٌ لا يأكل رؤسًا بإطلاق، فإنَّه يحنث إذا أكل ثلاثة رؤوس، ولا يحنث إذا أقل أقل من ثلاثة؛ لأنه أقل الجمع. قال في حاشية الشرواني على التحفة (10/ 25): «اعلم أن الذي أفتى به شيخنا الشهاب الرملي أنه إن عبر بالرؤوس بـ"أل" حمل على الجنس وحنث برأس لا ببعض رأس، أو بـ"رؤوسا" بالتنكير لم يحنث إلا بثلاث».

(5) الْمُكَرْكَر: المطحون بالرحى، والكركرة الطَّحن. ولعله قاسه على دقيق الخبز فإنَّه لا يُسمى خُبزًا، قال الشربيني في المغني (6/ 208): «ولو جعله [أي الخبز] في مرقة حسوا؛ أي مائعا يشرب شيئا بعد شيء، أو فتيتا وهو الخبز يفت في الماء بحيث يبقى فيه كالحسو فشرب الحسو أو الفتيت، ويقال فيه الفتوت بفتح الفاء فيهما لم يحنث به؛ لأنه حينئذ لا يسمى خبزا. قال ابن الرفعة: ويظهر أنه لو دق الخبز اليابس ثم أكله لم يحنث؛ لأنه استجد اسما آخر كالدقيق». وخرج المدقوق لأنه

(6) كلمة مطموسة في التيمورية، والبيت ساقط من الظاهريَّة.

(7) ساقط من الظاهريَّة، وهو مطموس في التيموريَّة، أثبتُّ ما استطعتُ قراءته، وهو غير مفهوم.

[في الرِّهان والمكاتبة]

وهـل أكلُـهُ حِـلٌّ لنـا أو محـرَّمٌ ... نعـم، حَـلَّ لا إن ضرَّ للنفسِ مُحْلَلَا

وإن جعلوا فـي السَّبق منه رهانهـم ... مضى الحرف [أو] إن كان مُهْرُكَ بُسْكُلا[1]

وإن جعلـوا مالَ الكتابـةِ منه صَحْـ ... حَ وليجعلـوا الأبنـاء منه محـولا[2]

[آداب عامة في البنِّ]

وإن شـئتَ جَذْبًـا للقلـوب فأهدِه ... فيُنجِـحَ حاجـاتٍ لمن قد توسَّـلا

هدِيَّتُـه خيـر الهدايـا لأنَّهـا ... تُحبِّبُ مُهدِيـه إلـى مـن تَنبَّـلا

وكـن قابِـلًا ممـن أتـاك ببُنِّـه ... ليُهديـه لا تَـردُدْ وكـن مُتَقَبِّـلا

وعظِّمـهُ وارفـعْ قَـدرهُ وجَنَابَـه ... وظُـنَّ بـه بالخيـرِ لا إن تبخَّـلا

ومهمـا بقـي فـي الفـمِّ منه بقيَّـةٌ ... فـلا تلفظَنْـه، وازدرده[3] مُبَجِّـلا

وسـاقطُهُ فالقُطْـه لا تهملنَّـه ... وأكرِمـه حتَّـى إن تلوَّث فاغسِـلا

ففـي خبرٍ عـن أهـل زيلـعَ أنَّهـم ... أقامـوا لشـهر يرقبـون كـذا البـلا[4]

---

(1) أضفتُ ما بين المعقوفين؛ لإقامة الوزن. ويطلق الرهان على المال المشروط في سباق الخَيل ونحوه، وله شروط فصَّل فيها الفقهاء، انظر: الموسوعة الفقهية (126 / 22). ويجوز أن يكون بنًّا كما يقول الناظم لأن البنَّ من جملة المال، ويُشتَرَطُ للعوض في المسابقة أن يكون معلومًا بالمشاهدة أو الوصف أو القدر. والجمهور على أنَّ المعاوضة التي تكون من المتاسبقَيْن قمارٌ غير جائزٍ، إلا أن يكون بينهما مُحَلِّل، وهو متسابقٌ ثالثٌ بشرطِ أن يكون يكون فَرَسُه مكافئًا لفرسيها فلا يأمنَ أن يُسبَق، فإن أمنَ بطل العوض وصار قِمارًا. البُسْكُل: والفُسْكُل، الفرس الذي يأتي أخيرًا في السِّباق. والشطر مشوَّش لرداءة النسخ، فلم أفهم المقصود من عبارة الناظم.

(2) المكاتبة: هي معاقدة بين العبد وسيده، يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال منجم (مجزأ)، ويكتب العبد عليه أنه معتق إذا أدى النجوم (الأجزاء). وهي مما حضَّ عليها الإسلام واستحبَّها. وجاز أن يكون العوض بُنًّا؛ لأنه من جملة ما يصحُّ أن يكون مالًا.

(3) الازدراد: الابتلاع.

(4) أثبتُّ ما قرأته، ولم أفهم المقصود.

لحبَّتِـه أيـن أُسـقطتْ ثـمَّ سـافروا   لوجدانهـا فانظـر كرامتـه عـلا[1]

ومهمـا أكلـت البـنَّ والغيـرُ حاضـرٌ   فأطعمـه لكـن أنـتَ كل منـه أوَّلا

لئـلا يسـيء الظـنَّ أنَّـكَ جاعـلٌ   لـه فيـه شَـيئًا مـن سُـمُومٍ ليُقتَـلا[2]

فـلا تتحاشـى أنت في الأكل منه في الـشـ   ـوارع عنـد النَّـاس أو مـن تَنبَّلا

فمـا هـو هتـكٌ للمـروَّة عندهـم   لعُـرفٍ مضـى بيـن الأنـام مُسَلسَـلا

فكـم قـد رأينـا مـن إمـامٍ يَلُوكُـه[3]   على الطُّرْقِ من غير احتشامٍ مبلبِلا[4]

ومنبتــه فــي بــرِّ زيلــعَ داخــلٌ   إلى [بلد][5] الأحبوش يُزرَعُ في الفلا[6]

نعـم أنبتـوه فـي تَعِـزٍّ[7] فأفلحـوا   وحبًّـا كبـنِّ الحُبْـش[8] بـل كان أفضلا

كذا اسـتنبتوه فـي زبيدَ فأنبـتَ الـ   ـغصـونَ ولكـن عـن ثِمـارٍ تعطَّـلا[9]

---

(1) هكذا في الأصل، وهو تابعٌ لما قبله في الطمس، أثبتُّ ما قرأته.

(2) وهذا يؤكِّد أن لفنجان «الهيف» أصلاً ثقافيًا قبل 500 سنة، وهو من عادات القهوة العربية التي كانت شائعة في الجزيرة العربيَّة، وما زال بعض رسومها موجودةً إلى اليوم في السعوديَّة والخليج، وهي أن يشرب المُضيف الفنجان الأول؛ ليتأكّد من جودة القهوة، وسلامتها من الشوائب والطعوم الطارئة من الجوّ والحشرات، وقد كان يشربه المُضيف زمن الفتن قبل توحيد المملكة العربية السعودية؛ ليأمن ضيفه من خلو القهوة من السمّ، أو نية الاغتيال.

(3) يلوك: من لاكَ يلوكُ لَوْكًا، وهو أهون المضغ، وقيل مضغ الشيء الصلب بتدويره في الفم. (اللسان: لوك)

(4) البَلبَلة: اختلاط الألسنة، وقيل: تفرُّق الآراء، وقيل: الهمُّ والضيق، وقيل: التغريد، ومنه سُمّي البُلبُل (اللسان: بلل).

(5) أضفتها لتقويم الشطر.

(6) برُّ زيلع الصومال، وقد تُطلق على جزء من الحبشة، إذ لم تكن الحدود الدوليَّة واضحة مثل اليوم. الأحبوش: جمع للحبشيين، وربما يقصدُ جبل "لَحبوش" الأحبوش الجبل الموجود في مديرية خنفر في محافظة أبين اليمنية، وهو بعيد. والأقرب أنه يقصد دخولها من نواحي زيلع إلى بلاد الحبشة، وهذا يحتاج لدليل.

(7) هذه إشارة لأول مكان استزرع فيه البنُّ في اليمن، من معاصر لحقبة الاستزراع. وخالفه المرتضى الزبيدي، وهو متأخر عنه بنحو قرنين، فعدَّ أوَّل مكان زُرِع فيه البن هو ثنيَّة ذَروان، قال في تحفة إخوان الزمن في حكم قهوة اليمن -خ: «وأصل منشأها في قديم الزمن في ثَنِيَّةِ ذروان بمخلاف رَيْمَة، بينها وبين زبيد يومٌ وليلةٌ».

(8) الحَبَشُ والحُبشان: جنسٌ من السودان، وهو أهل الحبشة اليوم. ورويت الحُبش بالضم كثُرك كذلك، في حديث عبد الله بن جابر في الصحيحين: «قدْ تُوُفِّيَ اليومَ رجُلٌ صالحٌ منَ الحَبَشِ، أَصْحَمَةُ..»، قال القسطلاني في إرشاد الساري (2/ 422): «ولأبي ذر، والأصيلي: من الحبش بضم المهملة وسكون الموحدة».

(9) وهذا نصٌّ آخر مهمٌّ في توثيق بدايات استزراع البُنِّ في اليمن، هنا محاولة أهل اليمن استزراع البن في زبيد، وهي من التهائم، أي المناطق السهلية بين الجبل والبحر، لكن المحاولة باءت بالفشل؛ لانعدام الظروف المناخيَّة الملائمة لنمو ثمار البُنّ.

لأنَّ زبيـدًا والتهائـم حَرُّهـا ... شـديدٌ ولا ينمو الذي الحرَّ مصطلى

وينمـو بحَـزْنٍ[1] بـاردٍ كان بـرده ... إلى الإعتـدالِ افهـم كلامـي معوَّلًا

ولا تشـربنْ من قِشْـرِه المُـرِّ قهوةً ... فـذاك مُضِـرٌّ ضُـره مـا تحـوَّلا

فقـد قـال قـومٌ: إن هـذا مُحـرَّمٌ ... وبعـض إلـى تحليلـه مـا تزيَّـلا

كذلـك داءٌ يُنتَمـى مـن قشـوره ... فدعـه لضُـرٍ فيـه يُخشـى وأهمِلا

فسـبحانَ ربٍّ أنبـتَ البُـنَّ نِعمـةً ... وأنشـاه للنَّـاس نَقـلا مُحصَّـلًا

وأحمـده حمـدًا بليغًـا مؤبـدًا ... وأشـكره كـي أسـتزيدَ التَّفضُّـلا

سـقاه إلـه العـرش صـوب غمامه ... وروَّى عروق البُنِّ شُـربًا تَسَلْسَـلا

فيـا ربِّ أنبِـت في الجِنـان أُصولَه ... وأنعِـم بـه فيهـا علينـا تَفضُّـلا

ومدحـي له مـن فـرط حُبٍّ فـلا تقلْ: ... فـلانٌ بمـدح البنِّ فـي النظـمِ قد غلا

وصلَّـى إلـه العـرش بعد سـلامه ... علـى أحمـدٍ مـا لاح نـورٌ تَهلَّـلا

مع الآل والصَّحب الكـرام جميعهم ... وذُرِّيَّـةٍ[2] والتابعيـنَ ومَـن تَـلا

وأختِمُهـا بالحَمـدِ للـه دائمـا ... تفـوحُ عبيـرًا ثـمَّ مِسـكًا ومَنْدَلا

---

(1) والحزنُ: ما غَلُظ من الأرض في ارتفاع. (اللسان: حزن)

(2) في الأصل: وذريَّته، والأظهر ما أثبتَ مصوَّبًا.

«المقدمة المنصورة في حكم القهوة المشهورة»*

لشرف الدين يحيى العِمريطي[1]

(توفي بعد 989هـ)

قال الشرف العمريطي رحمه الله: [الرَّجَز]

الحمد الله الذي قد حرَّما ... على العبادِ كلَّ مُسكرٍ وما

يَضُرُّ في عقلٍ ودينٍ وبدنْ ... وما يَجُرُّ للفسادِ والمِحَنْ

فيَمْحَقُ الأموالَ بالتبذيرِ ... بِصرفِها لهذه الأمورِ

ثمَّ الصلاةُ والسلامُ سرمدًا ... على النبيِّ الهاشميِّ أحمدا

وآلهِ وصحبهِ الأشرافِ ... أهلِ التُّقى والعلمِ والإنصافِ

***

اعلم بأن القهوةَ المشهورةْ ... كريهةٌ شديدةُ المُرورةْ

عاريةٌ عن سائر اللذّاتِ[2] ... مُضِرَّةٌ بطبعها في الذّاتِ

---

* محققة على نسختين: المقدمة المنصورة في حكم القهوة المشهورة، مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة أم القرى، برقم (1945)، ومخطوط مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية والأبحاث، رقم التسلسل والحفظ: 10170-22، وبرقم F-1235 وهما نفس المخطوط. والذي بأيدينا من المنظومة النسخة الصغرى من المنظومة، إذ يصرّح الناظم في آخر المنظومة التي بين يدينا أنَّ له منظومتين: كبرى، وصغرى (مختصرة عن الكبرى). ولم أقف على الكبرى.

(1) يحيى بن نور الدين أبي الخير بن موسى العِمريطي الشافعيّ الأنصاري الأزهري، شرف الدين، من محلّة (عِمْريط) بمصر، فقيهٌ، أصوليٌّ، نحوي، ناظمٌ مُجيد. له عدة منظومات، منها: الدرة البهية في نظم الآجرومية، ونهاية التدريب في نظم غاية التقريب في فقه الشافعية، ونظم التحرير في الفقه، وتسهيل الطرقات في نظم الورقات في أصول الفقه، توفي بعد 998 هـ. وقد عُرف بموقفه المناهض للقهوة، تابع في ذلك الشيخ أحمد بن عبد الحقّ السُّنباطي الشافعي، والشيخ يونس العيثاوي الشافعي، رحمهم الله جميعًا. انظر ترجمته: هدية العارفين (2/ 529)، الأعلام (8/ 175).

(2) أوّل من ذمها بهذا، بل حرّمها لأجل سوء طعمها - فيما أعلم - الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطي (ت950هـ) في رسالته: «تحريم القهوة». قال في رسالته: «ومما يدلُّ على ذلك [أي على تحريمها]، أن هذا الشراب ليس هو حلو الطَّعم، وليس فيه لِذّة..»، وفي حاشية الصفحة: هذا استدلالٌ غريب!. نسخة مكتبة طرابزون، وهي نسخة من الرسالة أمدني بها الأستاذ البحّاثة عبد العزيز اليحيى.

مُبْطِلَـةٌ لشـهوةِ النِّـكاحِ   مُضعِفـةٌ للأقويـاءِ الصِّحـاحِ
كأنَّهـا نُقاعـةُ الزُّربـولِ[1]   وطعمهـا قالـوا: كطعـمِ البَوْلِ!
أُفٍ لمـن قـد ذاقهـا ولا اتَّعـظْ   وطبعُهـا كطبـعِ عَفْـصٍ[2] أو قَـرَظْ[3]
لِجَزْمِ أهلِ الحكمـةِ[4] المعهـودهْ   فـي طَبعهـا باليُبْـسِ والبـرودهْ
وذاكَ طبعُ المـوتِ فـي الإفسـاد   لسـائرِ الأجسـامِ[5] والأجسـادِ
فتُطفـئ الحـرارة المعهـودهْ   ببردِهـا حتَّـى التـي محمـودهْ
وباعتبـارِ يُبسِـها منشِّـفهْ   رطوبـةً بهـا القـوى مؤلَّفـهْ
حتَّـى المنـيَّ مـعْ رطوبـةِ الـدَّمِ   ردًّا علـى مـن خَصَّهـا بالبَلْغَـمِ
فـإنْ يُسـلِّمْ أنَّهـا مُجفِّفـهْ   مطفِئـةٌ؛ يلـزمُ[6] تعميـمُ الصِّفـهْ
وإنْ يُنـازعْ فهـو - بالنِّـزاعِ -   مخالـفٌ للحِـسِّ والإجمـاعِ
بـل أحرقـتْ بطبعهـا الأوانـي   فضـلًا عـن الـرؤوس والأبـدانِ
فجـفَّ منهـا المـخُّ فـي الدِّمـاغِ[7]   وخـفَّ رأسُ الشَّـخصِ للفَـراغِ
حتَّـى جفـا جفـونَ أهلِهـا الكَـرى[8]   وطَيَّشَـتْ عقـولَ أكثـرِ الـورى

---

(1) الزُّربول أو الزربون: هو ما يلبس في الرجل؛ مولدة؛ والمعروف عند العامة أنها الحذاء الضخم «معرب». انظر تاج العروس: (زربن)، ومتن اللغة، لأحمد رضا: (زرب 25/ 3)، وتكملة المعاجم لدوزي (299/ 5).

(2) العفص: ثمر شجر كالبلوط، دواءٌ قابض مجفِّف. انظر: القاموس (عفص)، انظر: المعتمد في الأدوية المفردة (240)

(3) القَرظ: شجرٌ يُدبغ به، وله ثمرٌ، قابضٌ مجفِّفٌ، وعصارته للَّاعة. انظر: اللسان (قرظ)، والمعتمد: 279

(4) أهل الحكمة تسمية لأهل الطب.

(5) في نسخة فيصل: الأحفاد.

(6) في نسخة أم القرى: يلزمه.

(7) مما زعمه المحرِّمون أنَّ القهوة -وخصُّوا قشرها- تجفِّف المخَّ جدًّا بحيث تُذهِب مادَّته، واستدلوا لذلك بشاة كانت تُعلَف قِشرَ البُنِّ مدةً، فذبحوها فلم يروا لها مخًّا، ذكر ذلك الشيخ أحمد بن عبد الحقِّ السنباطي (950هـ) في رسالته في تحريم القهوة، نسخة طرابزون، ص3. وكذلك الشيخ يونس الميثاوي (977هـ) في رسالته: «قول أهل السنة في تحريم القهوة»، نسخة مكتبة برلين، ص6.

(8) الكرى: النعاس.

فطَبْعُهـا مُسْتَلزِمُ الإضـرارِ مـعْ كونِـهِ أدّى إلـى الإسـكارِ
فكـمْ رأينـا مـن بشـربِها اختبـطْ كأنَّمـا لسـانُه منهـا ارتبـطْ
ومَـن يقـول: إنْ شَـربتُ بالخـوا[1] أكاد منهـا أن أطيـرَ فـي الهـوا
وهـذه نـتيجـةُ التَّسـابُـقِ لشُـربِها مـن قبـلِ فجـرٍ صـادقِ
وبَعضُهـم يَرَوْنَهـا مفرِّجَـة للغَـمِّ فهـي باختـلاف الأمزِجـةْ
وإنَّهـا تصيـرُ كِتْبَـةً[2] لمَـنْ يعتادهـا ومِحنـةً مـدى الزَّمـنْ
يُحِبُّهـا محبـةً لا تنتهـي ونفسُـه لهـا دوامًـا تشـتهي
يشـكو مـن الصـداع بازديـادِ إن أبطـأتْ عـن وقتهـا المُعتـادِ
ويعتريـهِ غَمُّهـا مـع كَرْبِهـا فـلا يـرى مَندوحـةً عـن شُـربِها
فعنـدمـا يؤمُّهـا ويشـربُ يـزول عنهـا غمُّهـا فَيَطْـرَبُ
فتعتـريـه لِـذَّة انبسـاطِ ونشـأةٌ تأتيـه بالنشـاطِ
يـدومُ ذاك سـاعـةً ويُقْلَـبُ بِغُمَّـةٍ، فَعِنـدَ ذاك يَشـربُ
فـلا يـزالُ مُغـرمًـا بحُبِّهـا ومُرغَمًـا علـى دوامِ شُـربِها
مُقدِّمًـا شِـراءها علـى مُـؤَنْ عيالِـهِ، حتـى علـى قـوتِ البَـدَنْ
بِـكُلِّ ذاكَ أخبـرَ العُـدُولُ عـن شُـربها وحالُهـا مَجهـولُ
وكـم رأينـا مُغْرَمًـا بحُبِّهـا [يسـبُّ][3] من يفتـي بِحِـلِّ شُـربها
لكونهـا قـد ضيَّعـت أموالَـه وأتْلَفَـتْ بيـن الـورى أحوالَـه
وأَضْعَفَـتْ عسـاكرَ الإسـلامِ وأورثَتْهُـم سـائرَ الأسـقامِ
فكم شُـجاعٍ كان فـي الهيجا بَطَلْ فلـم يَـزَلْ بِشـرْبِها حتـى بَطَـلْ

(1) الخواء: خلو الجوف من الطعام. انظر: اللسان (خوا)
(2) الكِتبة: بالكسر، الحالة. اللسان (كتب)
(3) ساقطة من نسخة فيصل.

فمـن يضـرُّ فِعلُـه مُحِبَّـه ... هل يرتضي أهـلُ العقـولِ قُرْبَه؟
وهـذه ضـرَّتْ جَميـعَ أهلِهـا ... فكيـفَ قيـلَ بعـد ذا بِحِلِّهَـا؟
مـع اتفـاق أنَّهـا مِـنَ البِـدَعْ ... وشُـرْبُهَا وضُرُّهـا قـد اتَّسَـعْ
ولـم يَقُـلْ مِـن قائـلٍ بنَدْبِهَـا[1] ... بـلِ النِّـزاعُ فـي جَـوَازِ شُـرْبِهَا
فقـال قـوم: إنَّهـا مُبَاحَـةْ ... مُسْـتَصْحِبِينَ الأصـلَ بالإباحـةْ
ولـم تُحِـطْ عُلُومُهُـمْ بضَرِّهـا ... لِمَوْتِهـم قبـلَ انتشـارِ أَمْرِهَـا[2]
فلـو بَقَـوا لمـدّةِ التَّجـارِبِ ... لَحَنِثـتْ فـواْوا الشّـاوِبِ
عـادوا إلـى الفتـوى بالامتنـاعِ ... وكانَ ذاكَ الأمـرُ بالإجمـاعِ
وقـال قـومٌ: حُرِّمـتْ لِذَاتِهـا ... إذ أهلُهـا - مـع انتفـا لَذّاتهـا -
قـد أهلكـوا أموالَهـم فـي حُبِّهـا ... وأَتْلَفُـوا أحوالَهـم مـن شُـرْبِهَا
وكلُّ شـخصٍ يَكْـرَهُ الغرامـةْ[3] ... مـا لَـمْ يلاحـظ عندهـا غَرَامَـةْ
فحُبُّهـا لم يَخْـلُ أصلًا عن سَـبَبْ ... ومـا لَـهُ مِـن سَـبَبٍ إلا الطَّـرب

(1) قلت: استحبَّها طائفة من الصوفيَّة؛ لإعانتها إيّاهم على السَّهر والخلوة، بل بالغ بعضهم فأوجبها، كما روي عن الشَّيخ محمد بن أبي الحسن البكري الصِّديقي (ت 994هـ)، جاء في «الزَّهر الباسم» لمحيي الدين عبد القادر بن شيخ العيدروس (1038هـ) في حكم القهوة، بعد أن ساق كلام العزِّ بن عبد السلام في تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام (انظر: قواعد الأحكام 172/ 2)، وتقسيم الإمام الغزالي أحوال أحكام السَّماع إلى: حرام، ومكروه، ومستحبٌّ، ومباح (انظر: الإحياء 306/ 2): يقول العيدروس: «وهي إذن - أعني القهوة - حكمها كحكم السَّماع فظهر أنَّ القهوة في الأكثر مباحة لأكثر الناس، وقد تكون بهذا الاعتبار في حقِّ بعضهم واجبةً، لِما سبق من كلام العيدروس في السَّماع، ومن ثَمَّ قال الأستاذ الشيخ محمد البكري - نفعنا الله ببركاته -: قد يؤدي الأمر فيها للوجوب». انظر: الزَّهر الباسم-خ: ص278، صفوة الصفوة في حكم القهوة-خ: ص 16 بتصرُّف.

(2) قلتُ: يقصدُ انتشار ما صاحبها من أحوال عارضةٍ، دارت عليها رحى تحريم المحرِّمين وربما وافقهم فيه بعض المحللين، مثل: إدارتها كإدارة الخمر، ومجالسة المردان والنساء في بيوت القهوة، وضرب المعازف، وتفويت الصلوات، وغيرها من أحوال لا تختص بالقهوة في ذاتها. وإما إن كان يقصد أنَّ الذين قالوا بإباحتها قبل انتشار أمرها لم يتعرَّفوا على ضرِّها الذاتي من إسكارٍ أو إتلاف للأجسام = فهذا بعيد؛ فقد كانت تُشرب من بداية القرن التاسع الهجري في اليمن، دون نكير، قبل أن تُعرف بمكة على رأس القرن العاشر الهجري، فهذه 100 سنة تقريبًا من تعاطيها، ومئة السنين يظهر فيها من الأسرار والخبايا ما لا يظهر في سنوات معدودة، فلا يُحتج بهذه الشُّبهة.

(3) الغرامة: ما يلزم أداؤه، والغرام: اللازم من الشرِّ والعذاب الدائم. اللسان (غرم).

إنْ علّلـوا بـأن نفعهـا الـدَّوا ... فتلـك داءٌ لـم يكـنْ لـه دَوَا

إذ الـدَّوا مـن شـأنِهِ قَطْـعُ السَّـقَمْ ... بحيـثُ لا يعـودُ بعـدَهُ الألَـمْ

ومـنْ تـداوى كانَ شـأنُ طَبْعِـهِ ... بُغْـضُ الـدَّوا مـع حِلْـوِهِ ونَفْعِـهِ

بِعَكْسِـهَا مَـعْ كَثْـرَةِ الفتـاوي ... بِمَنْعِهـا وكَثْـرَةِ المَسَـاوي[1]

فأهلُهَـا المُسْـتَوْقِعُونَ[2] نفعَهَـا ... طـولَ المَدَى لـم يَسْتَطِيعوا قَطْعَهَا

فكونُهـم مُلازمِيـنَ شُـربَهَا ... دَليلُنَـا علـى انتفـاءِ طِبِّهَـا

إن ادَّعـوا بأنّهـم بهـا شُـفُوا ... مـن دائهـم فليَرْجِعُوا وليَكْتَفُـوا

وأنّـه يَعـودُ بَعـدَ قَطْعِـهِ ... فليـسَ ذا شـأنُ الـدَّوا بطَبْعِـهِ

وعلّلـوا بِهَضْمِهَـا للأطْعِمَـةْ ... دَ نهضـمْ نَفْعًا ثابتٌ في الأَنْبِمَةْ[3]

مـع أنّهـا لذيـذةُ المَـذَاقِ ... رَخيصَـةٌ تَحِـلُّ بالاتّفـاقِ

وعُورِضُـوا بِشُـربِهَا قَبْـلَ الغِـذا ... وزعْمِهـمْ بأنّهـا لهـم غِـذا

كيفَ الغِـذا بالهضمِ فيها يجتمعْ ... والجَمْـعُ للضِّدَّيْـنِ أمرٌ مُمْتَنِعْ

بَـلْ أحرقَـتْ رطوبـةً بِهـا الغِـذَا ... فَجَوَّعَتْهُـمْ ثـمّ أبقَـتِ الأذى

فأضْعَفَـتْ بِـذاكَ مِعـدةَ الّـذي ... مَـنْ استَقَى فَظَـنَّ أنّـه غُـذِي

وعَلَّلُـوا بـأنَّ نَفْعَهَـا السَّـهَرْ ... فـإنَّ ذاكَ ناشـئٌ عَـنِ الضَّـرَرْ

إذْ جَفَّفَـتْ بِطَبْعِهَـا الذِّهْـنَ الأرَقْ ... مِـنَ الدِّمـاغِ فاقتَضَى الحَالُ الأرَقْ

وعُورِضُـوا بالشُّـربِ فـي النَّهَـارِ ... وجَعْلِهَـا ضِيَافَـةً للطَّـارِي

أو أنّهَـا للغَـمِّ عنهـم تُذهِـبُ ... فَهـي الّتـي للغَـمِّ أيضًا تَجْلِـبُ

---

(1) المساوي: المساوئ، بتسهيل الهمزة.

(2) المستوقعون: المتوهمون، وتَوَقَّعَ الشيءَ واستوقعه: تنظّره وتخوّفه. والتوقيع: تظنّي الشيء وتوهّمه (اللسان: وقع)

(3) الأقسِمة: هو شراب الفُقّاع، يُتخذ من الرُّمان والسُّكر والأفاويه والطِّيب والشعير، لا يُسكر. انظر: معالم القربة في أحكام الحسبة لابن الأخوة، ص197

وأنَّهـا للشـاذليِّ[1] تُنْسَـبُ ... وبَعْضُ أهـلِ العِلْـمِ مِنْهَا يَشْـرَبُ

قُلْنـا: الصَّحَابـيْ معْ عَظِيـمِ فَضْلِهِ ... لا نَسْـتَدِلُّ مُطْلَقًـا بِفِعْلِـهِ

والأوليـاْ بَعـدَ النَّبِـيْ لَـم يُعصَموا ... فَرُبَّمَـا أنْ يَفْعَلُـوا مـا يَحْـرُمُ

أو يقبلُـوا بحالهـم مـا يُسـكِرُ ... والشـرع يُلجـي أهلـه أن يُنكـروا

فمـا أَتَـوا بِعِلَّـةٍ صَحيحَـةْ ... ومَـا لَهُـمْ مِـنْ حُجَّـةٍ مُبِيحَـةْ

وعِلَّـةُ التَّحريـمِ باخْتِصـارِ ... تَحَقُّـقُ الإضـرارِ والإسـكارِ

وعَقـلُ بعـضِ النـاس لا ينافـي ... إسـكارَها، فَسُـكْرُ بَعْـضٍ كافـي

فالخمـرُ قَطْعًـا مُسـكِرٌ وكَـمْ يُرَى ... مِـنْ مُدمـنٍ يشـربه لَـن يَسْـكَرا

بـل يَسـكَرُ الإنسـانُ حـالَ عَقلِـهِ ... مَـع انتظـامِ قَولِـهِ وفِعْلِـهِ

لِقَولِهِـم فـي شَـارِبِ المُـدَامِ[2] ... يُحْصَـرُ فـي ثَلاثَـةِ أقسـامِ[3]

مـعْ قولهـم: يُكلَّـفُ النَّشْـوَانُ ... لِعَقْلِـهِ مـع أنَّـهُ سَـكرَانُ

وهـو الَّـذِي قَـد حَقَّـقَ الإمَـامُ[4] ... فـلا يُنافـي السُّـكْرَ الانتِظَـامُ

***

(1) هو أبو الحسن علي بن عمر بن إبراهيم بن دعسين القرشي الشاذلي المخاني، شمس الدِّين، العالم العارف الفقيه الصوفي، وُلد بالقُرَشيَّة، بلدة بنواحي زبيد، سنة 755 هـ قُتِلَ والده وهو طفل، فاحتضنه عمُّه محمد بن أبو بكر بن أحمد بن دعسين، فقرأ القرآن، وحفظ كثيرًا من الكتب، وحقَّق في الفنون، ولما بلغ العشرين من عمره عزم على الحج، فحجَّ مكة، وزار النبي ﷺ، ثمَّ دخل القدس وأقام بها طويلًا وتزوَّج، ثمَّ ارتحل إلى مصر وصاحب الشيخ ناصر بن بنت الميلق الشاذلي، وأخذ عليه الطريقة، ثمَّ عاد لمكة ومنها لليمن، ثمَّ ارتحل إلى الحبشة، وأقام عند السلطان سعد الدين المجاهد، وتزوج من ابنة عم السطان، واسمها مريم، فأولدت له عبد الرؤوف والزَّين، وعبد القادر مات صغيرًا، وعاد بها معهم إلى المخا، وولدت له فاطمة. وكان الشيخ كريمًا مُنفقًا محبًّا للفقراء، زاهدًا كثير العبادة، مبادرًا للشفاعة

توفِّي سنة 828هـ وقبره مشهور بالمخا. انظر: نزهة الجليس (2/ 253)، والضوء اللامع (5/ 263)، وتاريخ البُريهي (264).

(2) المُدام: الخمر.

(3) ذكر الإمام الجويني أحوال السكران الثلاثة، وتابعه من بعده الشافعية. قال الإمام الجويني: «إذا دبَّت الخمرة، انتشى الشارب وعَرَتْه طَرَبَةٌ وهِزَّةٌ، وهذا قد يُحِدّ العقل، فليس من السكر. وبعد ذلك ما وصفناه من السكر، مع بقاء أفعال وأقوال.ومنتهى السكر الاتصاف بصفة المغشي عليه» انظر نهاية المطلب للجويني (14/ 170)، شرح الوجيز للرافعي (8/ 666)

(4) يقصد الإمام الشافعي، وقد نصَّ في الأمّ أنَّ السكران مكلَّفٌ، انظر: الأم (5/ 270)، قواطع الأدلة للسمعاني (1/ 216)، الأشباه والنظائر للسيوطي (216).

وأثبتـوا بمكَّـةَ المشـرَّفة إضْرَارَهَـا بِقَـولِ أَهْـلِ المَعْرِفَـة

فـي سَبعِ عَشْـرَةٍ مـن السِّنِينِ بَعْـدَ انْقِضَـاءِ تاسِـعِ القُـرُونِ[1]

بَيـنَ القُضَـاةِ والـوُلَاةِ كُلِّهِـم والنَّـاسِ أَهـلِ عَقْدِهِـم وحِلِّهِـم

والسَّـادَةِ الأئمَّـةِ الأَعـلامِ أحبارِهـا بالمَسـجِدِ الحَـرَامِ

فـكانَ ذاكَ عَقْـدُ مَجلـسٍ لَهَـا للبَحْـثِ عَـن تَحريمِهـا وحِلِّهـا

وأَحضَـروا أكابِـرَ الأطِبَّـا والحُكَمَـاءَ السَّـادَةَ الألِبَّـا[2]

فَشَـهِدُوا مِـن بَعـدِ الامْتِحـانِ بـأنَّهَـا مفْسِـدَةُ الأبـدانِ

وشَـهِدَتْ جَمَاعَـةٌ بِسُـكْرِهَا لِشُـربِهِم قَبْـلَ اتِّضَـاحِ أَمْرِهَـا

فسُـجِّلَتْ شَهَـادَةٌ مُحـرَّرَةْ بـأنَّهَـا مُضِـرةٌ ومُسْـكِرَةْ

(وصرَّحـتْ قُضَاتُهـا الأعـلامُ بحكمهـمْ بأنَّهـا حَـرامُ)[3]

وعِندنَـا خُطُـوطُهُـمْ ومَـنْ سَـمِعْ لَفظَ القُضَـاةِ وَهْـوَ مَعْهُـمْ مُجْتَمِعْ[4]

وأشـهَروا بـأرض مَكَّـةَ النِّـدا بِمَنْعِهِـم مِـن شُـربها مُؤَبَّـدًا[5]

وشـاعَ ذاكَ فـي الـورى وذاعـا وصَـارَ أمـرًا يُشـبهُ الإجماعـا

فـلا يجـوزُ نَقْضُـه لمسـلمِ ومَـنْ يَذُقْهَـا بَعْـدَ عِلْـمٍ يأثَـمِ

ويسـتَحِقُّ حَـدَّ شُـرْبِ المُسْـكِرِ مـعْ غَسْـلِ مـا مَسَّـتْهُ للتَّطَهُّـرِ[6]

---

(1) يقصدُ حادثة المحضر الذي رفعه والي الحرم بمكة المكرمة خاير بك في ربيع الأول من سنة 917هـ وجمع العلماء والأطباء والشهود ليشهدوا على إسكار القهوة وضررها، وحصل بهذا المحضر فتنة عظيمة، وأشهر النداء في مكة المكرمة بمنع القهوة على إثره. راجع المحضر في فصل دخول القهوة لمكة في المقدمة.

(2) يقصدُ الأخوين الكازرونيَّيْن، الحكيمين، شمس الدين وعلاء الدين. قال ابن عبد الغفار المالكي: «وهما يدَّعيان مرتبة في الفقه لم تسلَّم لهما» انظر: دفع الهفوة - خ.

(3) البيت ساقطٌ من مخطوط مركز الملك فيصل.

(4) أثبت خطوط هؤلاء العلماء، ابن عبد الغفار المالكي في كتابه: «دفع الهفوة في حل القهوة»، ونقله عنه الجزيري في «عمدة الصَّفوة»، انظر: عمدة الصفوة (68، 74).

(5) كان ذلك عقب المحضر المرفوع للسلطان الغوري عام 917هـ ومنعت قليلاً ثمَّ رجع الناس يشربونها.

(6) لَمَّا جرى الناظم - رحمه الله - على أنَّ القهوة مسكرة، جعل حكمها كالخمر في النَّجاسة، فالخمر نجسة على

فهذه أدلةٌ يُقيمُهَا ... أئمةٌ قد رجَّحوا تَحريمَهَا

فقولهم بمنعها مُقدَّمُ ... على الذينَ قَبْلُ لم يُحرِّموا

إذْ الدليلُ المثبتُ الأوصافِ ... مقدَّمٌ على الدليلِ النَّافي

فلم يَقُلْ بِحِلِّها امرؤٌ صفا ... فؤادُه عن حُبِّها وأنصَفَا

وحَادَ عن طريقةِ التَّعصُّبِ ... ولم يكن مُعاندًا ولا غَبي

ثمَّ النزاعُ باعتبار ذاتها ... أمَّا إذا نَظَرْتَ في حَانَاتِهَا

لِمَا تَعدَّى من أذى العبادِ ... وكونِهَا مواطنَ الفَسَادِ

كالنَّرْدِ والشِّطْرَنْجِ والقِمَارِ ... والعُودِ والطُّنْبور والمِزمارِ

والرَّقصِ والتَّصْفيقِ واللِّواطِ ... وشُرْبِها كالخَمرِ في التَّعَاطي

بالأَخذِ والعَطَاءِ والجلوسِ ... معظِّمينَ النَّارَ كالمجوسِ

فنارُهم شَديدةُ الوُقُود ... وما لَها في الدَّهرِ مِن خُمودِ

فأغْلَتِ المْا، والنُّحاسَ والحَطَبْ ... وصارَ في حَانَاتِها كُلُّ الكَتَبْ[1]

واشتَغَلَتْ بِجَلْبِهَا التُّجَّارُ ... عَن غَيرِها حتَّى غَلَا البُهَارُ

واللَّهو عَن صَلَاتِهِمْ لأجْلِهَا ... فلا يَقولُ مُسلِمٌ بِحِلِّهَا

إذ المُباحُ حَيثُ جَرَّ مَعصِيَةْ ... يَصِيرُ بالإجماعِ عينَ المعصيةْ

وغَايةُ التَّسليمِ والتَّنزُّلِ ... أن نقتدي بمذهب المُحلِّلِ

أما أتى نَهيُ الإمامِ الأعظَمِ[2] ... عن شُربِهَا كَسَائِرِ المحرَّم

المذاهب الأربعة، فإذا مسَّت شيئًا لزم تطهيره بالغسل. انظر: الأم للشافعي (72/ 1)، والمجموع للنووي (563/ 2).

(1) هكذا في الأصل، ولعله يقصد الكُتَّاب.

(2) يقصدُ خطَّ السلطان قانصوه الغوري، حاكم مصر على المحضر الذي رفعه والي مكة خاير بك وعليه شهادة الشهود وتواقيع العلماء. والحقيقة أنَّ خط السلطان قانصوه جاء متَّزِنًا، لم يحرِّم القهوة في ذاتها، لكن خاير بك كان قد رفع النداء بمنع شربها وإبطال بيوتها فور وصول خط السلطان قانصوه. للزيادة انظر: عمدة الصفوة للجزيري، ص59.

فأظهـروا تحريمهـا بيـنَ المَـلَا ... وأشـهروا بـه النِّـدَا حتَّـى عَـلَا
وإذْ نَهـى عـن شُـربِها الإمـامُ ... فـلا خِـلافَ أنَّهـا حَـرَامُ
أمَّـا المُبـاحُ عندهـم قسـمانِ: ... قسـمٌ مُضـرٌّ واجـبُ الكتمـانِ
فكيـفَ جَـازَ للَّذيـنَ رَجَّحـوا ... –جـواز شـرب القهـوة– التَّبَجُّحُ
والأوَّلـون مِنهـمُ تَعَفَّفُـوا ... عَـن شُربِهَا إذْ فِي الجَوازِ خُولِفُوا
مـعْ أنهـم أفتـوا بِذِكْـرِ حُكْمِهـا ... ولَـمْ يَذُوقـوا للمَمَـاتِ طَعْمَهـا
إذْ لا خِـلَافَ أنَّهـا مِـنَ الشُّـبَه ... فَلَـم تَلِـقْ بأهْـلِ تِلـكَ المَرْتَبَـةْ
ثُـمَّ اقْتَدَى مِـن بَعْدِهِم مِـن الخَلَفْ ... بِقَولِهِـم وهُـم لَهُـم أقْوَى سَـلَفْ
لكنَّهُـمْ تَبَجَّحُـوا بِشُـرْبِهَا ... وبَالَغـوا حتَّـى ادَّعـوا بِنَدْبِهَـا
فابْتَدَعُـوا طَرِيقَـةً مُذَبْذَبَـةْ ... وانهَمَكـوا علـى تَنَـاوُلِ الشُّبَهْ
تجاهُـرًا بيـن المـلا، هـلّا اقْتَفَـوا ... أسـلافَهُم فـي تَرْكِهَـا أو اخْتَفَوا؟
وراجَعـوا الحُـكَّامَ فـي إبطالِهـا ... وبيِّنـوا مـا كَانَ مِـن أحْوَالِهَـا
ليأمُـرُوا بالخَيْـرِ والإصـلاحِ ... ويَظفَـروا بالفـوز والنَّجَـاحِ
وإنَّ ذا لَهْـوَ الـمُرادُ الأعظَـمُ ... والقَصـدُ مـن قصيدتـي فَنَختِـمُ
لخَصْتُهَـا مـن نحـو ثُلْـثِ أصْلِهـا ... وأصلُهَـا مشـهورةٌ مـن قَبْلِهَـا[1]
كِلتَاهُمـا للشَّـرَفِ العِمْريطـي ... ذي العَجـزِ والتَّقصيـر والتَّفريـطِ
الأزهـريِّ الشـافعيْ الأنصـاريْ ... المرتجـي عفـوًا مـن الغَفَّـارِ
ثُـمَّ الصَّـلاةُ مـعْ سـلامٍ تـالِ ... علـى النَّبـيْ وصَحْبِـهِ والآلِ

(١) بحسب كلام الناظم، فالمنظومة التي بين يدينا ملخصة عن منظومة أكبر لم أقف عليها.

«أرجوزةٌ لطيفةٌ مبيِّنة لأحكام القهوة المألوفة»*
لأبي الفتح محمد بن عبد السلام المالكي[1]
(ت 975هـ)

قال - رحمه الله -: [الكامل]

الحمـدُ للمهيمِـنِ التَّـوَّابِ   موفـق الأحـكام للصَّـوابِ

ثـمّ الصـلاة والسـلام أبـدًا   علـى نبـيٍّ شـرعه مؤبـدًا

وآلِـه وصحبـهِ وحزبِـه   مـا سأل المكروب كشفَ كربه

***

وبعـدُ إنَّ القهـوةَ البنيّـة   مشـروبها علـى اختـلافِ النيَّـة

وليـسَ غيرهـا مـن الكُيُـوفِ[2]   ثِمـارهُ دانيـةُ القُطـوفِ

---

* الأرجوزة ضمن مجموع مخطوط بمكتبة الدولة ببرلين، رقم (Spr. 1966-3)، والأرجوزة منسوبة في الأصل للإمام الحافظ السيوطي (ت911هـ)، وقد بحثتُ في مؤلفات الحافظ السيوطي عنها، فلم أظفر بها، ثمّ تأملتُ القصيدة فإذا هي تستدعي الخلاف الحاصل في القهوة عام 941هـ بالقاهرة، أي بعد وفاة السيوطي بعقود، ثمّ إنّها يتّفق معظمها - عدا المقدمة- مع قصيدة شهيرة لأبي الفتح المالكي، منسوبة له في عمدة الصفوة للجزيري، وحسن الدعوة في الإجابة إلى القهوة للإدكاوي، وغيرها من المواطن، مع اختلاف في بدايتها، ولعله كتبها مرتين، إجابةً لسائلين اثنين.

(1) محمد بن محمد بن سلامة (عبد السلام) الرَبعي البرُجي التونسي الدمشقي المالكي، أبو الفتح، العلامة الأصولي القاضي الشاعر، وُلد بتونس سنة 901 هـ ونشأ بها، فقرأ القرآن، واشتغل بالتحصيل، فحفظ ألفية ابن مالك، ومختصر خليل في فقه مالك، والشاطبية الكبرى والصغري، وغيرها من المتون، ثمَّ ارتحل عن تونس إلى مصر، ومنها إلى دمشق الشام، فدخلها سنة 931هـ ولي نيابة القضاء بالمحكمة الكبرى بدمشق زمانا طويلا مع الوظائف الدينية، وحمل عنه الناس العلم وانتفعوا به، وكان شاعرًا بليغًا، وكان على مذهب الشعراء من التظاهر بمحبة الأشكال، والصور الحسنة حتى رمي، واتهم، وهو من المتعصبين للقهوة، قال فيها المنظومات والموشحات والمقاطيع، وكان مبتلى بأكل البَرَش، لا يصحو منه، وحصل بينه وبين علماء عصرة مشاحنات بسبب القهوة، وغيرها، توفي سنة 975 هـ بدمشق. انظر: متعة الأذهان لابن طولون (2/778)، ودرّ الحبب لابن الحنبلي (2/143)، والكواكب السائرة (3/21)، وشذرات الذهب (8/380).

(2) الكيوف: جمع كَيْف، ويُقصد به ما يُفرح وينعش من الأشربة، وتستخدم كذلك بمعنى المزاج، وهو من استعمالات المحدثين، لم تُعرف بهذا المعنى في زمان الفصاحة.

لأنهــا مُحكمــةٌ بالصَّنعــة ... قليلهــا يــرى المــزاجُ نفعَــه

وشــربُها علــى دُخــان التَّبــغِ ... لــه نفــوس الكامليــن تَبغِــي

ومــا ســوى هــذا مــن الحــرامِ ... كالبَرْش[1] والحشيش والمُدامِ

والبَرشــعثا[2] وكــذا الأفيــونُ[3] ... مــع النبيــذ ثــم الأنيســونُ[4]

ويُجمــع الجميــعُ كلَّ مُســكِرٍ ... هــو الحــرام باتفــاق الأكثــر

وإنَّمــا التِّبــغُ الــذي قــد ظَهَــرا ... مخالــطَ القهــوة فيمــا ذُكِــرا

ففيــه تفصيــلٌ لــذي المــزاج ... ومــن يــروم البُــرء بالعــلاجِ

بيانــه مــا كان للــدواء ... مــن ألــم النَّزْلــة والسَّــوداء[5]

كــذاك مــن تســليةِ المحــزونِ ... وقربِــه مــن مَدخــل الجنــون

فــذاك طــبٌّ ظاهــرٌ مطلــوبُ ... لمظهــر الصِّحــة بــل منــدوبُ

ومــا ســواه مــن زوال الهــمِّ ... فهــو مباح عــاريٌ[6] عــن إثــمِ

ومــا ذكرنــاهُ مــن الحــرامِ ... فموجِــبٌ للحَــدِّ والآثــامِ

وســائرِ المركَّبــاتِ المفســدةْ ... للعقــل والذهــن أو المبلِّــدةْ

بــل صَــحَّ أن القهــوةَ المكرَّمــة ... تَفعــلُ ضــدَّ هــذه المُحَرَّمَــة

---

(1) البَرْش: معجون مخدِّر، مركَّب من البَنج والأفيون. انظر: حاشية ابن عابدين 5/ 304. وقد شاع استخدامه في بلاد الشام في القرن العاشر. قال الخفاجي في خبايا الزوايا (509): «والبرش معجون معروف، وهو مخفَّف برشعثا، وهو يوناني، معناه: بُرء ساعة».

(2) البرشعثا: سريانيٌّ معرَّب، تركيب طبّي مكيِّف، هو البرش، يُعزى تركيبه إلى هبة الله الأوحد أبي البركات البغدادي (560هـ)، طبيب يهودي أسلم. انظر: قصد السبيل للمحبي (1/ 270).

(3) الأفيون: مادة مخدِّرة تُستخرج من ثمرة نبات الخشخاش.

(4) الأنيسون أو اليانسون، نبات بزري يستخدم إبزارًا في الطعام، وكان أهل الشام يطيّبون به خبزهم. انظر خطط الشام لمحمد كرد علي (4/ 191)

(5) النَّزلة: المرض النازل بالأنف أو الحلق، كالزُّكام. السَّوداء: أحد الأخلاط الأربعة في الطب القديم، تغذّي الطحال والعظام، وتؤدي سيادته إلى فساد المزاج والاكتئاب والوهن العام.

(6) القاعدة أن ياء الاسم المنقوص تُحذف لفظًا ورسمًا إذا تجرَّد الاسم من الإضافة و«ال» التعريف في الرفع والجرّ، وأثبتها الشاعر هنا للضرورة الشعرية.

مِن طردِ نومٍ وفتورٍ وكسل ... وكلُّ ما رامَ بها المرءُ حَصَل

مِن عملٍ أو ذكرٍ أو عبادة ... أو درسِ قرآنٍ أو استفادة

أو سهرٍ في الوِرد أو تهجُّدِ ... فهي لباغي الخيرِ خيرُ مُنجدِ

فكيف ساغَ أن يُقالَ: مُسكِرة ... معْ هذه الخِصالِ أو مُخَدِّرَة؟

فالقولُ بالإسكارِ قولٌ فاسدُ ... قائله مُكابِرٌ مُعانِدُ

يكفيه أنَّ حِسَّه يُكَذِّبُه ... عليه من مولاه ما يستوجِبُهْ

فحيثُ لم يثبت لها الإسكارُ ... فالوصف للحكم هو المدارُ

بدونه - لا حُكمَ - أو خفائه ... فينتفي التحريم لانتفائه[1]

هذا، وثاني شُبَهِ الأخصامِ ... إضرارُها بمطلقِ الأجسامِ

للبردِ واليُبسِ الذي في طَبعِها ... وغَفِلوا عن فضلِها ونفعِها

هَبْ أنَّ ضُرَّ شُربِها مُسَلَّمُ ... فليس كلُّ ما يَضُرْ مُحَرَّمُ

وليس كلُّ يابسٍ وباردِ ... يُكرَه أو يَحرُمُ عند واحدِ

فالشَّرع لا يمنعُ من مباحِ ... حتى مع الإضرارِ بالأشباحِ

ألا ترى أنَّ لحومَ البقرِ ... ببردِها ويُبسِها المُشتَهِرِ

تضُرُّ بالأبدان يا حبيبي ... من قولِ كلِّ عالمٍ طبيبِ

لأنَّها تُهيِّجُ السَّوداءَ ... بخلطها وتحرق الدِّماءَ

وتُورِثُ القوبا[2]، وداءَ الفيلِ[3] ... وقبلَه تضُرُّ بالإحليلِ[4]

---

(1) في الجملة تقديم وتأخير، والأصل: لا حكم بدون الوصف أو خفائه.

(2) مرض جلدي يسقط معه الشعر، وهو يصيب الإنسان والخيل. انظر: معجم المصطلحات العلمية العربية (197).

(3) داء الفيل: تضخم كبير في جلد الساقين خاصة وما تحته من أنسجة بسبب انسداد الأوعية الليمفاوية بالديدان الخيطية من جنس الفلاريا، انظر: معجم العربية المعاصرة (دوأ) (1/780)

(4) الإحليل: مَخْرَج البول من الإنسان (اللسان: حلل)، مجرى البول الخارجي، وهو قناة بين المثانة وفتحة

وَرُبَّمـا أورَثَـتِ الجُذامـا[1]   وبعـدَ هـذا لـم يكـن حرامـا

ومـن يقـلْ - بجهلِهِ - لحـمُ البقر   محَـرَّمٌ لِضُـرِّه فقـد كَفَـرْ

لأنَّـه قـدْ صـادَمَ القُرآنَـا   وجاءنـا بالـزُّورِ والبهتانَـا

فليـسَ عـن بـرودةٍ ويُبْـسِ   ينشـأ تحريـمُ حـلالِ الجِنْـسِ

كلّا ولا مـن مُطلَـقِ الإضـرارِ   إلا إذا أفضـى إلا البَـوارِ

وكـم عقاقيـرٍ وكـم مـن أدويـة   بِبَرْدِهـا ويُبْسِـها مُقَوِّيَـةْ

وكـم غـذاءٍ بـاردٍ ويابِـسِ   ونفعُـه يُذكَـرُ فـي المَجالِـسِ

وليـس فـي القهـوة مـن إسـكار   كلَّا ولا نـوعٍ مـن الأضـرارِ

بـل نفعُهـا وفضلُهـا عظيـمُ   وإنَّمـا يعرِفُـه الحكيـمُ

فمنـه: أنَّهـا تُذيـبُ البلغمـا   وتمنـعُ القـيءَ وتنفـعُ الغَمَـا

وتمنـع الرُّطوبـةَ الغريبـة   وكـم لهـا منفعـةٌ عجيبـةْ

مـن البواسـيرِ وداءِ المقعـدة[2]   وطـردِ ريـحٍ فـي الحَشـا مُمَـدَّدَةْ

وتُذهِـبُ القَوْلَنْـجَ[3] والصُّداعـا   إن كان مـن حـرارةٍ لَذّاعـا

وهـي مـن المُهضِّمـاتِ لـلأُكُلْ   وشـربُها بالغـدوات والأُصُـلْ

تُنَبِّـهُ الشَّـهوةَ للغِـذاءِ   وتَمْنـع الطَّـرفَ مـن الإغمـاء

ونفعُهـا من بعـضِ أنـواعِ الرَّمَـدْ[4]   وجَـرَبِ الجَفْـنِ صحيـحٌ معتمـدْ

وتمنـع الأبخـرة الرَّدِيَّـةْ[5]   مـنَ الدِّمـاغِ سِـيَّما عَشـيَّةْ

الإحليل يخرج منها البول. انظر: معجم العربية المعاصرة (حلل) (1/549).

(1) الجذام: مرض تأكل بسببه الأعضاء وتتساقط. انظر: معجم العربية المعاصرة (جذم) (1/356)

(2) المقعدة: أسفل ظهر الإنسان، وداء المقعدة يُقصد به الباسور أو الناسور.

(3) القولونج: القولون، هو المعيُ الغليظ، ويسبب التهابه آلامًا، وهو ما يقصده الناظم.

(4) الرَّمد: التهاب يصيب غشاء العين.

(5) الأبخرة: ما يُعتقد أنه يتصاعد من قوى الطعام من المعدة إلى الدماغ، فيسبب الخمول أو الصداع.

لأجلِ هـذا بعثتْ علـى السَّـهرْ ... وصَفَّـتِ الحـواسَ مـن كُلِّ كَـدَرْ

وليسَ وصفُهـا لـذي الحَـذَاقِ[1] ... بالبَـردِ واليُبـسِ علـى الإطـلاقِ

بـل ذاك طبـعُ القهـوةِ القِشـريَّةْ[2] ... فقـطْ، وأمّـا القهـوةُ البُنِّيَّـة

فإنَّهـا فـي غايـةِ الحـرارة ... وبقـيَ الـكلامُ فـي الإدارة

فمـن يقـولُ: إنَّهـا تُـدارُ ... كمـا تـدور الخَمـرُ والعُقَـارُ[3]

فقـل لـه: يـا جاهـلَ البَريَّـةْ ... مَرجِـعُ مـا ذَكَرْتَـهُ للنيَّـةْ

فكيـفَ وهـي حالـةٌ قلبيَّـةْ ... أبصرتهـا بعينـكَ القويـة؟

أم قـدْ شـقَقْتَ عـن قلـوبِ القومِ ... فـي حالـةِ اليَقظـةِ أم فـي النَّـومِ

حتـى رأيت فعلهـم فـي الأنفُسِ ... طاهِـر عيـنٍ كحـرامٍ نَجِـسِ

أم عـن قلـوبِ كُلِّهِـمْ شَـقَقْتا ... حتـى رأيـتَ مـا نَـوَوْهُ ثَبْتـا

أم أبـرزوا لـك الضميـرَ المُسـتَتَرْ ... مـن غيـرِ قصـدٍ بشـبيهٍ يُعتبَـرْ

فأنـتَ قـاضٍ باعتـرافِ القَـوْمِ ... أو بيِّـنٌ بالكَشـفِ[4] أو فـي النَّـومِ

كلّا أخـي، لقـد حَكَمْـتَ بالهوى ... وإنَّمـا لـكلِّ عَبْـدٍ مـا نـوى

وهيئـةُ المجلـسِ لا تُعتَبَـرُ ... إذْ لـم يَـزَلْ يُـدارُ فيهـا السَّكَرُ[5]

وغيـرُه مـن لَبَـنٍ ومـن عَسَـلْ ... ليشـربوهُ عَلَـلًا بعـدَ نَهَـلْ[6]

---

(1) الحَذاق: المهارة.

(2) أي القهوة التي تُتَّخذ من قِشر ثمرة البن، ويشيع استعمالها في اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية.

(3) العُقار: بالضم، الخمر. (اللسان: عقر)

(4) الكشف أو المكاشفة: من مصطلحات الصوفيَّة، ويعني الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا. انظر: التعريفات للجرجاني (184)، معجم مصطلحات الصوفية، د. عبد المنعم حنفي (225)

(5) السَّكَر: بالفتح الخمر (اللسان: سكر)

(6) النَّهل: الشَّربة الأولى، والعَلَلُ الشربة الثانية

يُقال: سقاه عللًا بعدَ نَهَلٍ، أي كرَّرَ عليه الشراب مرةً بعد مرَّة. انظر: اللسان (علل).

أبـإدارة الحـلالِ يَحـرُمُ ... ويحك! هل قال بهذا مُسلِمُ؟

لا سيَّما والمصطفى زِيْدَ ثنا ... ما بين صَحْبه أدارَ اللَّبَنا[1]

فكانَ ذاكَ سُنَّةً وإنَّما ... يُمنَعُ ما نصَّ عليه العُلَما

من هيئةٍ تنشأُ في التَّشبيهِ ... مِن شاربِ الخمور عن تمويهِ

كواضعٍ في الكاسِ ماءً صِرفًا ... مُحرِّكًا رأسًا له وكَفًّا

يوهِم أنَّ ما حُوِيْ في الرَّاحِ ... وهُزَّ في البَنانِ صِرْفُ الرَّاحِ

سِيْما إذا لجلجَ باللِّسانِ ... ألفاظَهُ لجْلَجةَ[2] السَّكرانِ

هذي -هُديتَ- الهيئةُ المُحرَّمة ... والفِعلَةُ القبيحةُ المُذَمَّمة

فاعِلُها الخبيث عنها يُزجرُ ... والماءُ لا يَحْرُم فيما ذكروا

إذْ ليست الهيئة عن تأثيرِ ... في العين بالتحريمِ والتَّخطيرِ[3]

ألا ترى لو أنَّ شخصًا جامَعَا ... زوجتَهُ، أو أَمَةً وباضَعَا[4]

مُستحْضِرًا في الذِّهنِ أجنبيَّةْ ... قد حُرِّمَ استحضارُه للنِّيَّة

من غيرِ أن يَحرُم بُضْعُ زَوجَتِه ... لهيئةٍ عارضةٍ أو أمَتِهْ

فكيفَ قهوةٌ حلالٌ حُرِّمَتْ ... بهيئةٍ عارضةٍ -لو سُلِّمَتْ-

لكِنَّهُم عن وصفها ما سَلِموُا ... إذن، فمن أيِّ الوجوه تَحْرُمُ؟

وما نفاه الحِسُّ والوجدانُ ... فالخوض في إثباته بُهتانُ

---

(1) يشير إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الصحيحين، قال: أتانا رَسولُ اللهِ ﷺ في دارِنا هذِه فاستَسْقى، فَحَلَبْنا له شاةً لَنا، ثُمَّ شُبْتُهُ مِن ماءِ بئرِنا هذِه، فأعْطَيْتُهُ، وأبُو بَكْرٍ عن يَسارِهِ وعُمَرُ تُجاهَهُ، وأعْرابِيٌّ عن يَمِينِهِ، فَلَمّا فَرَغَ قالَ عُمَرُ: هذا أبو بَكْرٍ، فأعطى الأعْرابِيَّ فَضْلَهُ، ثُمَّ قالَ: الأيْمَنُونَ الأيْمَنُونَ، ألا فَيَمِّنُوا قالَ أنَسٌ: فَهي سُنَّةٌ، فَهي سُنَّةٌ، ثَلاثَ مَرّاتٍ. أخرجه البخاري (2571)، ومسلم (2029)، وكذا حديث عبد الله ابن عباس في سنن الترمذي (3455) وابن ماجه (3322).

(2) واللَّجْلجةُ: ثِقَلُ اللِّسانِ، ونَقْصُ الكلامِ، وأن لا يخرج بعضه في أثر بعض. اللسان (لجج)

(3) الخطر: في الأصل ارتفاع الشأن، والتخطير هنا التهويل. اللسان (خطر)

(4) باضَعَ: جامَعَ.

وخذ -هداكَ اللهُ- حِلَّ الرابعة ... وردَّها بالكلمات الجامعةْ

وتِلكَ قولُ المنكرينَ رُبَّما ... قد مَزَجوا بقهوةٍ مُحرَّما

قلنا لهم بمطلقِ التَّوهُّمِ ... لا يَلحقُ الحلالُ بالمحرَّمِ

ولا يَظنُّ مسلمٌ بمسلمِ ... سوءًا بمَشْرَبٍ ولا بمَطْعَمِ

فكلُّ مؤمنٍ أمينٌ فانتبه ... قطعًا على مطعَمِهِ ومشربِهْ

إذًا فمن أين لنا أنَّهمُ ... قد وَضَعُوا في قهوةٍ ما يَحْرُمُ

وما رأينا ذاك بالمشاهدة ... ولا به أقرَّ ذو معاندةْ

لنفرِضنْ بأنَّه قد وَقَعا ... من واحدٍ أو منْ جماعةٍ معًا

فذاك لا يمنعُ منها مُطْلَقًا ... لأنَّ حِلَّ صِرْفِها تحقَّقا

بل يُزجَرُ النّاسُ إذن عن وضعهم ... فيها حَرامًا مؤذيًا يَمْنَعُهُم

معْ أنَّهم ما وضعوا قطُّ بِها ... مُحرَّمًا أصلًا فكنْ مُنتبِهًا

إذْ هيَ لا تقبلُهُ بِحالِ ... فمزجُها بهِ من المُحالِ

وإنَّما تقبلُ كالقَرَنْفُلِ ... والهالِ والمسكِ وبعضِ الصَّندَلِ

وما سوى ذلكَ فهو أجنبيْ ... مِنها فَسَلْ بها، وإلا جَرِّبِ

وخيرُ قهوةٍ على الإطلاقِ ... الصِّرفةُ البُنِّيَّةُ المَذاقِ

لا سيَّما الغليظةُ القِوامِ ... بكثرةِ الوَقودِ والضِّرامِ[1]

فصحَّ قطعًا أنَّها لا تُمنَعُ ... لخوفِ مزجها بما لا يُشرَعُ

حيثُ مِنَ القواعدِ الفقهيّة ... والطُّرُقِ القويمةِ العَليَّة

أنْ ليسَ شكٌّ رافعًا يقينًا ... عندَ الأصوليين أجمعينا[2]

---

(1) الوَقود: الحطب. والضِّرام: الاشتعال.

(2) يشير إلى القاعدة الفقهية: "اليقين لا يرتفع بالشَّك" وهي من القواعد الفقهية الكليَّة الخمس التي أجمع عليها

هـذا جـوابٌ حَسَـنٌ بديـعُ معتـرِفٌ بحُسْـنِهِ الجميعُ

هذَّبـهُ بالسَّـبكِ فِكْـرُ ناظِمِـه فجـاءَ كالإبريـزِ[1] فـي معالمـه

يـكادُ مـن عذوبـةِ الألفـاظِ تشْـرَبُهُ مسـامِعُ الحُفَّـاظِ

والحمـدُ للـهِ علـى إتمامِـهِ مُضَمَّخًـا بالمِسْـكِ فـي خِتامِـهِ

وصلواتُـهُ علـى خيـرِ الـورى محمَّـدٍ وآلـهِ أُسْـدِ الشَّـرى

وصحبِـهِ أئمـةِ الهِدايَـة ومنقـذي الخلـقِ مـن الغوايـة

مـا أَلَّفَـتْ يـدُ الجنـوبِ الدِّيَمـا[2] ودارتِ القهـوةُ بيـنَ النُّدَمـا

الفقهاء من كل المذاهب. انظر: الأشباه للسبكي (13/ 1)، الأشباه للسيوطي (50).

(1) الإبريز: الصافي من الذهب. اللسان (برز)

(2) والجَنُوبُ ريح تخالِفُ الشَّمالَ تأتي عن يمين القِبْلة. وقال الأصمعيُّ: إذا جاءَت الجَنُوبُ جاءَ معها خَيْرٌ وتَلْقيح. (اللسان: جنب). والدِّيَم: جمع دِيمة، وهو المطر الذي ليس فيه برقٌ ولا رعد (اللسان: ديم)

«سؤال في القهوة منظوم، وجوابه»*
لأبي الفتح محمد بن عبد السلام المالكي[1]

قال - رحمه الله-: [الكامل]

ما قول مولانا الإمامِ الأوحد ومن به في الشَّرعِ كلٌّ يقتدي
ومن هو المحقق العلَّامة الجِهبِذُ المدقِّقُ الفهَّامة
شيخ الشيوخ رحلة الطلاب بحر العلوم روضة الآداب
في حكم شرب القهوة البُنِّيَّة بظاهر الشريعة العليّة
ومن على من بالهوى حرَّمها جهلًا، ونارَ فتنةٍ أضرمها[2]
وهل له من شبهة فتُدفَع أو حجّة في منعها فتُقطَع
فامنن علينا بجوابٍ جَزْل ممتنعٍ سهلٍ بقولٍ فصلِ
إذْ أنتَ أولى من أجاب السائلا وعمَّ طلاب العلوم نائلا
لازلت قائما بحق العلم ورادِعًا كلَّ ظلومٍ فَدْمِ[3]
مؤيدًا بالله والأملاكِ ما انتظمتْ كواكب الأفلاك

فأجاب وأجاد وما حاد عن سبيل الرَّشاد: [الرَّجز]

أقول والله هو الموفِّقُ وإنما به - تعالى - أنطقُ
يا سائلي عن قهوة البُنِّ التي كم من فتى على هواها ما فتِيْ
سألتَ عنها وبها خبيرا فاستمعِ التحقيقَ والتَّحبيرا

---

* مجموع مخطوط بمكتبة الدولة ببرلين، رقم (Spr. 1966-3)، عمدة الصفوة في حل القهوة - خ، نسخة برنستون: ق54، حسن الدعوة للإجابة إلى القهوة - خ، نسخة برينستون: ق2.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) يقصد الشيخ يونس العيثاوي الشافعي الدمشقي (ت 976 هـ)، رحمه الله.

(3) الفدم من الناس: العَيِيُّ عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم. (اللسان: فدم)

واعلـم علـى طريقـةِ الإجمـالِ بأنّهـا مـن جملـة الحـلالِ
وأنَّ حكـم شُـربِها الإباحـة تُثخـن مـن حرَّمهـا جراحـه
ويستحقُّ الخـزي والنَّـكالا لأنَّـه قـد حَـرّمَ الحـلالا[1]
وهـو كمـن قـد حلـل المحرَّمـا يكفُـرُ قطعًـا عنـد كلِّ العلمـا
ثـمَّ قصـارى أمـره أن كَذَبَـا وقـال فـي القهـوة قـولًا عَجَبًـا
مـن كونهـا تُنسَـبُ للإسـكارِ وشـبهة التشـبيه[2] والإضـرارِ
وهأنـا أردُّ مـا قـد قـالا ردًّا يزيـل الوهـم والإشـكالا
مبيِّنًـا شُـبَهَهُ وغَلَطَـهْ إن لـم يكن محضُ العِنادِ ورَّطَه
أو ابتغـاءِ شـهرةٍ بيـن الـورى أو سـمعةٍ قـد مَـانَ[3] فيهـا وافتـرى
وقـال مـا قـد قالـه ريـاءا كأنَّـه لـم يقـرأ «الإحيـاءَا»[4]
فاسـمع لمـا أقـول يـا مسـتفتيْ مقـال حَبـرٍ فـي العلـوم ثَبْـتِ
إن الـذي أصبـحَ منهـا يمنـعُ لـه ثـلاثُ شُـبهٍ أو أربـعُ
أولهـا ادّعـاؤه الإسـكارا وأنهـا تَسْـتَتْبِعُ الخمـارا

---

(1) هذا البيت وما يليه، المقصود بهما هو الشيخ يونس بن عبد الوهاب العيثاوي الشافعي (ت 976 هـ)، قال الشيخ الإدكاوي في حُسن الدعوة–خ: «الأبيات الثلاثة المتابعة في الجواب، عنى السائل والمجيب بذلك الشيخ الصالح الزاهد الورع يونس الشافعي العيثاوي الأشعري، فإنه صنّف في القهوة تصنيفًا تبعًا لغيره في ترك تعاطيها والانكباب عليها

وكان بسبب ذلك فتنة عظيمة في سنة ثلاث وخمسين وتسعمئة، تعصَّب فيها مع الشيخ أبي الفتح المالكي، ناظمِ الجواب، الشيخُ أحمد الجيلي، وتعصَّب معهما كثيرٌ من العوام الذين ألفوا شُربها؛ فطُلبوا إلى بين يدي أمير الأمراء، الباشا نائب دمشق الشام، ووافق الشيخ يونس جماعةٌ من طوائف الحنابلة والحنفية والشافعية، ووافق أولئك جماعة أخرى، وكان بمجلس الباشا، اقاضي القضاة السيد محمد شاملي، فعضَّد الشيخَ يونسَ، ثم افترق المجلس، وتمَّ الأمر بين هؤلاء الأشياخ، فعمل الشيخ أبو الفتح هذه المنظومة بسبب ذلك».

(2) يقصد تشبيه هيئة تعاطيها بهيئة تعاطي الخمر.

(3) المَيْنُ: الكذب (اللسان: كين)

(4) يقصد كتاب «إحياء علوم الدين» لحجّة الإسلام الإمام الغزالي (ت 505هـ)، وهو عمدة في باب رياضة النّفس ومداواة الأخلاق.

وبعده الإضرارُ بالأبدان ... بالبرد واليُبسِ وهذا الثاني
أوهى من الأولى، وأمّا الثالثة ... وهي على ذمّ الجهولِ باعثةْ
إدارة القهوة مثل الخمر ... وذا مقالٌ باطلٌ لَعمري
رابعهنّ خوفُ من قد زعما ... أن يخلطوا بشُربها المحرّما
إذن فلا يؤمَن عند المنكر ... من مزجها بمسطل أو مسكر
هذا قصارى شبهةِ الأخصامِ ... وغايةُ التشنيع بالأوهام
فخذ - هُديتَ - ردَّها مفصّلا ... ونقضَهنّ أوّلًا فأولا

***

أمّا ادّعاءُ الخصمِ أنّ القهوةْ ... مُسكِرةٌ وأنّ فيها نَشوة[1]
فذاك بالاجماعِ قولٌ باطلُ ... لنا على بطلانه دلائلُ
وحججٌ لقوله مكذِّبةْ ... قد بُيِّنَتْ على يقينِ التَّجرِبةْ
لأنها قد شُربت مِرارا ... فما رأى الناس لها إسكارا
ولم تزلْ تجربةُ الثِّقاتِ ... معدودةً من اليقينيّاتِ[2]
ولا خلافَ بينَ أهلِ المنطقِ ... من كونها إلى اليقين ترتقي
فقل لمن يُخبِرُ عنها كذبا: ... إن لم تذقها فاسأل المُجرِّبا
واحكم بالاستقراءِ والتَّتبُّعِ ... واختبرِ القهوةَ فِعلَ الألمعي
وأمّ في جُنح الظلامِ نارَها ... واستقرِ من سُقّاتها أخبارَها
وسلْ ثِقاتٍ شُغِفوا بحبِّها ... وأكثروا تبرُّكًا من شُربها

(1) النَّشوة: السُّكر (اللسان: نشا)
(2) المجرّبات: قضايا يحكم بها لمشاهدات متكررة مفيدة لليقين. انظر: معجم مقاليد العلوم للسيوطي (127)

هـل وَجَـدَ القـومُ لهـا مـن أَثَـرِ ... سـوى انتفـاعٍ بـدوامِ السَّـهَرِ

وهــل رأوا شَــاربِها يُعربِــدُ[1] ... بيـن الأنـامِ ثَمِـلًا يُغَـرِّدُ

أو يتكفّــى[2] مائــلاً أو مائــدًا[3] ... أو بالسِّــلاحِ قائمًــا وقاعــدا

مُحَمَّـرَةً عينـاه كالمجنـونِ ... عـارٍ عـن الوقـار والسكونِ

أو اعتـراه قـطٌّ قـيءٌ أو قَلَـسٌ[4] ... أو انسـطالٌ مثـل آكلِ الكَلَـس[5]

أو خـدرٌ فـي الجسـم أو تفتيـرُ ... أو ثِقَـلٍ فـي الـرأس أو تنخيـرُ

أو كسـلٌ بنـومٍ أو إغضـاءِ ... كآكل الحشيشِ والجـوزاءِ

وسـائرِ المركبـاتِ المفسـدةْ ... للعقـلِ والذِّهـنِ أو المبلِّـدة

بـل صـحَّ أن القهـوة المكرَّمـة ... تفعـلُ ضـدَّ هـذه المحرَّمـة[6]

مـن طـرد نـومٍ وفتـورٍ وكسـل ... وكل مـا رام بـه المـرء حصـل

مـن عمـلٍ أو ذكـرٍ أو عبـادة ... أو درس قـرآنٍ أو اسـتفادة

أو سـهرٍ فـي الـورد أو تهجّـدِ ... فهي لنـا فـي الخيـرِ خيرُ منجدِ

فكيـفَ سـاغَ أن يُقـالَ: مسـكرةْ ... مـعْ هـذه الخصـالِ أو مخـدِّرةْ

فالقـولُ بالإسـكارِ قـولٌ فاسـدُ ... قائِلـهُ مكابـرٌ معانـدُ

يكفيـه أنَّ حِسَّـه يكذِّبُـهْ ... عليـه مـن مـولاه مـا يستوجبُهْ

فحيـثُ لـم يثبـتْ لهـا الإسـكارُ ... فالوصـفُ للحكـم هـو المـدارُ

(1) العربدة: سوء الخُلق، والمُعربِد من يؤذي نديمه في السُّكرِ (اللسان: عربد)

(2) التكفّي: التَّمايُلُ إلى قُدَّام كما تَتَكَفَّأُ السَّفِينةُ في جَرْيِها. (اللسان: كفأ)

(3) المائد: المائل (اللسان: ميد)

(4) القَلْسُ والقَلَسُ: أن يبلغ الطعام إلى الحلق ملْءَ الحلق أو دونه ثم يرجع إلى الجوف. (اللسان: قلس). قلتُ: القَلْسُ أشبه شيء بما نسميه اليوم الارتجاع المريئي.

(5) الكِلْس: النورة أو الجير، وهو كربونات الكالسيوم. وهي مكسورة الفاء فتحها الناظم ضرورةً.

(6) كلُّ ما يأتي بعدَ هذا البيت يتطابقُ معظمه مع المنظومة السابقة، فتركتُ التعليق عليه تجنُّبًا للتكرار، ونبَّهتُ فقط على المواضع التي اختلف فيها الرسم في الأصول.

بدونـه -لا حكـمَ- أو خفائـه فينبغـي التحليـلُ لانتفائـه

***

هـذا وثانـي شـبهةِ الأخصـامِ إضرارُهـا بمطلـقِ الأجسـامِ
للبـردِ واليُبسِ الـذي فـي طَبعِهَا وغَفِلـوا عـن فَضلِهـا ونضفعِهـا
هَـب أنَّ ضُـرَّ شُـربِها مُسَـلَّمُ فليـسَ كلُّ مـا يَضُـرْ مُحَـرَّمُ
وليـس كلُّ يابـسٍ وبـاردِ يَحْـرُمُ أو يُكـرَه عنـدَ واحـدِ
فالشَّـرع لا يمنـعُ مـن مبـاحِ [حتى مع الإضرارِ بالأشباحِ][1]
ألا تـرى أنَّ لحـومَ البقـرِ ببردِهـا ويُبسِـها المُشـتَهِرِ
تضُـرُّ بالأبـدان يـا حبيبـي فـي قـولِ كلِّ عالـمٍ طبيـبِ
لأنَّهـا تُهيِّـجُ السَّـوداءَ بخلطهـا وتحـرق الدِّمـاءَ
وتُـرِثُ القوبـا، وداءَ الفيـلِ وقبلـه تضُـرُّ بالإحليـلِ
ورُبَّمـا أورَثَـتِ الجُذامـا ومـع هـذا لـم يكـن حرامـا
ومـن يقـلْ - بجهلهِ - لحمُ البقر محَـرَّمٌ لِضُـرِّه فقـد كَفَـرْ
لأنَّـه قـدْ صـادَمَ القُرآنَـا وجاءنـا بالـزُّورِ والبهتانَـا
فليـسَ عـن بـرودةٍ ويُبْـسِ ينشـأُ تحريـمُ حـلالِ الجِنْـسِ
كلّا ولا مـن مُطلَـقِ الأضـرارِ إلا إذا أفضـى إلـى [البـوارِ][2]
وكـم عقاقيـرٍ وكـم مـن أدويـة ببَرْدِهـا ويُبْسِـها مُقَوِّيَـةْ
وكـم غـذاءٍ بـاردٍ ويابِـسِ ونفعُـه يُذكَـرُ فـي المجالـسِ

---

(1) في الأصل: ولو مع ضرر الأشباح وصوابه من القصيدة التي سبقت.
(2) في الأصل: الإضرار، وصوابه ما أثبت، من النسخة الثانية.

وليس في القهوة من إسكار كلَّا ولا نوعٌ من الأضرارِ
بل نفعها وفضلُها عظيمُ وإنَّما يعرِفُها الحكيمُ
فمنه: أنَّها تُذيبُ البلغما وتفعُ القيء وتنفعُ الغَمَا
وتقطع الرُّطوبةَ الغريبة وكم لها منفعةٌ عجيبةْ
من البواسيرِ وداء القَعْدَة وطردِ ريحٍ في الحَشا مُمَدَّدَةْ
وتُذهِبُ القَوْلَنجَ والصُّداعا إن كان من حرارةٍ لذَّاعا
وهي من المُهضِّماتِ للأُكُلْ وشربها بالغدوات والأُصُلْ
تُنَبِّهُ الشَّهوةَ للغذاءِ وتَمْنع الطَّرفَ من الإغفاء
ونفعُها من بعضِ أنواعِ الرَّمَدْ وجَرَبِ الجَفْنِ صحيحٌ معتمدْ
وتمنع الأبخرة الرَّدِيَّةْ منَ الدِّماغِ سِيَّما عَشيَّةْ
لأجلِ هذا بعثتْ على السَّهرْ وصَفَّتِ الحواسَ عن كُلِّ كَدَرْ
وليسَ وصفُها لذي المذَاقِ بالبَردِ واليُبسِ على الإطلاقِ
بل ذاك طبعُ القهوةِ القِشريَّةْ فقطْ، وأمّا القهوةُ البنيَّة
فإنَّها في غايةِ الحرارة وبقيَ الكلامُ في الإدارة

***

فمن يقولُ إنَّها تُدارُ كما يدار الخَمرُ والعقارُ
فقل له: يا أجهلَ البَريَّةْ مَرجِعُ ما ذَكَرتَهُ للنِّيَّةْ
فكيفَ وهي حالةٌ قلبيَّةْ أبصرتَها بعينكَ القويةِ؟
أم قدْ شقَقْتَ عن قلوبِ القومِ في حالةِ اليَقظةِ أو في النَّومِ
حتى رأيت فعلهم في الأنفسِ طاهِرُ عينٍ بحرامٍ نَجِسِ

أم عـن قلـوبٍ كُلِّهـمْ شَـقَقْتا حتـى رأيـتَ مـا تـروم بتّـا

أم أبـرزوا لـك الضميـرَ المُستَتِرْ مـن قصـدِ تشبيه ظهـورٍ بقـدر

فأنـتَ قـاضٍ باعتـرافِ القَـوْمِ أو بسنا الكَشْـفِ ولـو فـي النَّـومِ

كلّا أخـي، لقـد حَكَمْـتَ بالهوى وإنّمـا لـكلِّ عَبْـدٍ مـا نـوى

وهيئـةُ المجلـسِ لا تُعتَبَـرُ إذ لـم يَـزَلْ فيـه يُـدار السَّـكَرُ

وغيـره مـن لَبَـنٍ أو العَسَـلْ بيـنَ ذويـهِ عَلَـلًا بعـدَ نَهَـلْ

أبـالإدارة الحـلالُ يحـرمُ ويحـك! هـل قـال بهـذا مُسلِمُ؟

لا سيما والمصطفى زِيْـدَ سنا مـا بيـن صحبـه أدارَ اللَّبَنـا

فـكانَ ذاكَ سُـنَّةً وإنّمـا يُمنَـعُ مـا نـصَّ عليـه العُلمـا

مـن هيئـةٍ تنشـأُ فـي التَّشـبيهِ بشـاربي الخمـور عـن تمويـهِ

كواضـعٍ في الكاسِ مـاءً صِرفًـا مُحـرِّكًا كأسًـا لـه وكَفًّـا

يوهِـم أنَّ مـا حُـوِيْ فـي الـرَّاحِ وهُـزَّ فـي البنـانِ صِـرْفُ الـرَّاحِ

سِـيْما إذا لجلـجَ باللِّسـانِ ألفاظَـهُ لجُلَجَـةَ السَّـكرانِ

فاعِلُهـا الخبيـث عنهـا يُزجـرُ والمـاء لا يُحـرم فيمـا ذكـروا

إذْ ليسـت الهيئـة عـن تأثيـرِ فـي العيـن بالتحريـمِ والتَّخطيـرِ

ألا تـرى لـو أنَّ شـخصًا جامَعَـا زوجتَـهُ، أو أَمَـةً وباضَعَـا

مُستحْضِرًا فـي الذِّهـنِ أجنبيَّـةْ قـد حُـرِّمَ استحضارُه للنِّيَّـة

من غيـرِ أن يَحـرُم بَضـعُ زَوجَتِـه لهيئـة عارضـةٍ أو أَمَتِـهْ

فكيـفَ قهـوةٌ حـلالٌ حُرِّمَـتْ بهيئـةٍ عارضـةٍ -لـو سُـلِّمَتْ-

لكِنَّهُـم عـن وصفهـا مـا سَلِمُوا إذًا فمـن أيِّ الوجـوه تَحْـرُمُ؟

وما نفاه الحسُّ والوجدانُ فالخوض في إثباته بُهتانُ

***

وبعد -هداك اللهُ- جئِ الرابعة ورودها بالكلمات الجامعةْ

ثمَّ لنختم هذه الصحيفة بالشبهة الرابعة السخيفة

وتلكَ قول المنكرين: رُبّما قد مَزَجوا بالقهوةِ المُحرَّما

قلت لهم بمطلقِ التوهُّمِ لا يلحقُ الحلالُ بالمحرَّمِ

ولا يظنُّ مسلمٌ بمسلمِ سوءًا بمَشْرَبٍ ولا بمَطْعَمِ

وكلُّ مومنٍ أمينٌ فانتبه قطعًا على مطعَمِهِ ومشربِهْ

إذن فمن أين لنا أنّهمُ قد وَضَعُوا في تلك ما يُحَرَّمُ

وما رأينا ذاك بالمشاهدة ولا به أقرَّ ذو معاندةْ

لنفترض بأنّه قد وَقَعا من واحدٍ أو منْ جماعةٍ معًا

فذاك لا يمنعُ منها مُطْلَقًا لأنَّ يحِلَّ صِرْفُها مُحقّقا

وتُزجَرُ النّاسُ إذًا عن وضعهمُ فيها حَرامًا موذنًا بمَنْعُهُم

معْ أنّهم ما وضعوا قطُّ بِها مُحرَّمًا أصلًا فكنْ مُتنبِهًا

إذْ هيَ لا تقبلُهُ بحالِ فمزجها بهِ من المُحالِ

وإنّما تقبلُ كالقَرَنْفُلِ والهالِ والمسكِ وبعضِ الصَّنْدَلِ

وما سوى ذلكَ فهو أجنبيْ منها فسلْ كل فتى مجرِّبِ

وخيرُ قهوةٍ على الإطلاقِ الصِّرفةُ البُنِّيَّةُ المَذاقِ

لا سيَّما الغليظةُ القِوامِ بكثرةِ الوَقودِ والضِّرامِ

فصحَّ قطعًا أنّها لا تُمْنَعُ لخوفِ مزجها بما لا يُشرَعُ

حيثُ مِنَ القواعدِ الفقهيّة والطُّرُقِ القديمة العِلميَّة
أنْ ليسَ شكٌّ رافعًا يقينًا عندَ الأصوليين أجمعينا
هذا جوابٌ حَسَنٌ بديعُ معترِفٌ بحُسنِهِ الجميعُ
هذَّبهُ بالبسط فِكْرُ ناظِمِه فجاءَ كالإبريزِ في معالمه
يكادُ من عذوبةِ الألفاظِ تشْرَبُهُ مسامِعُ الحُفَّاظِ
والحمدُ للهِ على إتمامِهِ مُضَمَّخًا بالمِسْكِ في خِتامِهِ
وصلواتهُ على خيرِ الورى بمحمَّدٍ وآلهِ أُسْدِ الشَّرى
وصحبِهِ أئمة الهِدايَة ومنقذي الخلقِ من الغواية
ما أَلَّفَتْ يدُ الجنوبِ الدِّيما ودارتِ القهوةُ بينَ النُّدَما

«تحفة الإخوان باستعمال القهوة والدُّخان»*
لسليمان بن يوسف البسيوني[1]

قال - رحمه الله -: [الرَّجَز]

الحمد لله الذي قد دلَّنا ... لدينه وعِلمُه أجلَّنا

وخصَّنا من بين سائر الأمم ... ببعثة المختار طه ذي الشيَم

صلى عليه الله ما حادٍ حَدَا ... لعِيسِه ثمَّ السَّلامُ أبدا

وآلِه وصحبِه الأخيار ... ما حنَّتِ الأطيار للأوكار

***

وبعدُ أهلُ العلمِ قد تكاثرت ... أقوالُهم في عِدَّةٍ تظاهرتْ

مِن بعد خيرِ الخلق فهو المصطفى ... ولم يَرِد بها كتابٌ فاعرفا

ولا من السُّنَّة والأخبارِ ... وليسَ تحذيرٌ من الجبَّارِ

أعني بها كالقهوةِ المشهورةْ ... وبدعةٌ لم تأتِنا مأثورةْ

وغيرها من سائر البِدْعاتِ ... ما حُكمها في قَوْلَةِ الثِّقاتِ؟

فقلتُ فيها: خُلفُهُم قد انتهى ... لكن أقولُ: من كِبار العلما

مبيِّنًا للحقِّ من غير شَططْ ... وما عداه من مقولاتٍ غَلَطْ

يجوزُ شُرب القهوةِ المشتهرةْ ... لِما روى أئمةٌ معتبرةْ

بأنَّ أصلها من الجِنانِ ... تُسمَى لديهم شَجرةَ السُّلوانِ

---

* الرسالة من مجموع مخطوط بجامعة أمّ القرى، رقم 21267-3، سقطت منه ورقة كاملة، استدركتها من مصوَّرة مركز جمعة الماجد برقم: 658602، لنفس المخطوط، وأشكر لهم سرعة إجابتهم، وجزيل تعاونهم.

(1) سليمان بن يوسف بن عمر البسيوني الشافعي المُزَني: فقيه شافعي، وفاضل من أهل القرن الثاني عشر تخليًا، لم أقف له على ترجمة في ما بين يدي من المصادر.

قـد أُهبطـت مـعْ آدمٍ لمَّـا نَـزَلْ ... وهكـذا شـيخُ مشـايخي نَقَـلْ[1]

غَرَسَـهَا سـبعونَ أَلْـفَ مَلَـكِ ... كمـا رُوي عـن الجنيـد[2] وحُكـي

عـن غيـره مـن جملـة الحُفَّـاظِ ... فكـن إلـى المـروي ذا إيقـاظِ

ومـا رواه الشَّـرف العِمريطـي ... مُشـدِّدًا فيهـا فـلا تفريـطِ

بأنَّهـا تَحـرُمْ علـى الفقيـرِ ... وغيْـرِهِ قـد ردَّه الدَّميـري[3]

بمـا يطـول ذكـره وقـد جَـزمْ ... بطـرحِ ذا وهـو لِنحـو الحِـلِّ أَمَّ

ومـا رُوي عـن ابـنِ عبـدِ الحـقِّ ... مـن كونـه أفتـى بمنـع الخَلـقِ

مِـن شُـربها وعزمُـه قـد صمَّمـا ... رُدَّ عليـه مـن رئيـس العلمـا

أعنـي بـه محمـدَ البكريّـا ... وقـال: ليسَ مـا روى مَرضيًّـا[4]

---

(1) جاء في حاشية المخطوط: هو العلامة الأجهوري رحمه الله.

قلتُ: هو علي بن محمد بن عبدالرحمن بن علي، أبو الإرشاد، نور الدين الأجهوري: فقيه مالكي، له اشتغال بالحديث، وفاته بمصر سنة 1066هـ. والقول المنسوب له، من رسالته: «مقدمة في فضل البن»، نقله عن الشيخ علوان الحموي (ت936هـ) من رسالته: «السّر المكنون في مدح البون»، وهو يرويها عن أبي القاسم الجُنيد، والقصة لا أصل لها، بل هي من تأليفات بعض الصوفيَّة، تعصُّبًا للقهوة.

(2) يقصد أبا القاسم الجنيد أحمد بن موسى المشرِّع اليمني، الشيخ الصالح، توفي بمكة مجاورًا سنة 917هـ. انظر: النور السافر (91).

(3) في الحاشية: قوله الشرَّف العمريطي، يعني أنه ذكر من الحُرمة في ضمن رسالة له في خصوص القهوة، وبالغ في النكير على شاربيها. وعارضه العلامة الدَّميري برسالة أخرى وردَّ ما استدلَّ به مما هو أوهى من بيت العنكبوت.

قلت: الدميري المقصود هو شرفُ الدين يحيى بن إبراهيم بن عمر الدميري (ت 939هـ) كما في «عمدة الصفوة»، وكان من الموقعين على المحضر الذي رُفع إلى السلطان قانصوه الغوري سنة 917هـ وهو مُشكلٌ إذا قَصَدَ الناظم أن الدميري ردَّ على العمريطي على وجه الخصوص، فالدميري توفيَّ سنة 939هـ والعمريطي توفي بعد سنة 989هـ وعليه فبين الرجلين زمان لا يتحصَّل فيه أن يكتب العمريطي منظومته فيطالعها الدميري، فضلًا عن أن يردَّ عليها، والراجح أنَّه يقصد أنَّ الدميري ردَّ على الشبه التي تعلَّق بها العمريطي في التحريم، وقد كانت مدار تحريم من كان قبله ممن حرَّمها من العلماء، والله أعلم.

(4) في حاشية المخطوط: قوله محمد البكري، هو العالم الجليل شارح المنهاج، وكان له أُبهةٌ، وصولةٌ في التقرير والتحرير في فنون العلما والعلماء.

قلتُ: هو أبو الحسن محمد بن محمد البكري الصديقي (ت952هـ)، لَهُ حاشية عَلَى شرح المحلي على المنهاج للنووي؛ سماها: (حاشية البكري على شرح المنهاج)، وله أيضًا شرح سَمَّاهُ: (هادي المحتاج شَرح المِنْهَاج) وهو اختصار لشرح المحلي، حذف الخلاف، واختصر كلام المحلي.

وهكـذا قـد نازعـتْ أهـل اليَمَـنْ ... فـي قولـه وطالبـوه بالسُّـنن[1]

فلـم يجـد حقًّـا طريقًـا فيهـا ... فَكَـفَّ عـن ذا القـول مُجتنيهـا

وقـال بعـض النَّـاس لـي مقالـةْ ... صحيحـةً والـراوِ ذو عَدالـةْ

لقـد دُعـي لحضـرة البكـريِّ ... وشـنَّفَ الفِنجـانَ بالقهـوِيِّ[2]

ومـا رُوي عـن هـؤلاء الفضـلا ... عـن حُرمـةٍ فليس ذاك مُسْـجَلا[3]

بـل إن تكـن تـدارُ للنُّدمـانِ ... كخمـرةٍ أيضًـا مـع المـردانِ[4]

أو مَـعْ نسـاءٍ فاجزمَـنْ بالحَظْـرِ ... إذْ ذاك لا يخفـى علـى ذي حِجْرِ[5]

وهكـذا تصفيـقُ شـاربيها ... ونَشْـدُ شِـعرٍ [قيـل فـي] ساقيها[6]

وخلطهـا بمفسِـدٍ أو احتـوى ... حـانٌ لهـا علـى الفجـور والهوى

وهكـذا تَحـرُمْ علـى السَّـوداوي ... لضـرّه ومثلـه الصفـراوي[7]

كـذا سـماع العـود والرَّبابـةْ ... وغَيبـةٌ، ومثلهـا السَّبَابَةْ[8]

قلـتُ: وذي الحُرمـة بالعُـروضِ[9] ... موصوفـةٌ فاشـكر لـذي القَريضِ

---

(1) في الحاشية: قوله بالسُّنَن، أي الطريقة الموصلة إلى ما استدلَّ به حين بلغهم إفتاؤه فرجع عن ذلك.

(2) وهذه إشارة فريدة إلى أنَّ الشرف العِمريطي رجع عن مقالته في التحريم بدعوة الشيخ البكري له وشربه القهوة عنده، رحمهم الله جميعًا، والله أعلم بحقيقة الأمر.

(3) في الحاشية: قوله مُسجَلاً: أي مُطلقًا، بل قيَّدوها بما ذكره النَّاظم رحمه الله تعالى.

(4) في الأصل: بل أن تكون تدار للندمان، وهو مكسور، وصوابه ما أثبت.

(5) الحِجْر: العقل.

(6) هكذا في الأصل، والشطر مكسور. وأضفتُ ما يقيم المعنى.

(7) في الحاشية: اعلم أنَّ حرمتها على السَّوداوي في حال برودتها، وبالعكس على الصفراوي. قلت: السوداوي هو الذي تغلب عليه السوداء (إفرازة الطحال)، والصفراوي الذي تغلب عليه الصفراء (إفراز المرارة)، وهما من الأخلاط الأربعة (الصفراء والسوداء والبلغم والدم) التي كان يعتقد الأطباء قديمًا بوجودها في كل إنسان، ويؤدي اتزانها إلى الصحة العامة، والصفراء (عصارة المرارة) وهي حارة يابسة، لذلك يُعتقد أن القهوة إذا كانت حارة يابسة فإنها تزيد من هذا المزاج المُضرّ. ثمَّ السوداء (عصارة الطحال) وطبعها بارد يابس فتزيده القهوة اليابسة الباردة سوءًا.

(8) أظنه تأنيث السِّباب: أي الشتم.

(9) أي ما يَعرِضُ للقهوة من صفات، لا من ذات القهوة.

ولـم أرَى مـن قـال بالتَّنجيـسِ   سِوى الإمـامِ الحافـظِ الرَّئيـسِ
الهيتمـيِّ شـارحِ العُبـابِ[1]   وليـسَ ذا فـي حَيِّـزِ الصَّـوابِ[2]
إذ قـد أجـازَ مـن لـه قـد سـاوى   شـهابنا الرَّملـيُّ فـي الفتـاوى[3]

---

(1) يقصدُ كتاب «العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب» لأحمد بن عمر المزجَّد الشافعي (ت 930 هـ).

(2) في الحاشية: أي في آخر باب النجاسات من شرح العُباب. قلتُ: وقفتُ على باب النجاسات، في مخطوطة شرح العباب لابن حجر الهيتمي الشافعي، نسخة جامعة الملك سعود، رقم 5541، فلم أجد ما نسبه الناظم لابن حجر الهيتمي من قوله بنجاسة القهوة، وقصارى ما قاله بعد الكلام عن الخمر: «فائدة في القهوة: حدث قبيل هذا القرن العاشر شرابٌ يتخذ من قشر البن، نبتٌ يجلب من نواحي زيلع باليمن، يسمى ذلك الشراب بالقهوة، فطال الاختلاف فيها حِلًّا وطهارةً وضِدهما، فمن مفرط يفتي بالإسكار وبالنجاسة نظرا إلى أنها تورث نشاطا وضراوة تؤثر في البدن عند تركها. ومن مفرِّط يفتي بأن شربها قربة فضلا عن الحل والطهارة؛ نظرا إلى أنها تزيل ما في النفس من فتور وكسل وتعين على السهر في العبادات. والحق في ذلك كله أنه لا إسكار فيها ولا تخدير، وإنما الذي فيها أنَّها تورث ضررا أو انحرافا في كثير من الأمزجة حتى تخرج عن حد الاعتدال شرعا وعرفا، بل وربما أضرت ببعضها؛ لمضادتها لطبعها من البرودة واليبوسة. وفيها أيضًا أنَّ من أدمن عليها لا يمكنه غالبًا تركها؛ كمتعاطي نحو الأفيون. وأنت خبيرٌ بأنَّ هذا كله لا يوجب تحريمها لذاتها؛ لأن مناط التحريم التأثير في العقل أو البدن، فحيث انتفى التأثير فيها عن شيءٍ = حلَّ. وكونها تورث ذلك، ليس لذاتها كما يقطع بذلك من سبر حال أهلها، وإنما هو تارة من مخالطة من لا خلاق له منهم، وتارة من ضمِّ بعض المخدرات إليها كما أخبر بذلك الجمُّ الغفير منهم وعنهم، وحصول الضرر بتركها لا يقتضي حرمتها؛ لأن ذلك يوجد من كثير من المباحات، بل والطيبات، ألا ترى إلى قول عمر رضي الله عنه، في اللحم أنَّ له ضراوة كضراوة الخمر؟ والحاصل أن ذاتها مباحة ما لم يقترن بها عارضٌ يقتضي التحريم؛ كإدارتها على هيئة الخمر المخصوصة بها، بخلاف مجرد الإدارة؛ فإنه لا حرمة فيها، فقد أدار النبي ﷺ على أصحابه اللبن، وكاستعمال المخدر معها، وكاستعمالها لمن لا توافق طبعه، ويجمع ذلك ما نُقل عن المصنِّف [أي المزجَّد صاحب العباب] من أنه استُفتي عنها، فقال: قد تكون وسيلة للخير تارة، وللشر أخرى، وللوسائل حكم المقاصد، أي فإن قُصدت للإعانة على قربة كانت قربة، أو مباح كانت مباحة، أو مكروه كانت مكروهة، أو حرامًا كانت حرامًا. ونقل بعض العلماء عن العالم الرباني زَرُّوق المغربي المالكي، أنه قال: لا إسكار فيها، وإنما فيها ضرر ببدن أو عقل ذي السوداء والصفراء، وبما تقرَّر علم أن الحزم لكل ذي مروءة ودين، اجتنابها واجتناب مخالطة أهلها؛ لفساد أقوالهم وأحوالهم واشتمالهم على قبائح لا تخفى على ذي بصيرة، اللهم إلا لضرورة شرعية. ومن ثمَّ نقل لي بعض الثقات الأفاضل عن شيخنا شيخ الإسلام وخاتمة المحققين زكريا، أنه كان يشربها للباسور، وأنَّ ذلك المخبر كان يحضِّرها للشيخ لذلك، وأنه قيل للشيخ أنَّ من الناس من يزعم إسكارها، فسفَّه ذلك القول وشنَّع على قائله». انظر: شرح العباب - خ، لوحة 48.

(3) في الحاشية: أي في باب الأشربة، ونقل عن علماء اليمن جواز ذلك، رحمه الله تعالى

انتهى. قلتُ: ونصُّ فتواه: «يحل شربها؛ لأن الأصل في الأعيان الحل؛ لأنها مخلوقة لمنافع العباد ولآية (قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما) [الأنعام: 145]؛ ولأنها غير مسكرة ولا مخدرة فقد أخبرني جمع ممن أثق بهم من طلبة العلم ممن استعملها أنها لا تسكر ولا تخدر ويقدم إخبار الجم الغفير على إخبار العدد القليل، وإخبار مستعملها على إخبار غيرهم ولا يصح قياسها على غيرها في التحريم إلا إن وجد فيها علة حكم المقيس عليه من إسكار أو تخدير أو إضرار، وقد تقدم أن ذلك غير موجود فيها ثم رأيت فتوى لبعض علماء اليمن وهو القاضي أحمد بن عمر المزجد اليمني أنها لا تغير العقل، وإنما يحصل بها نشاط، وروحنة وطيب خاطر لا ينشأ عنه ضرر بل ربما كان معونة على زيادة العمل فيتجه أن لها حكمه فإن كان ذلك العمل طاعة فتناولها طاعة أو مباحا فمباح فإن للوسائل

الشُّربَ في ضِمنِ جوابٍ حرَّرَه ... وذا يُنافي أنَّها مُستَقذَرَة

وكيفَ والجُلَّةُ من أهلِ اليَمَنْ ... من كلِّ جِهباذٍ[1] نبيلٍ قد فَطَنْ

أباحه من غيرِ تفصيلٍ وَرَدْ ... فاشرب ولا تخشى انتقادًا من أحد

وما رَوَوه من فوائدٍ لها ... تَزيدُ عن حَصْرٍ فكن مُنتبهًا

فقد روى محمدُ بن سينا ... في طِبِّه أنَّ الذي يأتينا

من وادي الحُبْشِ وأرضِ زَيْلَعِ ... يُسمَى بِبُنْكٍ في لسان ذَيْنِ عِ[2]

وقد شُهِرْ بالبُنِّ في ذا الوادي ... ونفعُهُ قد زاد عن تِعدادِ

فمنه هضمُ الأكل والقَطْعُ لِما ... تدمعه العينان حقًّا فاعلما

ومُحرِقٌ لِبَلْغَمٍ مستأصِلِ ... وقاطعُ الباسورِ فاسمعْ واعقلِ

وشُربُه مطيِّبٌ للنَّكهةِ ... وقيل أيضًا: مُنعِشٌ للمعدةِ

وقد رأيتُ للفتى الجبرتي[3] ... في فضله ما ذا تراه يأتي

يَزيدُ في العين ضياءً وكذا ... يُزَكِّ فَهمَ الشَّخصِ حقًّا فاحوِ ذا

ونفعه أيضًا لشرحِ الصَّدرِ ... ويُفرج الهمَّ ويمحو الجَذْري

واحرِص على بعضِ الحُبوب يا فتى ... فإنَّها حِرزٌ على ما ثَبَتَا[4]

في منعها من حيَّةٍ وعقربِ ... وسائر الهوام فاسلك مذهبي

وقد حكى العلّامةُ الرُّدَيْني ... ولم أرَه لغيره بعيني[5]

حكم المقاصد». انظر: فتاوى الرملي (4/ 38)

(1) الجِهبِذ والجِهباذ: الناقد الخبير.

(2) عِ: فعل أمرٍ من الثلاثي وعى.

(3) في الحاشية: قوله الجبرتي، هو السيد أحمد الجبرتي، الفاضل الجليل، ألَّفَ رِسالة في خصوص ذلك.

(4) في الحاشية: قوله: «واحرص إلى آخره.» بأن يكون الحِرصُ على سبعِ حبّاتٍ في فما فوق، بشرط أن تكون قبل القلي بالنار كما صرَّحَ بذلك بعض المحققين

انتهى. قلتُ: لا أصل لهذا الكلام.

(5) في الحاشية: قوله: الرُّديني، هو سيدي عُمر، في رسالةٍ ألَّفها في خصوص ذلك، ويكون بعد القلي والسَّحق

بأنَّـه يُذكَّـرُ الشَّـهادة عنـد حُصـول المـوت ذا أفـاده
ذا إنْ يكُـن أكلًا علـى مـا شُـرِطا عليـكَ بالمذكـور لا تُفرِّطـا[1]
ومـا خـلا يُغنيـكَ عـن أسـفارِ قـد أُلِّفَـتْ فيهـا بـلا إنـكارِ
جانبـتُ فيـه البَسـط والتَّطويـلا ولـم أخـفْ مـن جاهـلٍ تعويـلا
هـذا الـذي رأيتُـه منصوصـا عـن جُـلِّ أهـلِ الفضل كُـن حريصا

انتهى مبحث القهوة في المنظومة، ثمَّ شرع الناظم في تبيين حكم الدخان، وليس داخلًا في شرط الكتاب، فتركتُه.

الجيِّد، انتهى، رحمه الله تعالى.

(1) في الأصل: لكن يكون أكلاً على ما شُرطا ولا يخفى انكساره، وصوَّبته فيما أثبت.

«منظومة في آداب القهوة»*
للشيخ أحمد العناياتي[1]

قال - رحمه الله -: [الرَّجَز]

فدتكَ روحي هاكَ دُرّ الأدبِ ... في قهوةٍ كالمسكِ لا كالذَّهبِ

جاءتْ على خَدِّ المُدامةِ شامةْ ... وشاركتْها في اسمِها علامةْ

قد نَشرتْ من عنبرٍ مَطارفا ... تَعرِفُ بالمسكِ الزكيِّ العارفا

بِلالُها لها أقام ذكرا ... فأسمعَ البرَّ بها والبحرا

جاءتك في ملابس الخلافةْ[2] ... فظهرتْ وأخفتِ السُّلافةْ[3]

فمرحبًا بالمقلةِ السَّوداءِ ... وليلةِ الوَصلِ بلا خفاءِ

لأنتِ في منزلة السُّويدا[4] ... من قلبِ من صيَّرتِهِ عُبيدًا

كأنَّما أنظر منها خالا ... ولَعَسًا[5] بين الشِّفاه سالا

كأنَّما صينيُّها والسُّبُجَا ... غُرَّةُ صُبحٍ تحت أذيالِ الدُّجى[6]

كأنَّها في حالة الغليانِ ... تجعُّدٌ في أوجه السُّودانِ

حفيظةٌ على الدُّجى أمينةْ ... ترى العدا بمقلةٍ سَخينةْ

---

* مجهول، مجموع شعري مخطوط بالمكتبة الوطنية بفرنسا، رقم (Arabe 3418) لوحة 215.

(1) أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم النابلسي العناياتي، شاعر أديب، ولد بمكة سنة 932 هـ اشتهر بالعناياتي نسبة للقب أبيه. واستقر بدمشق وأقام مرة في جامع هشام بن عبد الملك جهة سوق جقمق، م سكن المدرسة البادرائية، فجاور بها في إحدى حجراتها حتى توفي سنة 1014هـ له: ديوان شعر، وله «الدرر المضيَّة في الأدب والأخلاق المرضيَّة» وله منظومة في آداب القهوة (التي بين أيدينا). انظر ترجمته: ريحانة الألبا (17/ 1)، وتراجم الأعيان (92/ 1)، وخلاصة الأثر (166/ 1)، ولطف السمر (280/ 1).

(2) أي جاءت بالسواد، وهو اللون الذي اتخذه العباسيون شعارًا لخلافتهم، حتى لُقِّبوا بالمسوِّدة.

(3) السُّلافة: اسم من أسماء الخمر.

(4) السُّويداء: أعمق أعماق القلب، وقيل علقة سوداء في أعمق القلب.

(5) اللعس: سواد إلى حُمْرة في الشَّفة أو اللثة، وكانت العرب تستملحه.

(6) الصيني: فنجان القهوة، ويُنسب للصين. السُّبُج: جمع سُبجة، وهي الكساء الأسود. الدُّجى: الظلام.

مـا قـال مَـن قَبْـل جَهـرًا فاهـا ... مِـن ألـم الحـدود[1] يومًـا: آهـا

عَصيتُ فيهـا لاحيًـا[2] سَـفيها ... ولـم أزل طَـوْع الصَّديـق فيهـا

قـد خُسِـفَ البـدر ليحكـي وجههـا ... والمسـكُ أغلى مـا يكون شِـبْهَها

كأنَّهـا مـن قبـلِ أن تُحمَّصـا ... وقبـلَ أن تُطْحَـنَ شِـبهًا مُخلَصَـا

فيـروزجٌ فـي ذهـبٍ فـي عنبـرِ ... كأخضـرٍ فـي أصفـرٍ فـي أسـمرِ

تَكْنِسُ من بيت الجسـوم بَلْغمًا ... لـو أن بُقـراطَ رآهـا أخْجَمـا

عَـدوّةُ الباسـورِ لا تـراه ... إلا وسـيفُ طَبْعهـا بَـرَاه[3]

تجمـع بيـن الحِـبِّ والمحبـوبِ ... كأنَّهـا مـن حَبَّـة القلـوبِ

حاناتهـا دخولهـا مبـاحُ ... ليـس علـى داخلهـا جُنـاحُ

قـد أجمـعَ النَّـاس على تحليلها ... كثيرِهـا فـي الشُّـرب أو قليلهـا

حَـلَّ أبـو الفتـحِ الإمـامُ المالكـي ... شـاربَها فـي أفسـحِ المسـالكِ

وحلَّهـا إنسـانُ عَيـن مِصـرِ ... فـي الصَّـدر مولانـا الهُمَام البكـري[4]

وجُلَّـةٌ مـن علمـاءِ العصـرِ ... قـد شـربوها فـي العِشـا والفجـرِ

وضَـلَّ فيهـا معشـرٌ وخبَّطـوا ... وللشـفا حَلُّـوا بهـا مـا رَبطـوا

ورجعـوا عـن منهـج الغِوايـةْ ... ودخلـوا فـي طُـرُقِ الهدايـةِ

ومعشـرٌ قـد صمَّمـوا جهالـةْ ... بالقـولِ فـي تحريمهـا ضَلالـةْ

ويحسـبُوها أنَّهـا تُخِـلُّ ... بالعقـلِ لا واللـه بـل تُجِـلُّ

---

(1) الحدُّ: في اللغة الفصل، ولعل الناظم يقصد الحدَّ في الاصطلاح الشرعي: عقوبة مقدرة شرعًا.

(2) المُلاحاة: التنازع، والتشاتم.

(3) برى: نحت وقطع.

(4) هو الإمام محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي الشافعي (ت 998 هـ)، وله في القهوة قصائد وأشعار، وكلا كان والده الإمام أبو الحسن البكري (ت 952 هـ) من المبيحين للقهوة.

وجعلوهـا تَجْلِـبُ السُّـهادا　　وخيَّلوهـا تطـرق الرُّقـادا
بـل تُنْضِـجُ البلاغِـمَ المسـوَّمةْ　　وتَدفـع الرطوبـةَ المحكَّمَـةْ
فيَحْسَـبُ الشَّـخصُ لخفَّـةِ الجسـدْ　　بلطفهـا أنَّ المنـامَ قـد شَـرَدْ
لا يعرفـونَ لـذَّة المطالعـةْ　　ولا يَـرون الشَّـمسَ وهـي طالعةْ
لنـوم أجسـامِهِمُ المكثَّفـةْ　　كأنَّمـا أعظامهـمُ مكتَّفـةْ[1]
ومعشـرًا جـاؤوا طريقًـا أخـرى　　والشـرب بالإبريـق قالـوا أحرى
قالـوا بـأنَّ الشُّـرب بالمناولـةْ　　كالخمـر واهًـا لـو صفقتَ[2] قائلةْ
فقـل لـه: يـا أحمـقَ البريَّـةْ　　مرجـع مـا ذكرتَـه للنيَّـةْ
قـد ذُكِـرَتْ مقالـةٌ وفيَّـةْ　　فاسـتقرِها فـي الكتـب الفقهيَّـةْ
فخـذ لآذانـك مـن خِـرْصٍ[3] الطِّـلا　　خُرْصِـا يـروقُ كالحلي فـي الطِّلا
فـإنَّـه لـصَـدَفِ الآذان　　كاللؤلـؤ المثمـون والمرجـان
مُـلَـخَّـصًا مـبيَّـنًا مـفـصَّـلًا　　مجمَّـلًا مـن البديـع مُجمـلًا

***

إنَّ المـدامَ القرقـفُ الحـرامُ[4]　　أجمـعَ فـي تحريمهـا الإسـلامُ[5]
مُخطِـرةٌ مُحضِـرةٌ للشَّـرِّ　　أمُّ البـلا وأصـلُ كلِّ وِزْرِ
تجمـعُ بيـن الـرأسِ والصـداعِ　　والشَّـرُّ فيهـا كاشـفُ القِنـاعِ[6]

(1) كتِّفَ: إذا شدَّ يديه من خلفه بالكِتاف. والكتاف الحبل (اللسان: كتف)
(2) الصَّفق: الضرب. (اللسان: صفق).
(3) الخِرص: بالكسر الدَّنُّ، وعاء الخمر.
(4) خبرُ إنَّ مرفوع. والحرام صفة للقرقف، تتبع موصوفها.
(5) هذا البيت وما يليه من أبياتٍ في ذمّ الخمر، لم يُثبتها العلامة عيسى إسكندر المعلوف في نشرته للمنظومة!
(6) في الأصل: سر بينها كاشفَ القناع، ولا يستقيم.

تُلبِسُ حاسيها ثيابَ الحَمْدُ مسهَّمًا بالوشيِ وشيِ الجِلدِ
وجوه أعراضهم مشوَّهةْ وألسُنُ الذَّمِّ لهم مفوَّهةْ
فلا تكن لخزيهم بالنَّاسي وذكرِهم بالعارِ بين النَّاسِ
والآن صفْ النَّفس للوصفِ الحَسَنْ في قهوةِ الأستاذِ؛ أي أبي الحسنْ
والعيدروسُ المنتقى أجلَّها وابن المساوى المعتلي أحلَّها
ترى على شاربها وقارا وما أتى من يحتسيها عارا
ما أحدثتْ إلا شفاءَ السَّقَمِ مِن مَغصٍ أو ثِقَلٍ أو بلغَمِ
إن كنتَ صاحِ عاشقَ النُّصَّاحِ فلا تمِلْ عن شُربها يا صاحِ
ادخلْ إلى القهوةِ بالسكونِ واجلس جلوسَ العاقلِ الرَّزينِ
فإن أتاكَ المسكُ في الزَّبادِي يضوِّعُ النَّدَّ[1] بكلِّ نادِ
تناول الفِنجان باليمينِ فإنها من سنَّة الأمينِ
ولا تعاطي من يليكَ حتَّى تكون منها ثُلثَها شربتَا
فعاطِه بعدَ فتورِ حَرِّها تأمنْ على شِفاهه من ضُرِّها
فربَّما رفعتها إليهِ ملآنةً تبدَّدَتْ عليهِ
فانقلبتْ حُسناكَ بالإساءةْ وضَرَّ ما فعلتَه وساءةْ
وإن رأيتَ صاحبًا من بُعدِ فلا تُشِر بالرأس [لا][2] ولا اليدِ
لأنه مشتغلٌ بصَحبِهْ في ذلك الوقت فلا تَصِح بهْ
فربما تُوهِم شخصًا عنده أنَّ إشاراتِكَ كانتْ قَصدَه
فتَحدُثُ الخَجْلةُ في الإثنين فغضَّ عن ذلك طرفَ العينِ

(1) النَّد: الطِّيبُ (اللسان: ندد)
(2) وضعتها لتقيم الوزن.

هـذا كلامـي إن دخلـتَ مفـردا   وإن تكونـوا فـي الدُّخـول عـددا
إيَّـاكَ أن تبـدأ فـي حكايـةْ   بـاردةٍ فإنَّهـا نِكايـةْ
ولا تُشـهِّي بينهـم طعامًـا   ولا تقـل قهوتهـم مثـلُ المـا
وإن تُـرد تُخـرِج حـقَّ القهـوةْ   لا تبـذُرِ الكيـسَ لتـروي نـزوةْ
فإنَّهـا سَـخافة وخِفَّـة   وتركهـا كِياسـةٌ وعِفَّـةْ
ولا تقـل: قومـوا بنـا ولا تقـلْ   لهـم إذا قامـوا اقعـدوا ولا تقـلْ
عنـدَ فـلانٍ قهـوةٌ مليحـةْ   فإنَّهـا مذمَّـةٌ صريحـةْ
وإن يكـن فـي قهـوةٍ غِنـاءُ   وآلـةٌ مـا عنهـم غَنـاءُ
لا تجلسـوا بالقصـدِ فـي مكانهـم   لتأمنـوا العثـرةَ مـن لسـانهم
ولا تَسَـلهُمُ اعملـوا عُشَّـاقا   ولا حجـازًا لا ولا عِراقـا[1]
فلـن تـرى أحلى مـن البَسْـطِ صُدَف   فـإنَّ أهـل الفـنِّ عندهـم صَلَـف
فربّمـا لـم يعملـوا مـا قلتَـه   ولا رأوا ذاكَ الأوانَ وقتَـه
فقـد خجِلـتَ ثـمَّ فاتـك الطَّـرَبْ   وربَّمـا عاديتَهَـم بـلا سـببْ
ولا تصفِّـقْ بينهـم فتُحْرَجَـا   ولـم يكـن مـن ذاك قَـطُّ أسـمجا
ومـن يقـلْ: أحسـنتَ للمغنِّـي   مـن قبـل أن يخلُـصَ ليـسَ منّـي
وإن تكلَّمْـتَ إذا يغنُّـوا   فليـسَ فـي عقلـك إلا وهـنُ
وإن تَركـتَ فـي الثَّـرى نعليـكَ   أخلفهـا اللـه إذن عليـكَ
كـم بدَّلـوا جديـدةً عتيقـةْ   وقـد غَـدَتْ مـن رِجلـه عَتيقـةْ
وكـن حليمًـا إن رأيـت زلَّـةْ   كمـا علمـتَ فالكمـال للّـه
حمـدًا لـه فـي باطـنٍ وظاهـرِ   ومَـن لـه فـي أولٍ وآخـرِ

(1) في الأصل: ولا تسألهم، يكسر الشطر. والعُشّاق، والحجاز والعراق: مقامات موسيقية شرقية.

«أرجوزة القمحاوي في القهوة»*
لمحمد القمحاوي[1]

قال – رحمه الله – : [الرَّجَز]

يقول راجي اللهَ في المساوي ... يغفِرُها، محمَّدُ القمحاوي

الحمد لله العظيمِ المَنِّ ... بفضله أباح شُربَ البُنِّ

مصلِّيًا على النبيِّ الشافعِ ... من جاء بالدين الحنيف الواسعِ

أباحَ كلَّ بدعةٍ مُستحسنةْ ... كالبُنِّ مع إيقاظِنا من السِّنَةْ

وبعدُ ذي رِسالةٌ قليلةْ ... ضمنتُها الفوائدَ الجليلةْ

مما أتى في قهوةٍ وحَبِّها ... وشُربِها وحُكْمِها فانتبِها

فتُحمَدُ القهوةُ عندي إنَّها ... من الجِنان قاله أهلُ النُّهى[2]

فلازِمِ الشُّربَ بغير نُكرِ ... لها صباحًا ثمَّ وقتَ العصرِ

وأيَّ وقتٍ وتجاوز حَدًّا ... في شربها ولا تخافَ حَدًّا

وإن تعدَّى أحدٌ ولاما ... في شُربها منه اطرحِ الكلاما

وعند أهلِ الخُلدِ في الجنانِ ... قالوا: تُسمَّى شجرة السُّلوانِ

---

* الأرجوزة مستلة من مخطوط نزهة الإخوان في القهوة والدخان» لمحمد القمحاوي، نسخة مخطوط مكتبة جوته، رقم Ms. orient. A 2105

(1) محمد القمحاوي، فاضلٌ مصري، وأديب من أهل القرن الثاني عشر الهجري، كان من تلاميذ الشيخ عيسى بن أحمد البراوي الأزهري (ت 1182 هـ) ذكر ذلك في رسالته: «نزهة الإخوان في القهوة والدخان». ولم أقف له على ترجمة مستقلة، اللهم بعض الإشارات عن حياته وعصره في طيّات رسالته.

(2) قد مرّ معنا الكلام عن أنّ هذه القولة مروية عن أبي القاسم الجنيد المشرع الزبيدي، نقلها الشيخ علوان الحموي (ت 936 هـ) في «السر المكنون»، ثم نقلها عنه الأجهوري في «مقدمة في فضل البن». والخبر المروي لا أصل له، بل هو من تأليفات بعض الصوفيّة، تعصُّبًا للقهوة. والله أعلم.

ونزلتْ معْ آدمٍ أبي البشرْ　　　رواه شيخنا البراوِيْ[1] وانتشرْ[2]

سبعونَ ألفَ مَلَكٍ قد اعتنى　　　بغرْسها وذا بشأنها اعتِنا[3]

كذا اعتنى بشربها الأكابر　　　من الخواص وكذا الأصاغر

وقد أتى في شُربِها خِلافُ　　　وليس في تحريمها إنصافُ

ممن رأي تحريمها العِمريطي[4]　　　كذا ابنُ عبد الحقِّ[5] بالتشطيطِ

ردَّهما العلامة الدَّميري[6]　　　أنعم به من عالمٍ نحريرِ

ونحو هذا القولِ للبكريِّ　　　أنعم به من عالِمٍ مرضيِّ

ويمكنُ الحملُ على الإدارةِ　　　كخمرٍ أو مع أمردٍ أو نسوةِ

وقيل تَحْرُمُ على الفقيرِ　　　كخلطِ مفسداتٍ يا سميري

كذا اجتماعُ نفرٍ لشُربِها　　　ليسمعوا الغيبة [كنْ متبها][7]

---

(1) الشيخ عيسى بن أحمد بن عيسى بن محمد الزبيري البراوي الأزهري: فاضل مصري، من فقهاء الشافعية. تعلم بالأزهر، له كتب، منها « التيسير لحل ألفاظ الجامع الصغير – خ » و « حاشية على شرح جوهرة التوحيد » لإبراهيم اللقاني، وتوفي بالقاهرة سنة 1182هـ. انظر: الأعلام (100/ 5)، و سلك الدرر (273/ 3).

(2) أمّا نزولها مع آدم فقد

(3) نقله عن الشيخ علوان الحموي (ت936هـ) من رسالته: «السرّ المكنون في مدح البون»، وهو يرويها عن أبي القاسم الجُنيد، والقصة لا أصل لها، بل هي من تأليفات بعض الصوفيّة، تعصُّبًا للقهوة.

(4) يحيى بن نور الدين أبي الخير بن موسى العِمريطي الشافعيّ الأنصاري الأزهري، شرف الدين. عُرف بموقفه المناهض للقهوة، تابع في ذلك الشيخ أحمد بن عبد الحقّ السّنباطي الشافعي، والشيخ يونس العيثاوي الشافعي، رحمهم الله جميعًا. مرَّ بنا نظمه «المقدمة المنصورة في حكم القهوة المشهورة».

(5) هو أحمد بن عبد الحق بن محمد السنباطي الشافعي ، شهاب الدين، الشيخ الإمام العالم العلامة، الواعظ بجامع الأزهر. عُرف بموقفه المتشدد من القهوة، وله رسالة في تحريمها، وردَّ عليه جماعة من العلماء. توفي سنة 950 هـ. انظر: الكواكب السائرة (112/ 2)

(6) الدميري المقصود هو شرفُ الدين يحيى بن إبراهيم بن عمر الدميري (ت 939هـ) كما في «عمدة الصفوة» للجزيري، وكان من الموقعين على المحضر الذي رُفع إلى السلطان قانصوه الغوري سنة 917هـ، وهو مُشكلٌ إذا قصدَ الناظم أن الدميري ردَّ على العمريطي أو السنباطي على وجه الخصوص، فالدميري توفيّ سنة 939هـ والسنباطي توفي سنة 950هـ والعمريطي توفِّي بعد سنة 989هـ وعليه فبين الرجلين زمانٌ لا يتحصَّل فيه أن يكتب العمريطي منظومته فيطالعها الدميري، فضلًا عن أن يردَّ عليها، والراجح أنّه يقصد أنَّ الدميري ردَّ على الشبه التي تعلّق بها العمريطي في التحريم، وقد كانت مدار تحريم من كان قبله ممن حرَّمها من العلماء، والله أعلم.

(7) في الأصل: فانتبها، ولا تستقيم مع الوزن. فأصلحتها بما يناسب المعنى، والله أعلم.

ومثلُ ذا تصفيقهم مع الطَّرَبْ لشربها على الصَّحيح المنتخبْ
كذا تُحرَّمُ على الصَّفراوي لضُرِّها له كذا السَّوداوي
وقد حوت ضدّين[1] في شرابها حرارةَ الذَّوق وبردَ طبعِها
واسمها البُنْك بأرضِ الزَّيلعِ والبُنُّ في بلادنا فاسمع وعِ
لِما أتى لها من الفوائدِ والفضلِ والنَّفعِ العظيمِ الزَّائدِ
فوائدُ المِسواك نحو المئةِ فيها وذا عن شيخِنا فاستثبتِ
وتُذهِبُ الفتورَ كالصداعِ وتمنعُ القيءَ بلا نِزاعِ
وتُنبت الشَّهوةَ للغذاءِ وتُذهِبُ القولونج شرَّ داءِ
تمنعُ من أبخرةٍ رديئةِ وتقطع الدمَّ من المقعدةِ[2]
وإن يكُنْ ريحٌ كَمينٌ في الحَشا يُذهِبُه البُنُّ إذا الإله شا
تمنعُ أيضًا بعضَ أنواعِ الرَّمدْ كما أتى عن شيخنا فليُعتَمَدْ
تُذهبُ أيضًا جَرَبَ الجفونِ وكلُّ ذا من سِرِّها المصونِ
تصفيةُ الحواسِ من كلِّ كَدَرْ مُجَرَّبٌ بشُربها وذا اشتهرْ
وهَضمُ أكلٍ ثُمَّ قطعُ الدّمعةِ وقطعُ باسورٍ وطِيبُ النَّكهةِ
تزيدُ في الفَهْمِ ونورِ العَيْنِ وتُذهِبُ الغَمَّ بغيرِ مَيْنِ
والهَمَّ والأحزانَ والنومَ كَمَنْ رامَ عبادةَ الإلهِ فاعلمنْ
ومن به داءٌ، ويقرا الفاتحةْ بنِيَّةٍ حالَ الشَّرابِ صالحةْ
ثُمَّ يقلْ: ثواب ذا للشاذلي[3] يبرا على رَغْم الحسودِ العاذلِ

---

(1) في الأصل: ضدان، والصواب ما أُثبتَ مُصححًا.

(2) في الأصل: وتمنع الأبخرة الرديئة، وفيه تخالف قافية الشطر الأول قافية الثاني، وهذا خارج عن شرط الأراجيز التي يوافق فيها الصدرُ العجزَ في القافية، فصوَّبتها بما أمكن.

(3) يقصد الشيخ علي بن عمر الشاذلي (ت 828 هـ)، محدِث القهوة. وكان من عادة الصوفيَّة في اليمن أن يرتِّبوا

وخلـطُ حبِّهـا مـع السُّمَّاقِ ... ينفـعُ للإسـهال باتِّفـاقِ

مـن بعـد تجليبهمـا بالعسـلِ ... والشـربُ منهـا مُذهِـبٌ للكَسَـلِ

وإن تكـنْ [مِـنْ] معـدة مَضرورةْ ... تُجلـي لهـا وتُذهـبُ الضَّـرورةْ

وتشـرح الصَّـدرَ بغيـر مِريـةِ ... وشُـربها يقطـعُ للرطوبـةِ

تُخفِّـفُ البلغَـمَ كالسُّـعالِ ... أو نزلـةٍ.. تـدرُّ للأبـوالِ

ونفعُهـا لحصبـةٍ كالجُـدْرِي ... كـذا الشـري الدمـويِّ فـاذرِ

وفتحهـا لسَـدَدٍ مُجـرَّبُ ... وغليـان الـدَّمِ منهـا يذهـبُ

وحَبُّهـا احفظـه فـإنَّ فيـهِ ... فوائـدًا تُعـرَفُ للنَّبيـهِ

فـي منعـه لعقـربٍ وحيّـةِ ... والسِّـحرِ والهـوام المؤذيـةِ

طلـوعُ روحِ شـاربيها يَسـهُلُ ... كـذا سـؤالُ الملكيـنِ يأفُـلُ[1]

وخيـر مـا فيهـا مـن الإفـادةْ ... تُذكِّـرُ المحتضـرَ الشَّـهادةْ

هـذا الـذي أدركتُـه مـن أمـرِهِ ... ونفعهـا أعجزنـي عـن حصـرِهِ

أبياتهـا عـدَّ حـروفٍ قـد أتَـتْ ... ثُـمَّ بحمـدٍ وصـلاةٍ خُتِمـتْ

فاتحةً لمشايخ القهوة قبل شُربها، وأجلُّ مشايخ القهوة هو محدِثها الشيخ علي بن عمر الشاذلي، فكانوا يُهدونه ثواب الفاتحة، واشتُهر من هذه الفواتح، فاتحة الحبيب أحمد بن محمد المحضار، وتُسمَّى «الفاتحة الصغرى»، وكان الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس يرتِّب ثلاث فواتح قبل قيام الليل وقبل أن يشرب قهوة القيام: الأولى للنبي ﷺ، والثانية لمشايخ القهوة، والثالثة بنيَّة صلاح أمور المسلمين. انظر حلاوة القرطاس (30-31).

(1) عجيب هذا، ولا أصل له، حتَّى وإن قلنا إنَّ ذلك مما يُعرف بالتجربة، فالمجرِّب ميْتٌ فكيف استطاع الإخبار عن تجربته مع سؤال الملكين والأمر غيبي، والغيبيَّات لا تثبت إلا بالنَّص الصحيح!

الموشّحات

موشَّحٌ في القهوة*
لعلي بن ناصر المكي الشافعي[1]

يـا سُـويْقي دَعِ الطِّـلا عنّـي ... والـظـبــا الـنُّـعَّـسِ
يـا سـويقي قهـوة البـن ... راحـــةُ الأنـفــسِ

هاتهـا يـا أخـي صِرفًـا ... بـيـن كـلِّ المــلا
وامـلء الـكاس ثـمَّ عُـد عَطْفًـا ... واتــرك الـعُــذَّلا
لا أبالـي مـن عـارضٍ يُلفَـى ... بـعـد شـربي مَــلا

قهـوةٌ قـد تزيـدُ فـي الذِّهـن ... بـهـجــةُ الـمجلـسِ
تسـتميل النُّفـوس لا يُغنـي ... غـيـرُها فـاتِّـسـي

قـم لهـا يـا نديـمُ مـن باكـرْ ... كــم بـهــا مُـغـرمُ
قـد أبـاح الشُّـربَ فـي الظاهـرْ ... سَـيِّـدٌ ضَـيغَـمُ
لا تُحـرِّم شَـرابها حـاذِرْ ... لـلــورى تَـظْـلِـمُ

لا تكـن بالقيـاس والظَّـنِ ... مُـنـكـرًا أو مُـسـي
فهـي راحٌ تنفـيِ الكـرا عنِّـي ... وشــفــا الأنـفـسِ

---

* اعتمدتُ في إخراج هذه الموشحة على ثلاث نُسَخٍ مخطوطة من كتاب عمدة الصفوة في حِلِّ القهوة للجزيري: نسخة برلين، ونسخة برنستون، ونسخة مركز الملكُ فيصل.

(1) علي بن ناصر المكي، الشيخ، الإمام، العالم أخذ صحيح البخاري عن المسند زين الدين عبد الرحيم المكي الأسيوطي، وعن غيره عن الحجار، وتفقه بالشرف المناوي، انظر: الكواكب السائرة (1/278).

يا سويقي أدرْ على الحضرةْ كاسها في البُكورْ
وارتشف قبلهم ولو مرَّةْ يغدُ عنكَ الفتورْ
ثم يأتي النَّشاطُ بالكَثرةْ ويزيدُ السُّرورْ

سيما بين سادةِ الفَنِّ في دجى الحِنْدِسِ
وأولي الفضل، فاروِ ذا عنِّي في فِنا كَيِّسِ

ما رأينا لحُرمها نصًّا قد أتى في الكتابْ
لا ولا نهيٌ ثمَّ يُستقصى من رفيع الجنابْ
صاحبِ المسجد، النَّبيِّ الأقصى وتستمعْ جَوابْ

إنَّ في ذا بلاغًا دعْ عنِّي قول شاذٍ[1] نُسِي
واسقني ثمَّ عِلَّني إنِّي محسنٌ لا أسِي

قام بالحقِّ ناصرُ الأمَّة ابنُ عبد السلامْ
وأزاح الشُّكوك والغُمَّة جازِمًا بالتزامْ
ليس في شُربها لنا حُرمَة ثَمَّ أفتى الإمامْ

ذا إمامٌ ومحسنُ الظَّنِ مالكيْ مقدسي[2]
عالمُ الشام قدوتي إنِّي برضاه أتَسِّي

(1) تخفيف شاذٍّ بالتشديد، ضرورة.

(2) يقصد الشيخ أبا الفتح، محمد بن عبد السلام المالكي التونسي المقدسي.

موشَّح في القهوة *
لعبد اللطيف بن أبي كثير[1]

قهـوة البـنِّ مَرهـمُ الحُـزنِ وشـفـــا الأنفـــسِ
فهـي تكسـو شـقائقِ الحسـنِ مــن لـهـــا يـحتـســي

شـاذليُّ المخـا لهـا أسَّـسْ وهـــو قُـطــبُ الزَّمـــانْ
ولهـا العيـدروس[2] قـد كيَّـسْ وابــنُ نـاصــر[3] أعـــانْ
والمسـاوى[4] فـي المظهـرِ الأقـدسْ اجتـــلاها عَـيـــانْ

---

* مجموع مخطوط بمكتبة الدولة ببرلين، رقم (Spr. 1966-3)، وعمدة الصفوة، لعبد القادر الجزيري: نسخة برلين (ق 65)، ونسخة برنستون (ق 65)، ونسخة مركز الملك فيصل (ق 64)، والكواكب السائرة (187/ 2)، وشذرات الذهب (404/ 10).

(1) عبد اللطيف بن عبد الله بن أحمد بن أبي كثير (باكثير) المكي الحضرمي الشافعي، زين الدّين، أبو اللطف، أبو بكر. وُلد بمكة المكرمة سنة 912هـ ونشأ في كنف والده العلامة عبد الله بن أحمد، فحفظ البهجة لابن الوردي، وألفية النحو لابن مالك، وشيئًا من جمع الجوامع في الأصول، درس على الحديث على ابن عبد الحق السنباطي، والنحو والمنطق على أحمد بن عبد الغفار المالكي، قدم إلى دمشق سنة 937 هـ فقرأ على ابن طولون الصالحي الشفاء للقاضي عياض، ثمَّ توجه لزيارة السلطان سليم خان، فولّاه قضاء مكة، ونظارة الحرم، ثُمَّ عُزل فعاد لدمشق، ثمَّ توجه إلى مكة للحج رفقة الشيخ أبي الفتح محمد بن عبد السلام المالكي، ومكث بمكة حتى توفي سنة 950 هـ. ذخائر القصر (429)، والكواكب السائرة (2/ 178- 181)، وشذرات الذهب (404/ 10).

(2) هو الشيخ الأستاذ أبو بكر العدني بن عبد الله العيدروس، أحد مشايخ القهوة، إمام صوفيٌّ شهير، وُلد بتريم سنة 851 هـ أقام بعدن 25 سنة، كان شيخًا مطلوبًا مهابًا، وكان كثير الأتباع، يُنسب إليه اكتشاف القهوة (وقد فصلنا في نسبتها للشيخ علي الشاذلي في المقدمة)، له: (الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف) في التصوف، توفِّي بعدن سنة 914 هـ. انظر: مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس للعلامة بَحْرق (10)، والنور السافر (77).

(3) علي بن ناصر المكي، علاء الدين: عالم مكة وواعظها، أخذ صحيح البخاري عن المسند زين الدين عبد الرحيم المكي الأسيوطي، وعن غيره عن الحجار، وتفقه بالشرف المناوي عن وليِّ الدين ابن العراقي عن أبيه عن أبي النعمان عن النووي، ومن مؤلفاته «مختصر المنهاج وشرحه» وله تأليف في الحديث والتفسير والأصول أجاز البرهان العمادي الحلبي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وتسعمائة. لترجمته، انظر: الكواكب السائرة (278/ 1)، وشذرات الذهب (103/ 10). قلتُ: وهو الشيخ الوحيد الذي وقف في وجه الأمير خاير بك سنة 917 هـ في حادثة محضر تحريم القهوة بمكة، فاستطال عليه أهل المجلس، بل كفَّره بعضهم، ورفعوا شأنه للسلطان قانصوه الغوري بمصر ليؤدبه. قال ابن عبد الغفار في دفع الهفوة (ص 14): «أما الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعي مفتي مكة إذّاك ومُدرِّسُها، وواعِظُها؛ فإنه تصدّى لـمُعارضتهم، ولكنه سمع ما لا ينبغي ذكره، بل كفّره بعض أهل المجلس من أجل كلام صدر منه أثناء البحث؛ مع أنه في غاية الصحة لا محيص عنه أصلاً؛ فضْلاً عن أن يترتب عليه أدنى محذور؛ فضْلاً عن الكفر».

(4) في مجموع برلين: المناوي، والصواب ما أثبت. ولعله أحد رجلين، إما أن يكون أبو العباس أحمد بن يحيى

وفحـول اليَمَـنْ أولـو اليُمـنِ كـاسَــها تَـحـتسـى
وشـرابُ العصيرِ والـدَّنِ[1] منـذُ جـاءتْ نُسـي

قـال فيهـا مـا قـال فـي زمـزم[2] شيـخنـا الـعـالِـمُ[3]
ولـذي البـاسـورِ والـهَـمِّ نـفـعُـهـا حـاسـمُ
فـقـل لأمـري لـهـا حـرم أيـهـا الـواهـمُ

أنـت تفتـي بمقتضـى الظَّـنِّ بـك[4] لا نـأتَّسـي
ليـس فيهـا مَـن غايـبُ الذهـنِّ كـطِـلا جِـرجِـسِ[5]

شُـربها بالقيـاس والإجمـاعْ مسـتحـلٌّ مبـاحْ
وهـي تنفـي ضرائـر الإشـباعْ والـكـرى[6] والرِّيـاحْ
وتفيـدُ الحـواسَّ والأسْـماعْ طـربًـا وارتـيـاحْ

المساوى، كان من أصحاب الشيخ علي بن عمر الشاذلي (مُحدثِ القهوة)، وكان يزوره في المخا، توفي سنة 841 هـ أو أن يكون الشيخ أحمد المساوى بن أبي بكر العيدروس (مشيع القهوة البنية في قطر عدن)، توفي بمكة عام 922 هـ

(1) الدَّن: جرّة عظيمةٌ يحُفظ فيها الخمر. وشراب العصير والدَّن: الخمر.

(2) يقصد حديث جابر بن عبد الله، الذي أخرجه ابن ماجه (3062): «ماء زمزم لما شُرِبَ له».

(3) فقد نُسب لمُحدث القهوة، الشيخ علي بن عمر الشاذلي (ت 828 هـ) في الزهر الباسم عبارة: «قهوتنا لما شُربت له»، ونسبت عبارة «القهوة لما نُويتْ له» للشيخ أبي بكر بن سالم (ت 929 هـ)، انظر: أغلى الجواهر المنتقى من تراجم حاوي جميع المفاخر (103). وخرَّجها الجزيري على أنَّ الوسائل تأخذ حكم المقاصد، انظر: عمدة الصفوة (208).

(4) في مجموع برلين: لك.

(5) في مجموع برلين: غير من كان غايب الذهن

من طلا جرجس. الطلاء: الخمر. وجرجس: في العربية، صغار البعوض. وهو اسمٌ مشهور في الثقافة المسيحية، وربما كان صنّاع الخمر بالشام من النصارى، لذلك نُسب لعلم مسيحي شهير.

(6) الكرى: النعاس.

فاجـل لـي فـي مجالـس الأمـنِ كـأسـهــا الحِـنْـدِسـي[1]
وأدِرهـا علـى أولـي[2] فنِّـي سُـخـنــةَ الـمـلـمـسِ

قـل لمـن شُـربه لهـا مِلَّـةْ ويـصيــبُ الصَّــوابْ
اجتلـي[3] كأسـها على اسمِ الله واتـــلُ أمَّ الـكِـتــابْ
ثـمَّ صلِّـي علـى رسـول اللـه واحـتـسـيـها تُـثـابْ

ثـمَّ صَفِّـقِ إن شـئتَ أو غـنِّ وافـــتِ أو درِّسِ
واتَّبـعْ مـا دعـا إلـى الحُسْـنِ واجـتـنـبْ مـا يُـسِـي

كـم رئـي وَسْـطَ حانهـا عاكـفْ[4] وحَـظـيْ بـالـمـرامْ
وتغالـى فـي نَعتِهـا الواصـفْ حَـبْـرُ أهـلِ الـشَّـآم[5]
الإمـامُ المحقِّـقُ العـارفْ قدوتـي فـي الـكَلام[6]

جـاء فـي نَعتِهـا بمـا يُغنِـي عـن لـمـى الألـعـسِ[7]
جـاءَ بـادٍ وجئـتُ مسـتثنِيْ عـلّـنـي أتـسـي

---

(1) الحِنْدِس: الظُّلمة (اللسان: حندس).

(2) في عمدة الصفوة - خ (برنستون - برلين - الملك فيصل): عل من في فنّى.

(3) الإشباع للضرورة.

(4) في جميع النُّسخ، عدا مجموع برلين: لم أرَ قط عاكفًا عاكف.

(5) في جميع النُّسخ، عدا مجموع برلين: غير أهل الشام.

(6) يقصد الشيخ أبا الفتح محمد بن عبد السلام المالكي.

(7) اللمى: مقصور، سُمْرة الشفَتين واللِّثاتِ يُستحسن. واللّعس: مثله، سواد في اللثة والشفتين، والفاعل منه ألعس.

ولقد نلتُ غايةَ المطلوبْ وطلبتُ المزيدْ

منذُ وافى إليَّ بالمكتوبْ المقامُ السَّعيدْ

وترشَّفتُ أعذبَ المشروبْ لفظَ ذاكَ البريدْ[1]

فخذوا حُكمَ قهوةَ البُنِّ أخذَ مستأنسِ

واتركوا قولَ باردِ الذِّقنِ من إليها يُسي[2]

(1) في مجموع برلين: البديد.

(2) في مجموع برلين: واجعلوا علو بارد الذقن.. من عليها يُسي.

موشح في القهوة*

لأبي بكر بن أبي كثير[1]

يا مديرًا لقهوةِ البُنِّ ... بهجةِ الأنفسِ
أمِنَ النَّدِّ[2] أم من الدَّن ... جُدتَ بالأكؤسِ

قد جمعتَ الشموسَ والأقمارْ ... تحت ليلٍ بهيمْ
والمغنِّي الدَّفَّ[3] والمزمارْ ... والسرورَ اليتيمْ
فاسقني في العَشيِّ والإبكارْ ... صَفْوَهَا يا نديمْ

قهوةُ القِشْرِ رشْفُها يُغني ... عن لمى الألعسِ
لا تَصفَحْ بكأسها عَنِّي ... يا أخا الكُنَّسِ[4]

صاحِ، بادِر لراحة الأبدانْ ... وارو منها الجَنانْ
وتسلَّى بها وبالنُّدمانْ ... عن بنات الزَّمانْ
فهي بابٌ لطاعة الرحمنْ ... من قديم الزَّمانْ

سُقْهَا بالأمانِ والأمنِ ... في صفا المجلسِ
وإذا ما بدتْ في الحُسْنِ ... قُمْ لها واجلسِ

---

* أخرجت هذه القصيدة على ثلاث نسخ خطية من عمدة الصفوة في حل القهوة للجزيري: نسخة برلين (48)، نسخة برنستون (58)، ونسخة مركز الملك فيصل (58).

(1) تقدَّمت ترجمته في الموشحة السابقة، هو عبد اللطيف بن عبد الله بن أحمد بن أبي كثير (باكثير) المكي الحضرمي اليمانيّ الشافعي، زين الدِّين، أبو اللطف، أبو بكر. ويسمى بمرة باسمه، ومرة بلقبه، ومرة بكنيته.

(2) في نسخة برلين: العدام، وفي فيصل: القدر.

(3) في فيصل: الدفوف.

(4) الكُنَّسُ: تُطلق على النجوم، والظِّباء.

هاتها في كؤوسها تُجلى ضوؤها يُجتلى
تُفرج الكرب قلّ أو جَلّا يا لها من جَلَا
كم لها من فضيلةٍ تُملى بين كلِّ الملا

لستُ أهلًا لها ولكنّي بالورى مؤتسي[1]
وتجنّب هوى ذوي الطَّعن والعذولَ المُسي
تابعًا أثر جامع الفنِّ شيخنا المقدسي

بالخير في مدحها أطنَبْ وهُدي من أحبّ
لاحتساها فحُقَّ أن تذهَبْ للذي قد ذَهَبْ
فارتشفها هَنِيَّة المشربْ واقض منها الأربْ

وإذا ما أدرتها عنّي واسقِ يا مؤنسي
وتجنّب هوى ذوي الطَّعنِ والعذولَ المُسي

صلِّ يا ربنا على المختارِ ذي البها والضيا
معدِنِ الفضلِ وصاحب الأنوارِ وكذا الأتقيا
آلهِ والصِّحاب والأنصارِ وارثي الأنبيا

ما استباحت مدامع الحُزن أعينَ النَّرجِسِ
وتغشّت معاطفُ الغُصن حُلَلَ السُّندسِ

---

(١) أصلها: مؤتسٍ، أي مقتدٍ، والإشباع بالياء للضرورة.

موشَّحٌ في القهوة*
لأبي الفتح محمد بن عبد السلام المالكي[1]

اسقيـــاني قـهيــوة البُــنّ   صـرِفـــة[2] الأكـــؤس
كـي أُميـط الكـرى عـن الجفـن   فـــي دُجـــى الحِنـــدس

اسقيـــاني قـهيـــوة مُـــرّةْ   شُـربهـــا لـــي حـــلَا
لـم تغيِّـر مـن عقلنـا ذرّةْ   بخـــلاف الطِّـــلا
فأديـــرا أقداحهـــا حَـرَّة   يـــا أُهيـــل العُـــلا

مـا رؤي قـط غايـبَ الذِّهـنِ   مـــن لـهـــا يحتـــسي
فهـي حِـلٌّ طلـق، وأسـتثني   هيـــئـــة المجلـــسِ[3]

قـهـوة مسـتحدثها سـاهرْ   والـــــورى نُـــــوَّمُ
ليـت شـعري مـن أيـنَ للماهـرْ   أنـــهـــا تُحـــرَمُ
أنـا أفتـي بمقتضـى الظاهـرْ   أنَّـــهـــا مَـغْـنَـــمُ

---

* مجموع مخطوط بمكتبة الدولة ببرلين، رقم (Spr. 1966-3)، عمدة الصفوة في حل القهوة- خ برلين: ق 47، حسن الدعوة للإدكاوي-خ: ق 7، ذخائر القصر لابن طولون: ، وقد قال هذه القصيدة معارضةً لموشحة عبد اللطيف باكثير السابقة، قال عن قصيدته هذه ابن طولون: «له موشحٌ خفيفٌ في مدح القهوة، وليت لم يقُله؛ لأنها صارت في دمشق الآن تُدار، ويُنشد عليها بمجالس الخمر» ذخائر القصر (579).

(1) تقدَّمت ترجمته.

(2) الصِّرف: الخالِصُ من كل شيء. وشرابٌ صِرفٌ، لم يُمزج بشيء (اللسان: صرف).

(3) أي التَّشبه بجلسة شرَّاب الخمر، وإدارة القهوة كالخمر، وهي هيئة مخصوصة، تقدَّم وصفها في منظومة أبي الفتح المالكي في باب المنظومات والأراجيز.

فاغتنم شربها بلا وَهَنِ سُخنة الملمسِ
كم فصيحٍ لفقدها يا ابني عاد كالأخرسِ

أنا بالأولياء لي أسوةْ في اغتنامِ الأجورْ
بارتشافي في دَرسِي القهوةْ بالهنا والسُّرورْ
فهي تجلو من قلبيَ القسوةْ وتُفيد الحضورْ

اروِيا في الحجاز ذا عنِّي في الحِمى الأقدسِ
فيه قد حلّ من ذوي فَنِّي كاملو الأنفُسِ

يا لها من قهيوة صِرفة لونها حالكُ
لو رأى بالبقيع والصفّة طَبْخَهَا مالكُ[1]
قال: نعمَ الجليس والحِرفة أيّها السالكُ

ليس من بالقياس والظنِّ عابها مَن مُسِي[2]
خالها مثل خمرة الدَّن في فِنا جرجِسِ

---

(1) يقصد الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، رضي الله عنه.
(2) مُسي: يقصد مسيء بالتسهيل، وأصل العبارة: عابها مَن هو مُسيءٌ، حذف الإشارة لضرورة الوزن.

موشَّحٌ في القهوة*
شهاب الدِّين الجَيْلي[1]

هاتهـا بـالكـؤوس والـدَّن ... مـن يَـدِ الألـعَـسِ
إن تكـن مـن زبيـبٍ[2] أو بُـنٍّ ... فـأنـا المُـحتسـي

قهـوةُ البُـنِّ مشـرَبُ الأكيـاسْ ... مـن أهـل الصَّـلاحْ
وشـذاها يُطيِّـبُ الأنفـاسْ ... سِيَّمـا فـي الصَّبـاحْ
ونبيـذُ الزَّبيـب مـا بـه بـاسْ ... يـجلـبُ الإنشـراحْ

فاسـقنيها مُصـاحبَ الأمـنِ ... فـي دُجـى الحِنْـدِسِ
وخـذوا علـم ذا وذا عنِّـي ... لا تـقـولـوا: نَـسـيْ

قهـوة البُـنِّ مذهـبُ أهـلِ اللـهْ ... شُـربهـا فـي البـكورْ
تـنـفي الـهـم، تُبـرئ العِلَّـةْ ... وهـي تـشـفـي الصُّـدورْ
فارتشـف كأسـها علـى اسـم اللّٰه ... بـالـهـنـا والـسُّـرورْ

---

* أخرجت هذه القصيدة على ثلاث نسخ خطية من عمدة الصفوة في حل القهوة للجزيري: نسخة برلين (57)، نسخة برنستون (60)، نسخة مركز الملك فيصل (60).

(1) شهاب الدِّين، أحمد بن علي الجَيلي اليمني، نزيل مكة، هكذا في عمدة الصفوة، ولم أقف له على ترجمة مستقلة، ووجدتُ في تحفة اللطائف لجار الله بن فهد القرشي (ت 954 هـ)، بيتين رواهما العلامة جار الله عنه سماعًا منه عند ضريح الصحابي عبد الله بن عباس في الطائف، يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول، سنة 916هـ قال: «وأنشدني في التاريخ والمكان، الفقيه الفاضل الأديب أحمد بن علي الجيلي اليمني، نزيل مكة المشرفة». فإن كان عمر جار الله القرشي جار الله الذي وُلد سنة 891 هـ وقتها 25 سنة، فربما كان الشهاب الجيليُّ الذي كان وقتها «فقيها أديبًا» أكبر بقليل من الشيخ جار الله، وهو بهذا الاعتبار أكبرُ من رائد فنِّ موشحات القهوة: أبي الفتح المالكي، وربما بزغ نجم أبي الفتح وقت أفول نجم الشهاب الجيلي، وهذا يبرر لنا جِدَّته وتبجُّحه في القصيدة، حتى إنَّ الجزيري حين أورد القصيدة في العُمدة، نبَّه إلى هذا التجاوز، فقال: «قال صاحبنا شهاب الدين الجيلي نزيل مكة، وتعدَّى المُراد، عفا الله عنه». وقد قدَّمتُ هذه القصيدة على موشَّحين آخرين لأبي الفتح لمراعاة الترتيب، فالظاهر عندي أنَّ هذا الموشح عُمِلَ لمجاراة الموشَّح السابق.

(2) في نسخة برلين: قِشر، ولا يستقيم. وأثبته من النسخ الأخرى.

ثُمَّ نادي لشربها عنّي   احضروا مجلسي
واشربوها فإنها تُدني   للحمى الأقدسِ

قهوةُ البُنِّ سهمٌ ربّانيْ   ترشقُ المنكرينْ
كم قتيلٍ بها غدا فانيْ   جاورَ العابدينْ
وفريقٍ بها وبالحانِ   أصبحوا مُغرمينْ

بعد إنكارِهم على وَهَنِ   شُربَ من يحتسيْ
فانظروا السِّرَ كيف يَستدني   من عليها يُسيْ

لا تلمني فإنني مُطلِقْ   أيُّها اللائمُ
ما المُجازِفُ كمثلِ من حقَّقْ   أيُّها العالِمُ
لا تُعرِّج على ابن عبد الحق   إنَّهُ واهمُ

ذاك أفتى بمقتضى الظَّنِّ   وهوى الأنفُسِ
لستُ أُصغي لقوله أذني   لا ولا أَتَّني

أنا شيخُ المشايخِ الجَيْلي   مذهبي الواسعُ
كلُّ مَن حَلَّ في الِحمى القِبلي   فهو لي تابعُ
فارو عنّي المجون واستملي   أيها السّامِعُ

أنـا بالحقيقـةِ شـيخُ ذا الفَـنّْ مَـن هـو المقدسي؟
لـو رآنـي لكـان يتبعـني ثُـمَّ بـي يأتسـي

مذهبي فـي الحقيقـة الإطـلاقْ خـلِّ عنـي المجـازْ
شـاعَ ذكـري بسـاير الآفـاقْ وكـذا فـي الحِجـازْ
فاسـقني صِـرف قهـوةِ العُشّـاق فـالصحيـحُ الجـوازْ

مـع رشـيقِ القـوام كالغُصـنِ بـالبَهـا مُكتسـي
ثُـمَّ كـن فـيَّ مُحسـن الظَّـنِّ أو فكـن لـي مُسـي

موشّح في القهوة*
للسيِّد علي (؟)[1]

هاتها بالكؤوس والدَّنِ   من أخٍ كَيْسِ
قهوةُ البُنِّ شُربها فَنِّي   مَنْ شَرِبها كيسي

ثوبَ فضلٍ وفازَ يا إخوانْ   من إلهٍ كَريمْ
باللطافةْ ورُتبةِ الإنسانْ   والفؤادِ السَّليمْ
وتعرَّى من رُتبةِ الحيوانْ   ثُمَّ أضحى فهيمْ

رافضُ الدِّين ليس كالسُّني   فأنتَ يا مُحتسيْ
لازمِ الشُّربَ قطُّ لا تثني   عن شرابكْ تُسيْ

لا تُعرِّض لأمةَ المختارْ   باجتنابك تُعيقْ
بالإساءة وكَثرةِ الإنكارْ   ليسَ هذا يليقْ
حسبُكَ الله من عذابِ النَّارْ   فأنتَ عندي صديقْ

افهم الرَّمز واستمع مني   تلبس السُّندسِ
في جِنانِ النَّعيمِ بالمنِّ   لا بقلبٍ قَسي

أنت عمَّا تريده عاجزْ   وهو يقضي المرادْ

* أخرجتها عن ثلاث نُسخ خطية من عمدة الصفوة للجزيري: نسخة برلين (ق 49)، ونسخة برنستون (ق 58)، نسخة مركز الملك فيصل (ق 55).

(1) هكذا في جميع النُّسخ التي بين يدي، ولم أعرفه.

والتـأويـل حـُكـمـهـا جـائـزْ   مـــن وجـــوه الـسّـداذْ
هــل علمــتَ الشـقيَّ والفائـزْ   قبـــل يــــوم الـمَـعــاذْ

نحـن نرجـو لرحمـة المُغنـي   بـــــاريء الأنــفـــسِ
وأنــت سـلِّـم عسـى تجاورنـي   فـــي الـحِـمـــى الأقــدسِ

قـد وَرَدْ فـي الصِّحـاح بالتَّفصـال[1]   قـــولْ مـــا هـــو ضَعيــفْ
أن أمـــة نـبيِّنـا الأبـطــالْ   فـــي الـمـقـــام المُنيــفْ
قـطّ مـا تجتمـع علـى الإضـلال   بـالـحـديـــث الـشـــريفْ

ذا صحيـحٌ وليـس مـن لَسْـني   واســــألِ الـمــقـدسي[2]
تـلــــقَّ مـا قلـتُه بـلا لحـن   طيـِّــــبَ الـمــغـرَسِ

أنـتَ فـيَّ ذامٌّ والـورى غُـرَّام[3]   خـــلِّ عـنـــكَ الشِّقــاقْ
كــن موافـقْ تفـوزُ بالإنعـام   فـالـرِّضـى بـالـــوِفـــاقْ
يــا إمامًــا دعــا إلـى الإسـلام   قَـصـــدُه الإرفـــاقْ

كيـف ترضـى تكـون للطَّعـنِ   كـالـهـــدَفْ للقســي[4]
أســألُ اللـه عـفــوه عنـي   وكـــذا مـــن يُــســي

---

(1) يريد بالتَّفصيل، والتَّفصال على وزن تَفْعَال صيغة تكثير، والوزن صحيح، لكن الاستخدام شائع في عاميَّة الناس.
(2) يقصد الشيخ أبا الفتح المالكي الذي مرّ معنا، ويُلقَّب بالمقدسي.
(3) في برلين، وبرنستون: أنت فيَّ ذام والورى غذام. وفي نسخة فيصل: أنتَ فيَّ ذامٌ والورى غُرَّام. وغُرَّام: جمعٌ لغارم أو مُغرَم لا على قياس. ولعلّ أصلها الذي يمكن توجيهه بدون تعسُّف وطول تمحُّل: أنتَ ذامٌّ والوري في غرامٍ لكن تعاورتها أيدي النُّساخ فغيَّرت أماكن الكلمات، وهذا يحصل كثيرًا.
(4) القِسِيُّ: الرِّماح.

موشح آخر في القهوة*

لأبي الفتح محمد بن عبد السلام المالكي[1]

لـي مـن البُـنِّ قهـوةٌ تُثنـي ... مَــن لــهــا يَحتســي

وعلـى فضلهـا الـورى تُثنـي ... فــي دُجــى الـحِـنْـدِسِ

عـاطنيـها حبيبتـي جَهـرًا ... مــا عــلاهــا حَبـابْ[2]

ابنـةُ القِـدر قـد عَلَـتْ قـدرًا ... بـرفيـــعِ الجَـنــابْ

واسقنيـها سَخينـة حَـرَّى[3] ... شُــربـهـــا مستـطـابْ

وانـفِ عنّـي بهـا رَدى الحـزنِ ... يــا أخـــا الكُـنَّــسِ[4]

واعفنـي مـن مُدامـةِ الـدَّنِّ ... وطِـــلا جِـرْجِـــسِ

واسقنيها فـي الـورد والرَّيحانْ ... فــي زمـــانِ الرَّبيـــعْ

مـعْ غـزالٍ بحُسنِـهِ الفَتّـانْ ... لـلـبـرايـــا يُـريـــعْ[5]

قـد زهـا زَهـرُ قَـدِّه[6] عـن شـانْ ... بـالـجـمـــال البـديـــعْ

---

* مجموع مخطوط بمكتبة الدولة ببرلين، رقم (Spr. 1966-3)، عمدة الصفوة في حل القهوة- خ برلين (48)، وبرنستون (57)، وفيصل (57).

(1) تقدّمت ترجمته.

(2) الحَباب: حَباب الماءِ، نُفّاخاتهُ التي تَطفُو عليه (اللسان: حبب)

(3) حرّى: أي ساخنة.

(4) الكُنّس: النُّجوم، ولعله يريد من يشبه النجوم قدرًا وجلالاً، أو من يسهر الليل، وهي الظِّباء كذلك.

(5) هكذا في نسخة برلين، وبرنستون

وما عداها (بديع).

(6) القَد: القامة.

ناعس الطَّرفِ حُبُّه فَنِّي   لا ظبا الكُنَّسِ[1]
ساحر باللحاظِ والجفنِ   فهي كالخُنَّسِ[2]

وترنَّم لنَغمَة القُمري   واجتليها عيَانْ
بين زهر الرِّياضِ والزَّهرِ   وسنا الأقحوانْ
ثمَّ قلِّد فيها أولي القَدْرِ   وهداةَ الزَّمانْ

أهلَ مصرَ والشَّامِ واستغني   بأخي المقدسِ[3]
فهو في النّقل عمدةٌ يغني   في الحى الأقدسِ

وبمفتي دمشق ذي التحقيق   ابن عبد السلام[4]
وابن سالمْ من وافق الصِّدِّيقَ   اسمه والإمام[5]
والمساوى العالم المنطيق   حَبْرُ عِلم الكلام[6]

سالِكُ هدي الله والمعني   بهدى الأنفسِ
وأهيل اليَمَنْ أولي اليُمْنِ   منهم فأنسِ

---

(1) الكِناس: أماكن تتقي بها الغزلان والمها من الحرّ، والظباء الكُنَّس التي تدخل الكِناس.
(2) الخُنَّس: النجوم.
(3) يقصد نفسه، وكان يُنسَبُ للقدس عند أهل الشام، لأنه مرَّ بها في رحلته، وأقام فيها مدة.
(4) يقصد نفسه، محمد بن عبد السلام المالكي. ومن المشهور أنَّ مقام المعارضات والمطارحات مقام تبجُّح وتباو، فيجوز له أن يفخِّم نفسه.
(5) يقصد الشيخ الإمام أبا بكر بن سالم باعلوي، صاحب عَيْنات (ت 929 هـ)، أغلى الجواهر المنتقى من تراجم حاوي جميع المفاخر (103)
(6) تقدَّم بيان ما أرجحه من مقصوده في الموشح السابق.

موشَّح مردوف في القهوة*
لأبي الفتح محمد بن عبد السلام المالكي[1]

قهوة القِدر[2] قَدرها ارتفعا   في الدُّجى بدر كاسها سَطَعا   تُجلى

يـا حُسـنها مثـل ذايـب السَّبَج[3]

سـمراءَ تسـبي العقـول بالدَّعَـجِ[4]

كالمسـك فـي منظـرٍ وفـي أَرَجِ[5]

لها مُذاب العبير قد خضعا   ومَنْدلُ الشِّحْرِ[6] دَرَّها[7] ارتضعا   طِفلًا

أَحْبِـبْ بـكأسٍ لـم يَعلُهـا حَبَـبُ[8]

جوهـرُ ياقوتهـا لـه لَهَـبُ

ابنـةُ بُـنٍّ لهـا الشِّـهابُ أبُ

كم بارقٍ منه حولها لَمَعَا   فكيفَ مع حُسنها الذي سَطَعا   تُقلى[9]

---

* من مجموع مخطوط بمكتبة الدولة ببرلين، رقم (Spr. 3-1966)، عمدة الصفوة في حل القهوة- خ برلين: ق 48. سانحات دمى القصر للطالوي (تلميذ أبي الفتح): (214/ 1)، رسالة الشاي والقهوة للقاسمي (23)، والمردوف: كلمة تلي البيت الأول من كل مقطع، وتلتزم قافيةً واحدة.

(1) تقدَّمت ترجمته.

(2) يفرقون بين قهوة البنِّ وقهوة الخمر بإضافتها للقِدر، ويسمون الأخرى قهوة الدَّن.

(3) السَّبَج: خرز أسود (اللسان: سبج)

(4) الدَّعج: السواد، وقيل سواد العين خاصة (اللسان: دعج).

(5) الأرَج: نَفْحَةُ الريح الطيبة. (اللسان: أرج). ويقصد أنها سوداء كلون المسك، وريحها كريح المسك.

(6) المندل: العود طيِّب الرائحة. والشِّحر: بكسر أوله، وسكون ثانيه، بلد على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعي: هو بين عدن وعمان قد نسب إليه بعض الرواة، وإليه ينسب العنبر الشحري لأنه يوجد في سواحله. انظر: معجم البلدان (327/ 3).

(7) الدَّرُّ: لبن الثدي.

(8) الحَبَب: الفقاقيع التي تعلو وجه السائل.

(9) تُقل: من القِل، أي البُغض.

لا غـــرو إن سَــلِمَتْ بــذي سَــلَمِ[1]
لميــاءُ[2] فــي رشــفها شِــفا ألمــي
منشــأها الحِــل[3] وهــي فــي الحَــرَمِ
ما طافَ بالبيت طائفٌ وسعى   إلا وقال الإمام حين دعا   أهلا

مــن خِدرهــا العيــدروس[4] أبرزهــا
وللندامــى   الكِــرام   أبرزهــا
وبالمعانــي   الحســان   طرَّزَهــا
وهيَّمَ[5] القومَ عندما وَضَعَا   لها اسمَ راحٍ[6] ونِعمَ ما صَنَعَا   فَضْلا

قــد ظهــرتْ فــي الــورى[7] منافعهــا
والغُمْــرُ[8] مــن جَهْلِــه يُدافِعهــا
يخفِضُهــا   والإلــه   يَرفعُهــا
يا عاذلي زدتني بها ولعًا   أحبُّ شيء للمرء ما مُنعا   عقلا

(1) ذو سلم: اسم موضع يكثر الشعراء من ذكره في تشبيبهم، واختلف نقاد الشعر في تحديده لكثرة المواضع التي تُسمى بذي سَلَم، والسَّلم شجر مشهور بأرض العرب.
(2) اللمياء: صفة من اللمى، وهو سواد في الشفة أو اللثة، كان تمتدحه العرب.
(3) الحِلّ: ضِدُّ الحرم، والحرم المواضع التي حَرَّمها الله لقداستها، وهو يشير إلى أنَّ منشأ القهوة كان بالمخا بأرض اليمن، وهي حِلّ.
(4) تقدَّمت ترجمته.
(5) هيَّم: فعل متعدٍ من الهيام، وهو الجنون، والدُّوار، وجعلوه من درجات الحُبّ.
(6) الرّاح: الخمر، والقهوة كذلك اسم من أسماء الخمر، صار اسماً لقهوة البُنّ، لا ينصرف الذهن لغيرها.
(7) الورى: الخلق، والناس.
(8) الغُمر من الناس: من لم يجرِّب. وهو يقصد بهذا اللقب خصمه، الشيخ يونس العيثاوي الشافعي رحمهم الله جميعًا.

كَـــمْ طـــابَ فـــي طَيبـــةٍ بهـــا السّـــهرُ
وزال عِنـــدَ الصَّفـــا بهـــا الكـــدرُ
وضـــاع[1] فـــي الشّـــام نشـــرها العَطِـــرُ
وربَّ شادٍ والفَدْم[2] قد هَجَعَا   به من الأولياء لقد جَمَعَا   شملاً

يـــا صـــاحِ شـــرِّد بهـــا وَسَـــني[3]
مِـــن كـــفّ ظبـــي ذي منظـــرٍ حسَـــنِ
وقـــل لأهـــل الحجـــاز واليمـــن
مَن لَام في حُبِّها دَعاه دَعا   كأنّما بالكمالِ ما اجتمعا   أصلا

(1) ضاع: من ضاع يضوع الشيء، إذا نَفَحت رائحته.
(2) الفدم من الناس: العَييُّ عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم. (اللسان: فدم)
(3) الوَسَن: النعاس، وزول النوم (اللسان: وسن)

موشّح في القهوة*
للأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري[1]

أدرِ القهـوةَ فـي كاس البهـا ... قهـوةَ البُـنِّ وناهيـكَ بهـا
فهـي حِـلٌّ مـا نهـى عنهـا نُهـى ... فـاسـقـنـي يـا صـاحْ

شنِّف الكاسات واسمع ما أقولْ ... إنهـا شُـرب الأجِـلّاء الفُحـولْ
أوليـاءِ اللـه أربـاب الوصـولْ ... لـحـمـى الـفتّـاحْ

مـا علينـا مـن عَـذولٍ جاهـلِ ... مُفتـرٍ زُورَ كلامٍ باطـلِ
خامـلِ الذِّكـرِ ومَيْـتٍ ذاهـلِ ... راح مـع مـن راحْ

إن تقـل: تُنشي، أقل: أهـلَ القلوبِ ... مثـلَ مـا يشـهدُ أربـابُ الغيـوبِ
قـد يـؤدّي الأمـرُ فيهـا للوجـوبِ ... فـاجـل لـي الأفـراحْ[2]

إنّمـا يُنكَـر مـا يَقتَـرِنُ ... بأمـور مثلهـا لا يَحسُـنُ
فاتّبـع سُـنَّة قـومٍ أحسـنُوا ... فـي احتبـاء الـرَّاحْ

---

* عمدة الصفوة: نسخة برلين (اللوحة 56)، برنستون (اللوحة 66)، الملك فيصل (اللوحة 66).

(1) محمد بن أبي الحسن البكري الصّديقي، شمس الدين، القطب الأستاذ، المنعوت بأبيض الوجه، علامة فقيه، صوفيٌّ مفسّر، ولد سنة 930هـ ونشأ في كنف والده العلّامة أبي الحسن البكري، وحفظ القرآن في السابعة، وحفظ الألفية وهو ابن ثمان، وحفظ التنبيه للشيرازي في الفقه قبل أن يتمّ العاشرة، وأخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري. كما كان من الخائضين في حرب القهوة بالتحليل، وردّ على ابن عبد الحقّ السنباطي في عدة أبيات، ومدح القهوة
له ديوان: ترجمان الأسرار - ديوان مخطوط بباريس، وشرح على مختصر أبي شجاع في فقه الشافعيّة، وعدد من الرسائل في الفقه والتّصوُّف. وهو صاحب الحِزب المعروف بحزب البكري. توفي بالقاهرة سنة 993هـ. لترجمته انظر: النور السافر (414)، وجامع كرامات الأولياء (1/312).

(2) لعلّها: فاجل لي الأقداح، وهي مُثبتة في المطبوعة.

موشَّح في القهوة*
للأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري[1]

أدِرِ القهوة في كاس البها | واسقني يا صاحْ
قهوة البُنِّ وناهيكَ بها | تُنعِشُ الأرواحْ
هي حِلٌّ ما نهى عنها نُهى | سِرُّها قد لاحْ
فأبو جَعدة مَن حَكَّمَها | زادها إصلاحْ
وتمامُ الأنس حين قسَّمها | عبدهُ مِفتاحْ[2]

شنِّفِ الكاساتِ واسمع ما أقولْ | يا أخا النُّدمانْ
إنَّها شُربُ الأجِلَّاء الفحولْ | معدنِ العِرفانْ
أولياءِ الله أربابِ الوصولْ | لحمى المنَّانْ

شيخنا البكريُّ قد عظَّمها | وابنه يرتاحْ
وابنه كنزُ التُّقى أكرَمَها | منه بالأمداحْ

ما علينا من عذولٍ جاهلِ | غافلٍ ذاهلْ
مفترٍ زورَ كلامٍ باطلْ | ما له طائلْ
خاملِ الذِّكرِ ومَيْتٍ زائل | لم يكن عادلْ

* مجموع مخطوط بمكتبة الدولة ببرلين، رقم (Spr. 3-1966).

(1) تقدَّمت ترجمته.

(2) لعلَّ أبا جعدة، وعبده مفتاح من أصحاب بيوت القهوة في القاهرة.

عندمـا قـد رامَ أن يلثُمـها　　راح مـع مـن راخ
ولقـد أخطـأ أن ألزَمَهَـا　　حُكـم فعـلِ الـرَّاخ[1]

إن أقل تسبي أقلْ سكر القلوب　　بالـهـوى المطـلـقْ
مثل ما تشهد أرباب الغيوب　　عنـد مـن حـقَّـقْ
قد يؤدي الأمر فيها بالوجوب　　للـذي يَـشْـرِقْ

فلعمري كان من حرَّمها　　كـاذبًـا قـدَّاح
خالف الإجماع حقًّا وسها　　عـن هُـدى الإيضاح

إنَّما يَحـرُم مـا يقترنُ　　بصِفـات الحـانْ
وأمـور مثلها لا يمكنُ　　تُسقِطُ الإنسانْ
فاتَّبع سُنَّةَ قومٍ أحسنوا　　طـاعـةَ الرحمنْ

لازِمِ الذِّكـرَ متى تلـزَمْها　　واسألِ الفتَّاحْ
وطريقُ القومِ من يمَّمَها　　فـازَ بالإفلاحْ

---

(١) أي أنه الزمها صفة الخمر في الإسكار. ولعله يقصد الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطي.

موشحٌ في القهوة *
للأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري[1]

بأبي حُسنُ أغيدِ	قمرٍ فَوقَ أملدِ
منعتني لحاظُه	لَثْمَ خدٍّ موَرَّدِ
بعد ما صادني بها	وكذا كلُّ أصيَدِ
ريم وادي زَرود[2] [لا]	ظبي محلَّات ثَهمَدِ[3]
يا عذولي عليه مَهْ	خَرَجَ الأمرُ من يدي
يا عذولي الهوى الهُدى	أيُّ لومٍ لمهتدِي
لستُ وحدي عشقته	أنا في الأصل مقتدي
ودعا عبديَ استجب	قلت: لبيك سيدي
ثم عدت الإمام والـ	كل من خلف مشهدي
موردي مورد الغيو	بِ وأكرم بموردي
من صدى صوتي الرَّخيم	الصدى زال عن صَدِ
إيه عنِّي[4] فإنني	وحبيبي بمقعدِ
في سرورٍ مخلَّدِ	ونعيمٍ مؤبَّدِ

* ديوان ترجمان الأسرار -خ، لمحمد بن أبي الحسن البكري، نسخة مكتبة لايبزج - ألمانيا، رقم: Volters 573، ق71؛ عمدة الصفوة للجزيري - خ (برلين - لوحة 87)، و(برنستون - لوحة 66)، و(مركز الملك فيصل - لوحة 66).

(1) ترجمة محمد بن أبي الحسن البكري

(2) زَرود: اسم موضع. وهو اليوم شمال شرق مدينة حائل، على طريق الحاج العراقي.

(3) ثَهمَد: موضع معروف في بلاد العرب وقد ذكره الشعراء؛ قال طرفة: لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ. (اللسان: ثهمد)

(4) في نسخ العمدة: لحني.

وأديـــرت لـنـــا الـشُّـــلاف　　عـلـــى رغـــم حُـسَّـــدي

قـهــوةُ الـبُــنِّ يـــا لـهـــا　　مـــن شــرابٍ مُـحـمّــدي

نـبـتــه مـقـصــدي بـهــا الـ　　حِـــلُّ فـــي شـــرع أحـمـــدِ

لا يُـــرى مـنـــكرًا لـهـــا　　غـيـــرَ جَـــانٍ ومـعـتـــدِ

وهـــي فـــي ذاتـهـــا الـحـــلا　　ل عـلـــى رأي سـيـــدي[1]

وبـمـــا قـالـــه أقـــول　　فـمَـــهِ يـــا مـفـنِّـــدي

وهـــي فـــي الأصـل شُـربُ قـو　　مِ هُـــمـــو مـــن نـقـتـدي

مـا لـهـم مـن شـرايـع الـذْ　　دِيـــن لَـــيٌّ لـمـقـصـدِ[2]

هـاتـهـــا الـخـــودَ زَفَّـهـــا　　فـــي الـمـــلا صـوتُ مـنـشـدِ

بـنـــتُ بُـــنٍّ ودونـــهـــا　　قـلـــبُ عـبـــدٍ مـوحِّـــدِ

زفَّ لـــي كـــاســـهـــا وأدر　　هُ وعـــــــاود وردِّدِ

حـــيـــثُ لا لــــوم لـلـشـريـ　　ـعـــة فـامـنـــنْ واســـعـد

---

(1) في حاشية المخطوط: يعني والده. قلتُ: هو الشيخ الإمام أبو الحسن البكري الصديقي (ت 952 هـ).

(2) في برنستون: «من لهم من شرايع الدين
ليٌّ لمقصدي» وما أثبتُّه من نسخة برلين وفيصل.

موشح في القهوة *
لماميَّة الرُّومي (1)

اسقيـــاني قـهيـــوة تُجلـي   فـي الـقِـبــا الـحـنــدِس
كـلّـمــا مرَّ ذكــرها تـحـــلا(2)   لـلـفـتــى الـمـحـتـســي

ســامروني بقــهوة سَمــرةْ(3)   أبــــرزت كـالـعــروسْ
كـم جلاهـا بالأنس فـي الحضرةْ   شـيـخـهــا الـعـيــدروسْ
أنسَــتِ النــاس لــذة الخمــرةْ   وهـــي قــوتُ الـنـفـــوسْ

يـا عذولـي مـن لومهـا تُـبْ لا   تـعـتـــدي كـالـمُـســي
ســوف مثلـي بشربـهـا تبْـلى   فـبـقـولـــي اتّـســـي

لـونـهـــا كالعبير والمســكِ   نَـشْـرُهــا عـــابــــقُ
شُـربُ أهـلِ الصَّـلاحِ والنُّسـكِ   كـــم بـهـــا وامــــقُ

---

* من ديوانه المخطوط، نسخة برنستون (ق 53).

(1) محمد بن أحمد، الشهير بماميه الرُّومي الإنقشاري، الأديب الشاعر، ولد في تركيا سنة 930 هـ وقدم لدمشق وهو صغيرٌ، فلمّا بلغَ ضُمَّ للإنقشاريَّة (اليَنكرجيَّة)، وحج في زمرة الينكجرية سنة ستين وتسعمائة، وكان في تلك الحالة يميل إلى الأدب ونظم الشعر، ثم عزل عن الينكجرية، وصحب الشيخ أبا الفتح المالكي، و وأخذ عليه عليه في الأدب، وتولى آخراً الترجمة بمحكمة الصالحية بدمشق، فأثرى، وكان إليه المنتهى في الموشحات والزَّجل والمَوَّال، له: ديوان مخطوط، وتخميسٌ على بردة البوصيري، توفي بدمشق آخر سنة 987 هـ. انظر: الكواكب السائرة (3/45)، شذرات الذَّهب (10/606)

(2) من العاميَّة: وفصيحها: تحلو.

(3) من العاميَّة: وفصيحها: سمراء.

شَربوها وَسْطَ الحِمى المكّي أيُّها العاشقُ

كم علينا السُّرور قد أملى سِرَّها الأقدَس
يا نديمي اشرب ولي إملا يا هَنَا أكؤوسي

يا لَهَا من قُهيوةٍ حلَّتْ بالرِّضا في العبادْ
عَقَدوها بالمسكِ مُذ حَلَّتْ في الزَّبادي زَبَادْ
وهي بين الإخوان قَدْ حَلَّتْ للصفا والودادْ

وهي بالمدحِ في مَلَا أولى من طلا جرجَسِ
إن نَسى اللوم لائمي أو لا حُبُّها ما نُسي

موشَّحٌ آخر في القهوة*
لمامَيَّة الرُّومي[1]

قهوةُ البنِّ تُنعشُ الأبدانْ   وهي قوتُ النفوسْ
وتزيحُ الهمومَ والأحزانْ   وتَسُرُّ العَبُوسْ

سُخنةُ الملمسِ قبلَ تكويني   زادَ حبِّي لها
كم من عذولٍ أتى يسلِّيني   ورأى هَالَها[2]
برزت كالعروسِ في الصِّيني[3]   بينَ أهلِ الهَنَا

لو رآها الملكُ أنوشروان   حلَّ دينَ المجوسْ
ونهى القُسُوسَ والرُّهبان   عن مُدامِ الكؤوسْ

سِرُّها في العبادِ محيي الدين   قد بدا بالوَفَا
كأسُها طافَ بين حورٍ عِين   وسعى بالصَّفا
عَرْفُها فاقَ نكهةَ النِّسرين   شُربها لي شِفا

فاسقنيها وشنِّف الفنجانْ   بين صحبٍ جلوسْ

---

* من ديوانه المخطوط، نسخة برنستون (ق 57).

(1) تقدّمت ترجمته.

(2) الهال: الهيل، أو الحَبهان، معروف، وهو التابل المطيِّب للقهوة والطعام.

(3) الصيني: الفنجان المصنوع من البورسلان أو الزجاج.

وأدِرْ كَاسَـهَا علـى النُّدمـانْ مِـثـل ضـوء الـشـمـوسْ

لونهـا كالسَّـواد فـي العَيـن زانَ كـف النَّـديـمْ
كـم فداهـا البخيـل بالعَيـن[1] كيـفَ حـالُ الكـريـمْ

حفظوهـا مـا بيـن صوريـن عـن خسيـس لـئيـمْ
أنسـتِ النـاسَ خمـرةَ الأدنـان وَجَـلَـتْ كُـلَّ بـوس[2]
كَـم جَلَاهـا بالحـان فـي الألحان شَـيخُـهـا العَيـدروس[3]

(1) يقصد بالعَين هنا المال، وكلمة العين من المشترك اللفظي.
(2) بوس: بؤس بتسهيل الهمزة، وهي لغة حجازية.
(3) أبو بكر العدني بن عبد الله العيدروس، تقدَّمت ترجمته.

موشَّح في القهوة*
لعبد الله محمد بن عمر الآصفي[1]

قهـوة البُـنّ شُربُهـا فَنِّي	لا طِـلا جـرجِـسِ
قـد حَكَتْ في إنائها الصيني	أعْـيـنَ النَّـرجِـسِ

هاتِها لـي فـي مطلـع الفجـرِ	والـدُّجـى هـاربْ
واسقـنيـهـا بالشَّفْـع والوتـرِ	صَبُّـهـا صـائبْ
قـال ربّـي فاشـرح بهـا صـدري	مـن يـكـنْ شـاربْ

صِرفُهـا عـن مِزاجِها يُغـني	أيـهـا المحتسـي
وانتشـاء لهـا بـه تُفْـني	خـاطـرَ الأنفُـسِ

اسقنـي يـا أُميْـلحَ اللَّمـحِ	قـهـوة الشَّـاذلـيْ
مـع غـزالٍ ككوكـبِ الصُّبحِ	لَـحْـظُـه بـابـلـيْ
لا أُبـالي قـد أبـو الفـتحِ	قـالَ فـي العـاذلِ

إنْ يَلُـمْ قـل لـه: لمـن يعنـى	عَـلـّه قـد نَـسـي
ويعاتـب فـقـل لـه: دعـني	بـك لا أتّـسـي

* الموشَّح من كتابه: ظفر الواله بمظفَّر وآله (تاريخ كجرات)، تحقيق: د. إدوار دينيسون روس، مطبعة لندن، الطبعة الأولى 1328/ 1910 هـ ص 359.

(1) عبد الله محمد بن عمر المكّي الآصفي الغخاني، الشهير بالحاج الدبير، أحد العلماء المبرزين في الحديث والعلوم الأدبية، قدِم والده من الهند، وُلِد بمكة سنة 946 هـ ونشأه بها، ودرس على مشايخها، ثمّ دخل الهند سنة 981 هـ وقرَّبه الأمراء والملوك، له كتاب في تاريخ كجرات بالعربي، مطبوع. توفّي بعد سنة 1008 هـ انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي الحسني (5/ 624).

اغنمِ الدَّور لا يفُت غفلةْ ... في البقيعِ المُنيرْ
وكذا يَصْفُ في صفا القِبلةْ ... كاسُها للخبيرْ
فاحتسي أولا لله ... وارو عن باكثير[1]:

«ثمَّ صفِّق إن شئت أو غنِّي ... وافت أو درِّسِ
واتَّبِع ما دعا إلى الحُسنِ ... واجتنب ما يُسي»[2]

لم أُطِقْ صَبرَ ساعةٍ عنها ... فاجلِها لي عروسْ
لا تمل بي فلن أملَّ منها ... عندَ شمسِ الشموسْ
مَن إليه في الخطب لي إنْها ... أحمد العيدروسْ

قطب أقطاب مالك الدِّين ... فائض الأكؤسِ
جَازَ مَرقَاه ليت لي يُدني ... فَلَكَ الأطلَسِ

آصفي عَبدُ بابِكَ المكي ... شَيِّقٌ للحرمْ
يَرْجُ يُدْنِيه مَجرى الفُلْكِ ... من شفيع الأممْ
قد شكى وحشة بذا الملكِ ... بعد أهل الذِّممْ

عطفةٌ بالأمان واليُمن ... يَسْرِ أو يَجلسِ
بكَ ينجو من لجَّة الحُزن ... كالنَّبي يونسِ

(1) عبد اللطيف بن عبد الله بن أحمد باكثير الحضرمي المكي، توفي سنة 950هـ ومرَّ موشحه وترجمته.
(2) هذا القفل من موشحة عبد اللطيف باكثير، مرَّت معنا. وهو هنا في مقام رواية، كما صرَّح.

القصائد والمقطَّعات الشعرية

[أوَّلُ ما قيل في القهوة شعرًا]

وهي أبياتٌ منسوبة لمُحدِثِ القهوة، الشيخ علي بن عمر بن دِغْسَين القرشي الشاذلي (ت828هـ)، صاحب المخا، وحليف السَّخا، أوردها الشَّيخ عبد القادر بن شيخ العيدروس (ت 1038هـ) في طِيِّ ترجمته للشيخ علي الشاذلي في «الزَّهر الباسم من روض الأستاذ حاتم»، فإن صحَّت نسبةُ الأبيات له، فتكون بذلك أوَّلَ ما قيل في قهوة البُنِّ شِعرًا:[1] [الخفيف]

قهـوةُ البُـنِّ يـا أُهيـلَ الغـرامْ ... سـاعدتني علـى طـرد المنـامْ

وأعانتنـي بعـون اللـهْ علـى ... طاعـة اللـه والعوالـم نِيـامْ

قافهـا قُـوة، والهـاءُ هـدى ... واوهـا الـوُدُّ والهـاءُ هيـامْ

لا تلمنـي علـى شـربي لهـا ... إنّهـا شُـربٌ لسـاداتٍ كِـرامْ

وللشيخ علي بن عمر الشاذلي في سِرِّ البُنِّ كذلك[2]: [الكامل]

بُـنٌّ تسـربلَ نـورُه بِرغائـبِ ... ظهرتْ خصائِصُـه بغيـر رغائـبِ

حَرْفـان ترجَـم عنهمـا متمكِّـنٌ ... مـن طِلْسَمٍ بكنـوز عيـن مطالبِ

طَلَعَـا بسِـرِّهما فبـاءا بالـذي ... نـابَ اختصاصًـا بانتظامِ مواهبِ

بـاءٌ ونـونٌ ثُـبْ هُديتَ تـرى الذي ... قـد عـزَّ بالعيـن التـي بمغـاربِ

عيـنِ الحيـاة فَـرِدْ لمـاءِ معينِهـا ... تحظـى برمـزٍ قـد بـدا بعجائـبِ

لمخصصٌ مسـتخلصٌ مسـتخلِفٍ ... بوراثـةٍ لـلآل ثـمَّ لصاحـبِ

---

(1) صفوة الصفوة في بيان حكم القهوة، عبد القادر بن شيخ العيدروس، نسخة مركز النور للدراسات والأبحاث بتريم، لوحة1؛ وكذا نسخة برلين Ms. Sprenger 147، لوحة 342؛ الزَّهر الباسم من روض الأستاذ حاتم، شيخ بن عبد القادر العيدروس، مخطوطة في المكتبة البريطانية، رقم (683 Loth)، لوحة 276-277، وتفريح القلوب (148).

(2) صفوة الصفوة: برلين (لوحة 342).

وله - رحمه الله - مشبِّهًا القهوة بماء زمزم[1]: [البسيط]

وهـي لمـا شُـربت لـه، كـذا نَقَلوا   سـاداتنا عـن رجـال الـلـه صُلّاحا

[أسرار حروف (قهوة البن)]

يعتقد مشايخ الصوفيَّةُ أنَّ في القهوة - وكذا حروفِها - أسرارًا ولطائف لا تقع لغير معتقدٍ في القهوة، فتأمَّلوا فيهما، فخرجوا بعددٍ مِن الموافقات، منها ما أشار إليه الأستاذ أبو بكر العدني بن عبد الله العيدروس[2] (ت 914هـ) في حروف «قهوة البن»: [البسيط]

يا «قهـوةَ البنِّ» قـافُ «القُـدْسِ»[3] أوَّلُكِ   هـاءُ «الهـدى» ثانيًا والـواو ثالثُكِ

والهـاءُ رابِعهـا مـن بعـده ألـفٌ   لـ«أُلْفـةٍ» لامُها «لُطفٌ» مـن الملِكِ

والبـاءُ «بَسْـطٌ» ونـونُ «النُّـور» يَتبعها   بـل قهوةٌ قد سرت كالبـدر فـي الحَلَكِ[4]

[آداب القهوة وشروطها للإمام عبد الله بن عمر بامخرمة]

ومن أشهر ما كُتِبَ في القهوة، قصيدة الإمام الفقيه العارف، عبد الله

---

(1) وحكى الشيخ عبد القادر العيدروس في «الزهر الباسم» عن الشاذلي عبارة: «قهوتنا لما شُرِبت له». ونحوها عبارة «القهوة لما نُويتْ له» العبارة المنسوبة للشيخ أبي بكر بن سالم باعلوي (ت 992 هـ)، انظر: أغلى الجواهر المنتقى من تراجم حاوي جميع المفاخر (103). ووجَّهها الشيخ عبد القادر الجزيري صاحب عمدة الصفوة، بأنَّ الوسائل تأخذ حكم المقاصد. انظر: عمدة الصفوة (208).

(2) تقدَّمت ترجمته، الشيخ الأستاذ أبو بكر العدني بن عبد الله العيدروس، أحد مشايخ القهوة، إمام صوفيٌّ شهير، وُلد بتريم سنة 851 هـ أقام بعدن 25 سنة، وشهر بها الطريقة الشاذلية، وكان كثير الأتباع، يُنسب إليه اكتشاف القهوة البنيَّة كذلك، له (الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف) في التصوف، توفِّي بعدن سنة 914 هـ. انظر: مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس للعلامة بَحْرق (10)، والنور السافر (77).

(3) القُدْسُ: الطُّهر. (اللسان: قدس)

(4) الحلك: شِدَّة السواد. (اللسان: حلك)

بن عمر بامخرمة[1]، ذكر فيها طريقة إعداد القهوة، وما يُضاف إليها، وآداب مجلسها، قال[2]: [البسيط]

لقهوة البُنِّ يا نَدْمَانها ابتكِرا ... وكُن بها يا فتى صَبًّا بغير مِرا

وحينَ يَدعوك داعيها فقُم عَجِلًا ... ملبّيًا تابِعًا في[3] ذلكَ الأثرا

وخذ شُروطًا وآدابًا لها وأَصِغْ[4] ... سمعًا إلى قولِ مِنطيقٍ[5] لها اخْتَبَرا

فأوَّل الأمرِ بسملْ[6] ثُمَّ صلِّ على ... محمَّدٍ خير ساداتِ الورى الكُبَرا

وبعد ذاك خُذِ القشرَ العزيزَ وكِلْ ... منه الذي شئتَهُ للطَّبخ واعتبرا

ونقِّهِ الآن والقُطةُ على مَهَلٍ ... فرُبَّما حولَه الفار اللعين خرا

وقدِّر الماْ، وجَزِّ الكيل تجزئةً ... ولا تَدَعهُم يقولوا زاد أو قَصُرا

القِشرُ سُدْسٌ وماءٌ خُمسُه وإذا ... شئت الزيادةَ زِدْ سهما وكُن حَذِرًا

وشُبَّ نارَكَ أوقدها بلا لَهَبٍ ... لينقُصَ الما وقد أصبحتَ مقتدرا

وحينَ يرسُب ذاك القِشْرُ، وانتشرت ... ريًّا من البُنِّ فانشق ريحه العَطِرا

فصفِّها واحذر التَّسكينَ فهو لها ... مُفَتِّرٌ، وقليلُ النَّفعِ ما فَترا

حتى إذا بقيَت في الدَّن صافيةً ... فعند ذا ينبغي إمعانك النَّظرا

(1) ترجمة با مخرمة

(2) عمدة الصفوة -خ: نسخة برلين (لوح 57، 58)، نسخة برنستون (لوح 61)، نسخة فيصل (60). قال الجزيري وهو يورد القصيدة معلقًا: «قلتُ: لا تخلو هذه القصيدة مع ركاكة اللفظ واللحن، وضعف البديهة؛ من فائدة، أو وصفة، أو وصفٍ مخصوص بالقهوة؛ ولذلك أثبتُّها في هذا المؤلَّف على حالها». قلتُ: وصف أنها ركيكةٌ، صاحبها ضعيف بديهةٍ؛ ظلمٌ في رأيي، وربما يكون راجعًا للنسخة التي أخذ منها القصيدة، والحق أن العلل والكسور تملأ القصيدة في جميع نُسخ العمدة التي وقفتُ عليها، ولكن القصيدة سليمٌ أكثرُها في ديوان عبد الصمد باكثير، الذي خمَّسها، وسيأتي تخميسه.

(3) ساقطة في نُسخة برلين.

(4) في جميع النُّسخ: وُضِعَت، ولا يستقيم. والصواب من الديوان. أصِغ: الأمر من أصغى يصغي، إذا مال برأسه وسمعه إلى المتكلم.

(5) المنطيق: المتحدِّث البليغ.

(6) في جميع النُّسخ: سمّ، والمُثبَتُ من الديوان.

فـي طَبـعِ شـارِبها، فاليابسُ الْـقِ لـه ... فيهـا مـن القَنْدِ[1] كـي لا يُضعِـفَ البصرا

وضِـدَّه الرَّطبُ، فاسـتعمل له عسـلًا[2] ... وقل لـذي الطِّـب: هـذا يدفـعُ الضَررا

وجـوِّد السَّـحق حينئـذ لفُلفُلها[3] ... وضعـهُ فيهـا وقلِّـلْ منـه واحتذِرا

مـن حرقـة البـول إن كثَّرتَـه وإذا ... لـمْ تُلقِـه نَفَحَـتْ مـن ذاقهـا قذرًا

فعنـد ذا صلحـتْ للشُّـرب فـادعُ لها ... خفيفَ روحٍ لبيبًا إن أشـرتَ درى

ورُح بهـا واغـد فـي الصِّينيْ[4] على فُرُش ... نظيـفَ جِسـمٍ وثـوبٍ، تبلـغِ الوطـرا

فـي موضـعٍ ليسَ فيهِ مـا يُكـدِّرُه ... فإنَّمـا جعلوهـا تُذهِـبُ الكَـدَرَا

وقـرِّبِ الطِّيـبَ واشـمم فيـه مبتدئًـا ... كـذا وفي آخـرٍ إنْ قـلَّ أو كثُـرا[5]

ولا تكـن غافـلًا عن مُنشـدٍ طَرِبٍ ... فهـذه سـاعةُ الأشـعارِ والشُّـعَرا

فإن يكـن من رِجـالِ الدِّيـن زدتَ على ... هـذا خصـالًا فخـذ مني بهـا خبرًا[6]

طهـارة مثل تطهيـرِ الصَّـلاة وكُن ... مسـتقبِلًا قِبلـةَ الإسـلامِ مُسـتَتِرًا

نَقـيُّ سِـرٍّ بذكـرِ اللـه مشـتغِلًا ... فـي السِّـرِّ والجَهـرِ عمَّـا قـد ذرا وبرا

كـذا علـى شُـربِها قـل يـا قـويُّ على ... أعدادهـا وبهـذا وصِّ مـن حَضَرا

تقـول ذلـك عشـرًا بعدهـا مئـةٌ ... وسـتَّةٌ فالتزمهـا تَصحَـبِ الظَفَـرا

وتشـهَدُ السِّـرَّ عمَّـا قُلتَ منبسـطًا ... فيهـا وتلمَـحُ ذاكَ السِّـرَّ حيـن سرى

ومـن هنـا خبطـوا فيهـا ومـا علمـوا ... بمـا جرى مـن قديـم الأمر يـومَ جرى

---

(1) القند سكَّر القَصب. وهو حارٌّ رطبٌ، يعدِّل مِزاج البارد اليابس.

(2) لأنَّ طبع العسل: حارٌّ يابس، فيعدِّل مزاج الرَّطب البارد.

(3) يقصدُ حبَّ البُنِّ، استعار له حبَّ الفُلفل

وهذه القهوة التي تكون من البُنِّ والقِشر معًا، مشهورة، ما زالت تُشرب إلى اليوم في بلاد حضرموت.

(4) الفناجين البيضاء الفاخرة، تُنسب للصين.

(5) في ديوان عبد الصمد باكثير: (ولا تدعه وراها قلَّ أو كثُرا).

(6) في الديوان: هذا شروطًا فخذ عني بها خبرا.

فهـذه نُبـذةٌ جـاءت علـى عجـلٍ   جمعـتُ فيهـا لـك الآداب مُختصِـرًا
وفَـت ثلاثيـن[1] بيتًـا، قلـتُ آخرهـا: الحمـدُ للـه مغنـي فاقـة الفُقـرا

[تخميس الشيخ عبد الصَّمد باكثير لقصيدة بامخرمة]

وقد ذاعت قصيدة بامخرمة، واحتفى بها مشايخ القهوة، وتناقلوها في كتبهم، وتعاوروها بالتَّشطير والتخميس، فمما وصلنا من تخاميسها، تخميس الشيخ الأديب عبد الصَّمد باكثير، قال[2]: [البسيط]

إن شـئت نيـل المُنـى والنُّجْـحَ والظَّفَـرا
سَـلِّم هُديـتَ وخَـلِّ الهـمَّ والضَّجَـرا
وإن أردتَ بلـوغَ القصـدِ والوطـرًا
لقهـوة البُـنِّ يـا ندمانهـا ابتكِـرا   وكُـن بهـا يـا فتـى صَبًّـا بغيـر مِرا

فإنَّهـا تنهـبُ الأوصـابَ والعِلَـلا
وتُذهِـبُ الهـمَّ والأكـدار والكَسَـلا
فكُـن بهـا بعـدَ ذكـرِ اللـه مشـتغِلًا
وحيـنَ يَدعـوك داعيهـا فقُـم عَجِـلًا   ملبِّيًـا تابِعًـا فـي[3] ذلـكَ الأثـرا

هـي رُقيَـةٌ لفـؤادٍ بالهُمـومِ لُـدِغْ
وسـلوةٌ لحزيـنٍ بالشـجون دُبِـغْ

(1) في برلين والملك فيصل: ثلاثون. والصواب ما أُثبت من نسخة برنستون.
(2) ديوان الشيخ عبد الصمد باكثير، عناية: عبد القادر باكثير، (اليمن- المكلا: مكتبة الشافعي)، الطبعة الأولى 1430هـ/ 2009، ص120.
(3) ساقطة في نُسخة برلين.

فــلا تَحِــدْ أبــدًا عــن حُبِّهــا وتَــزِغْ

وخـذ شُـروطًا وآدابًـا لهـا وأَصِغْ سـمعًا إلـى قـولِ مِنطيـقٍ لهـا اختَبَـرا

هــي قهـوةُ القـومِ مـا اختـاروا بهـا بَـدَلًا

ومَشــرَبُ الصَّالحيــن الســادة الفُضــلا

فانهــج علــى نهجهــم كــي تُــدرِكَ الأمــلا

فـأوَّل الأمـرِ بسـملْ ثُمَّ صـلِّ على محمَّـدٍ خير سـاداتِ الـورى الكُبَـرا

فانهــض إليهــا نشــيطًا كــي تُعــدَّ نَبِــلْ

بهيئــةٍ وانبســاطٍ منــكَ لا بِكَسَــلْ

ولا تكــن دَهِشًــا عنــد المقــام عَجِــلْ

وبعـد ذاك خُذِ القشـرَ العزيزَ وكِلْ منـه الـذي شـئتَهُ للطَّبـخ واعتبـرا

فــي قهــوةِ البُــنِّ ســلوانٌ لمُشــتَغِلِ

وفيــه معنــى لطيــف السِّــرِّ مــن أُوَلِ

فخُــذه مُنتَخِبًــا لا تُصــغِ للعَــذَلِ

ونقِّـهِ الآن والقطـه علـى مَهَـلِ فرُبَّمـا حولَـه الفـار اللعين خرى

فاعكــف علــى شُــربِها لا تخـش مُخزِيــةً

ولا ملامًــا وتفنيــدًا وتخطئــةً

فلــم تــزلْ بِفعــال الخيــر مُغريــةً

وقـدِّر المـا، وجَـزِّ الكيـل تجزئةً ولا تَدَعهُـم يقولـوا زاد أو قَصُـرا

يــا مُدمنًــا شُــربَها لا تَخــشَ قــطُّ أذى
فإنمــا اتخذوهــا الصالحــون غِــذا
وهــاكَ تكييفهــا دعْ عنــك ذاكَ وذا
القِشرُ سُدْسٌ وماءٌ خُمسُه وإذا شئت الزيادة زدْ سَهْمًا وكُن حَذِرًا

هــي المُنــى لأولــي الألبــاب والأدبِ
فاعكــف عليهــا تنــلْ مــا شــئت مــن أربِ
وخــذ لهــا باقتــدارٍ يابــسَ الرُّطَــبِ
وشُبَّ نارَكَ أوقدها بلا لَهَبٍ لينقُصَ الما وقد أصبحتَ مقتدِرا

حتــى إذا شَعْشَــعَتْها النّــارُ واعتصــرتْ
فارفــق قليــلًا تــرى الأســرارَ حيــنَ سَــرَتْ
ففــي أشِــعَّتِها الأنــوار قــد بهــرتْ
وحينَ يرسُب ذاكَ القِشْرُ، وانتشرتْ ريًّا من البُنِّ فانشقْ ريحه العَطِرا

قــد أورد الحُكَمَــا فــي وصفهــا نُبَــذًا
قالــوا: الحــرارةُ تَنفــي لِيــنَ كُلِّ غِــذا
كذلــك اليُبــسُ فاحــذر ذاك فهــو أذى
من حرقة البول إن كثَّرته وإذا لم تُلقِه نَفَحَتْ من ذاقها قذرًا

للــه درُّ فتــى بالنَّضــج عدلهــا
وبالقيــاس وبالتحميــس جمَّلهــا
وإن طَبَخــتَ شَــريخًا فهــو أفضلهــا
فحينئذٍ صلحت للشُّرب فادعُ لها خفيفَ روحٍ لبيبًا إن أشرتَ درى

مُهذبًا بصفاتِ الأكرمين حُشي
سليمَ قلبٍ بلا ريبٍ ولا دَهَشِ
يمحو بنور سناهُ آيةَ العَطَشِ
ورُح بها واغد في الصِّيني على فُرُشٍ نظيفَ جسمٍ وثوبٍ، تبلغِ الوطرا

وكلُّ ذنبٍ فإنَّ الله يغفرهُ
وكلّ عيبٍ فمولى العفو يسترهُ
فاشرب هُديتَ تنلْ ما أنتَ مُضمِرُه
في موضعٍ ليسَ فيه ما يُكدِّرُهُ فإنَّما جعلوها تُذهِبُ الكَدَرَا

كن عن جميع الورى بالله مرتضيا
وكن عن الثقلا يا صاحِ مختفيا
بغيرِ كِبْرٍ وعُجْبٍ مُفسِدٍ ورِيا
وقرِّبِ الطِّيبَ واشْمُم فيه مبتديًا ولا تدعه وراها قَلَّ أو كثُرا

وخلِّ عنك دواعي الهمِّ والكَرَبِ
واذهب مع الدَّهر في سَيْرٍ وفي خَببِ
واسلك طريق رجال العلم والأدبِ
ولا تكن غافلًا عن مُنشِدٍ طَرِبٍ فهذه ساعةُ الأشعارِ والشُّعَرا

كن عن همومك بالإنشاد مشتغلا
واحذر وُقيتَ الرَّدى شُربًا مع الثُّقلا
فإنما جعلوها تُذهِبُ المَلَلا
فإن يكن من رجالِ الذين زدتَ على هذا شروطًا فخذ عني به خبرًا

صُنْ ماء وجهك عن حُرٍّ عليك يَمُنْ
فإنَّ ماء المُحيَّا من يُرِقْهُ يَهُنْ
وطهِّرِ القلب عن ريبِ الذُّنوب وصُنْ

طهارة مثل تطهيرِ الصَّلاة وكُنْ مستقبِلًا قِبلةَ الإسلامِ مُستَتِرًا

أحسِن بربِّكَ ظنًّا تبلغِ الأملا
ومن عقوبته كُن خائفًا وَجِلا
كُن ثَمَّ بين الرجا والخوف مُبتهِلًا

نَقيَّ سِرٍّ بذكرِ الله مشتغِلًا في السِّرِّ والجَهرِ عمّا قد ذرا وبرا

قد فازَ مَن قَبْلَها أمَّ الكِتاب تَلا
وبعدها فهي للقلبِ الصَّديِّ جَلا
فهذه سُنَّةُ الأخيار والفُضلا

كذا على شُربِها قلْ يا قويُّ على أعدادها وبهذا وصِّ من حَضَرا

عسى يُخفِّف عنكَ اللهُ سيئةً
والعينُ تُضحي لمن تهواه رائيةً
فالزم روايتها لا تخشَ عاريةً

تقول ذلك عشرًا تقتضي مئةً وستَّةً فالتزمها تَصحَبِ الظَّفَرا

وكُن بها أبدَ الأيَّام مُرتبطا
حتى تكونَ بذكرِ اللهِ مُغتبطًا
ولا ترى أبدًا ميلًا ولا شَططا

وتشهَدُ السِّرَّ عمَّا قُلتَ منبسطًا فيها وتلمَحُ ذاكَ السِّرَّ حين سرى

فـي قهـوةِ البُـنِّ معنـى ليـسَ ينفهـمُ
قـومٌ بهـا فـي صـلاحِ الحـال قـد حكمـوا
وفيـه قـد تبعـوا التَّخليـطَ والتزمـوا

فمـن هنـا خَبَطـوا فيهـا ومـا علمـوا   بمـا جرى مـن قديـم الأمر حيـنَ جرى

إلا رجـالًا سَـموا بالعلـم والعمـلِ
قـد شـاهدوا سِـرَّها بيـن الدِّنـان جلـي
فسِـرتُ أقفوهـمُ فـي أوضـح السُّبُلِ

فهـذه نُبـذةٌ جـاءت علـى عجـلٍ   جمعـتُ فيهـا لـك الآداب مُختصِرًا

خَمَّسْـتُها تابعًـا مـا قـال شـاعِرها
مـن بحـرِ أفـكاري اختيـرت جواهرهـا
تنظَّمـت واسـتوت عنـدي نوادرهـا

وفَـت ثلاثيـن[1] بيتًـا، قلتُ آخرهـا: الحمـدُ للـه مغنـي فاقـة الفُقَـرا

[لعبد الصمد باكثير في مدح القهوة وذمِّ التنباك]

وله كذلك في مدح القهوة وذمِّ التُّنباك[2]: [الوافر]

ألا يـا طالـب الرَّاحـات هـذا   أوانُ البَسْـطِ فاغنـم مـا يَسُـرُّكْ
وذا الإخـوان قـد جلسـوا وطابوا   فجُـلْ بمجالِهـم يـزدادُ بِشـرُكْ
عليـكَ بقهـوةِ البُـنِّ التزِمهـا   فمـا أهنـى ومـا أشـهى وأبْـرَكْ

---

(1) في برلين والملك فيصل: ثلاثون. والصواب ما أُثبت من نسخة برنستون.
(2) ديوان الشيخ عبد الصَّمد باكثير، ص276.

إذا خمَّسْـتَهُ ونَشَـقتَ مِنـه   شـذى تحميسـه فابشـر بخيـرِكْ
وقهوتنـا إذا دارتْ علينـا   لأفـواجِ السُّـرورِ هنـاكَ مَعْـرَكْ
فمـا عَبَـرَتْ بـذي عقـلٍ ولُـبٍّ   وشَـمٍّ أريجهـا إلا تحـرَّكْ
نفـوسُ الأوليـا طابـت عليهـا   فمـا عـن شُـربِهِمْ زَيْـغٌ ومَتْـرَكْ
إليهـا الشَّـاذلي بالسِّـرِّ أومـى   فَسِـرْ فـي إثْـرِه للـه دَرُّكْ
ولا تجْنَـح إلـى التُّنبـاك إنِّـي   نَصِيحُـكَ إنَّ فِيـهْ أشـيا تَضُـرُّكْ
هـو العـار الـذي يُـردي ويُـزري   هـو الـدَّاء الدَّفيـن فـلا يَغُـرُّكْ
دُخـانٌ مُنـتِنٌ داءٌ عُـضالٌ   فـلا تتبـعْ فتًـى أضحـى يَجُـرُّكْ
شـرابٌ مُهـلكٌ لا تشـتـريهِ   وضُـمَّ إليـكَ نَقـدَكَ فـي مَصَـرِّكْ[1]
وإن نـاداكَ للتُّنبـاكِ داعٍ   فقـل عنِّـي إليـكَ كُفيـتُ شَـرَّكْ
فعـارٌ أن يمـرَّ دخـانُ هـذا   بلحيـةِ عاقـلٍ فعليـكَ حِـذْرَكْ
لقـد أخطـى الـذي يسـعى إليـه   يمـصُّ دخانـهُ فـي كلِّ مَبْـرَكْ
أتتْبَـعُ بِدعـةً صَـدَرَتْ إلينـا   دَسيسـةَ كافـرٍ باللـه أشـرَكْ
شـرابٌ مـن حميـمٍ ليـسَ فيـهِ   سوى مـرضِ القلـوبِ فأيـنَ فِكْـرُكْ
فأوَّلــهُ سُعــالٌ واصفِـرارٌ   إلـى سِـلٍّ يَعـودُ فهـاتِ عُـذرَكْ
لأيَّــةِ عِلَّــةٍ وصفـوهُ حتـى   شَـدَدتَ إليـه يـا مسكينُ ظَهـرَكْ
ظَللـتَ عليـه فـي الأوقـاتِ طُـرًّا   يمـرُّ سَـبَهْلَلا ظُهـرُكْ وعَصـرُكْ
وإن قالـوا وجدنـا فيـه نَفعًـا   لقـد نقلـوا محـالًا ليـسَ يُـدرَكْ
إذا قعـدوا علـى التُّنبـاك فانهـض   لقهوتِـكَ الكُمَيْـتِ يزول عُسـرُكْ

(1) المصرّ: اسم من أسماء العمامة في جنوب الجزيرة العربيّة، وكان الناس إلى قريب يربطون طرف المصرّ أو العمامة على نقودهم.

ولا تبـرَحْ ملازِمَهـا دوامًـا ... على طولِ المدى شهرِكْ ودهرِكْ
ورتِّـب يـا قـويُّ تنـالُ عِـزًّا ... وقـل: يـا ربُّ يسِّـرْ لـي بيُسْـرِكْ
علـى أعدادهـا مئـةً وسِـتًّا ... وعشـرًا هكـذا سِـرَّك وجَهـرَكْ
بصـدقِ عقيـدةٍ واعقـد عليـه ... بنيَّـةِ ذاكـرٍ خَمسَـكْ وعَشْـرَكْ
وقـل يـا ربِّ سـلِّمنا جميعًـا ... وألهمنـا مـدى الأيـامِ ذِكـرَكْ
ومـن تُنباكِهِـم يـا ربِّ جِرنـا ... فـإنَّ الخلـقَ طُـرًّا تحـتَ قهـرِكْ

[أبيات لأبي الحسن البكري في القهوة]

ولأبي الحسن البكري[1]، الإمام العلامة، أبياتٌ شهيرةٌ ذاعت إبَّان حرب القهوة التي تولَّى كِبرها في مِصرَ، الشيخ العلامة أحمد بن عبد الحق السنباطي، يقول: [الطويل]

أقـول لمـن قـد ضـاق بالهـمِّ صـدرُه ... وأصبـحَ مـن كثـر التشـاغل فـي فكرِ
عليـك بشـرب الصالحيـن فإنـه ... شـراب طهـور سـامي الذكـر والقدرِ
فمطبـوخ قشـر البـن قـد شـاع ذِكْره ... عليـك بـه تنجو مـنَ الهمِّ فـي الصدرِ
وخـل ابـن عبـد الحـق يفتـي برأيـه ... وخذهـا بفتـوى من أبي الحسـن البكري

وله أيضًا، وقد انتشرت: [السريع]

يـا قهـوةً تُذهـب هـمَّ الفتـى ... أنـتِ لحـاوي العلـم نِعـمَ المُـرادْ[2]

---

(1) تاريخ الطيب (211)، النور السافر (385).

(2) في عمدة الصفوة - برلين: لبعضهم، ونسبها الطيب با فقيه في تاريخ الشحر (311) لأبي الحسن البكري (ت952هـ)، وكذا في صفوة الصفوة للعيدروس، وفي رسالة القهوة والشاي للقاسمي، (26)، نسبها لابنه محمد بن أبي الحسن البكري (ت998هـ)، ونسبها علي الخاقاني في معجمه شعراته (2/12) إلى السيد جعفر الخرساني (ت 1303هـ) وهو متأخرٌ جدًا.

شـراب أهـل اللـه فيهـا الشـفا لطالـب الحكمـة بيـن العبـادْ

نطبخهـا قشـرا فتاتـي لنـا فـي نكهـة المسـك ولـون المدادْ

مـا عـرف المعنـى سـوى عاقـلٍ يشـربُ فـي وسـط الزبـادي زبادْ

حرمهـا اللـه علـى جاهـلٍ يقـول فـي حرمتهـا بالعنـادْ

فيهـا لنـا بـرء وفـي حانِهـا صحبـة أبنـاء الكـرام الجيـادْ

كاللبـن الخالـص فـي حِلِّـه ماخرجـت عنـه بغيـر السـوادْ

وقد خمَّسها عددٌ من الشُّعراء، وتبارزوا فيها.

[تخميس ناصر الدين بن أبي الجود لأبيات أبي الحسن البكري]

وكانَ ممّن خمَّس قصيدة الإمام أبي الحسن البكري، الشيخُ ناصر الدين، محمد بن أحمد بن أبي الجود، الذي كان قاضيًا رئيسًا للكَتَبَة بمحكمة القسمة بدمشق، قال[1]: [السريع]

كم قلت والصدق غدا مبهتاً

أما تخاف الله حتى متى

رغمًا به فيما به قد أتى

يـا قهـوة تُذهِـبُ هَـمَّ الفَتَـى أنـتِ لقـاري العلـمِ نِعـمَ المـرادْ

ويحكَ كم تَذكُرها بالجَفا

معاندًا أهلَ الوفا والصَّفا

ونفعُها بين الورى ما خَفَا

(1) الكواكب السائرة (3/ 48)

شـرابُ أهـلِ اللـه فيهـا الشِّـفا لطالـبِ الحكمـة بيـن العبـادْ

يـا طِيبهـا فيهـا الهَنـا والمُنـى
وتذهـب البـؤس وتنفـي العنـا
ومـن سـنا مـا تحتـوي أننـا

نطبخهـا قشـراً فتأتـي لنـا في نكهـة المسـك ولـون المدادْ

كـم بلَّغـتْ مُغـرَّى بهـا آمـل
مراتبـاً عـزت علـى فاضـل
مسـتورة عـن جاحـد جاهـل

مـا عـرف المعنـى سـوى عاقـل يشـرب فـي وسـط الزبـادي زبادْ

مـا حازهـا غيـرُ فتّـى كامـلِ
محجوبـة عـن مهمـلِ سـافلِ
يضـرب فـي المـاء بـلا طائـلِ

حرَّمَهـا اللـهُ علـى جَاهِـلِ يقـولُ فـي حُرمَتِهـا بالعِنـادْ

يـا حُسـنَهَا وهـي بِفِنجانِهـا .
تُزهِـرُ كالعيـنِ بإنسـانها
يقـولُ كلُّ النـاس فـي شـأنها .

فيهـا لنـا بـرء وفـي حانهـا صحبـةُ أبنـاءِ الكـرامِ الجيـادْ

خسـا الـذي قـد قـال فـي نقلـهِ .
بأنهـا تَحـرم مـن جهلـه
ليسـت تحاكـي الـراح فـي فعلـه .

كاللبـن الخالـصِ فـي حِلّـه مـا خرجـت عنـه بغيـرِ السـوادْ

[سؤال منظوم، وجوابه لعلي بن عِراق]

وكتب الشيخُ العلَّامة رضيُّ الدِّين محمد بن إبراهيم، ابن الحنبلي[1] إلى عالم الحرمين في زمنه، الشيخُ نور الدين، عليُّ بن الشيخ العارف بالله تعالى، محمد بن عراق الشافعي[2]، مستفتيًا في شأن القهوة من مدينة حلب، على إثرِ المرسوم السلطاني بمنع القهوة في شوال سنة 953هـ دمشق قال: [الرمل]

أيهـا السـامي لكلتـا الذروتيـنْ ... بجـوار المصطفـى والمروتيـنْ

والعلـي القَـدْرِ علمـاً وكـذا ... عمـلاً فـوق علـو النَّيِّرَيْـنْ

مـن لـه فـي الزهـد بـاعٌ ويـد ... فلـذا ترمقـه صفـر اليديـن

أفتنـا فـي قهـوةٍ قـد ظُلِمَـتْ ... حيثمـا شِـئتَ تَعاطِيهـا بشَـيْن

مـن تَلَـةٌ هالنـا مَهْيَعُـهُ ... واقتـراف لأقاويـلٍ ومَيْـنْ

ومراعـاة أمـور شـاهدتْ ... فِعلهـا فـي الحانِ كلتـا المقلتينْ

وحكـى شُـرَّابُها أهـلَ الطِّـلا ... فالتدانـي بيـنَ تَيْـن الفرقتيـنْ

أودِعـوا ذا الطـرس ما يرجـو الفتى ... أو دعـوا فاليـأس إحـدى الراحتينْ

فأجاب الشيخُ عليُّ بن عراق رحمه الله بقوله[3]: [الرمل]

أيهـا السـامي سـمو الفرقديـن ... وإمـام العلـم مفتـي الفرقتيـنْ

---

(1) محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي القادري التاذفي، الحنفي، رضي الدين، المعروف بابن الحنبلي، مؤرخ من علماء حلب، مولده ووفاته فيها. كان بينه وبين أبي الفتح المالكي مشاكسات ومنازعات، وكانا يُعرِّضان ببعضهما، له: درر الحبب (مطبوع)

(2) علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن ابن عراق الكناني، نور الدين: فقيه، متصوف له نظم، وفيه قوة على نقد الشعر. ولد في دمشق ورحل إلى الحجاز، فتولى الإمامة بالمدينة وتوفي فيها سنة 963هـ. انظر: الكواكب السائرة (2/ 196)

(3) عمدة الصفوة: الملك فيصل (67)، برنستون (62).

جاءني منك نظام قد حكى ... في نُصوعِ اللفظِ مسبوكَ اللجينْ

قلت فيه أن ذي القهوة قد ... ظلموها بتلةٌ ويمينْ

وبمطعومٍ حرامٍ وغنى ... وبرقصٍ وبصفقِ الراحتينْ

وطلبت الحكم فيه بعد ما ... قد رأيتم ما ذكرتم رأيَ عينْ

وجوابي أنَّها حِلٌّ ولا ... يقتضي ما قلتمُ تحريمَ عيْن

وعلى ذا الأمرِ إنكارُ الذي ... شَابَها حتى تُصفَّى دون رينْ

وإذا لم يستطعه دون أنْ ... يمنع الأصل ففعلٌ منه زَيْنْ

والتداني من حماها وهي في ... وصفها المذكور شَيْنٌ أيُّ شينْ

والصفا في شربها مع فتية ... أخلصوا التقوى وشدوا المئزرينْ

ثم ناجوا ربهم جُنحَ الدَّجَى ... بخشوعٍ ودموعِ المقلتينْ

فابتداء الأمر فيها هكذا ... مِن وليٍّ قد حكوه دونَ مَينْ

ذا جوابي واعتقادي أنه ... في اعتدالٍ كاستواءِ الرَّاحتينْ

ثمَّ أجاب على السؤال الوارد، أخوه الشيخ عبد النافع بن عراق[1]، فقال[2]: [الرمل]

أيُّها السَّامي سمو القَمريْنْ ... مُذْ تأسَّى بشعار العُمريْنْ

يا رضيَّ الدِّينِ يا وجه الرِّضى ... من أرى فيه غرامي فرضَ عينْ

يا إمامًا في المعالي والتُّقى ... يا هُمامًا آخذًا بالطَّرفينْ

قد رأينا مِنك نَظمًا قد أتى ... في انسباكٍ دونَه سَبْكُ اللجينْ

(1) عبد النافع بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق، أخو الشيخ علي بن محمد بن عراق السابق ذكره، كان قاضيا أديبًا لبيبًا، توفي بمكة سنة 962 هـ انظر: الكواكب السائرة (2/ 182).

(2) عمدة الصفوة: نسخة الملك فيصل (ق67)، نسخة برنستون (ق62).

فيه قد عرَّضت بالقهوة إذْ قلتَ عمَّا رُبّيَ فيها رَأيَ عَينْ
من أمورٍ كُلّها قد قبُحتْ وجوابي ذاك جزمٌ غير مَيْنْ
غيرَ أنَّا عينَها نَشْربُهُ ونرى ذاك حلالًا دون شَيْنْ
ومحيط علمكم يا ذا التُّقى إنَّ ظنَّ السوءِ فيها غير زَينْ
وفِعالُ البعضِ من شُرّابِها ما ينافي ما به تحريمُ عَينْ
وإذا للحقِّ عُدنا أن مِن وَرَعٍ شُربًا ودَورًا تَرْكُ زَينْ
وإذا ما لتعاطِيها دُعي صاحبُ فليقتصِرْ مِن رشفتينْ
ذا جواب العبد عبد النافع ابن عراق رافعًا للراحتين

[هل القهوة حرامٌ أم لا؟]

وسئل الشيخ عليّ بن عراق[1] عن القهوة، أهي حرامٌ أم حلال؟ فأجاب:

قد كنتُ تارك شُربها في مُدَّةٍ تُوفي على عشرين عامًا واثنتينْ
فأصابني مرضٌ فقال طبيبه: خُذها فكان بها الشُّفا في مرَّتينْ
فبذلك السبب استدمت شرابها ورأيت فيها النَّفع صِدقًا غير مَيْن
والمُدَّعي التحريم يعوزه الدَّليل ويقتدي أُحدوثةً في الخافقينْ
هذا جواب عليٍّ بنُ عراقَ را جي العفو جارِ المصطفى في المكَّتينْ

---

(1) تقدّمت ترجمته.

[من وصايا القهوة للشيخ عمر العمودي][1]

لم تكن القهوة قبل القرن العاشر الهجري معروفةً في نطاقات واسعة من المجتمع الإسلامي العربي، بل كانت مقصورةً على أهل العلم والتصوُّف. فلمَّا كان القرن العاشر وخرجت القهوة إلى الفضاء العام، صارت بهذا التَّبَرُّج عُرضة لسوء الاستخدام، واختلط بها ما هو منكر في الشريعة، فحصل الشطط فيها والشطح، وتعاورتها ألسنة الفقهاء كذا السُّفهاء أخذًا وردًّا، فكتب بعض المشايخ يوصي طُلّابه وذكّرهم بالغرض الذي اعتنى لأجله المشايخ بالقهوة، قال الولي الشيخ عبد الرحمن بن عمر العمودي[2]، نفعنا الله ببركاته: [البسيط]

أســرارُ قهوتِنــا خُذهَــا مُبيَّنَــةً ... تُعيـنُ سـالِكَنا فـي الليلِ إذْ سَـهِرا

وتَشـرحُ القلـبَ والأعضاءَ تَبسـطها ... وتُذهـب الهَـمَّ والأحـزانَ والكَدَرا

فاشـربْ فَديتُـكَ منهـا ما قَـدَرْتَ له ... وقُـمْ نَصحتُكَ بالأسـحارِ ما يَسُـرا

واخلِـصْ لـذي نِيَّـةٍ مهما شَربتَ لها ... وكـن كَسـويًا[3] بهـا الخيـراتِ مدَّخـرًا

واقتـدْ بشُـرَّابها ممن مضـى خلفًا ... ذوي الصَّـلاح، ولا تقتدْ بمن خَسِـرًا

واسـأل إلهـك أن يُفضـلْ برحمتِه ... علـى نبيِّـكَ خيـرِ الخلق والبشـرا

محمـدِ المصطفـى زيـنِ الوجود به ... صـارتْ شـريعتنا تسـهيل ما عسـرا

---

(1) صفوة الصفوة في بيان حكم القهوة -خ، لعبد القادر بن شيخ العيدرس: نسخة برلين، نسخة مركز النور للدراسات بتريم؛ والزّهر الباسم من روض الأستاذ حاتم، عبد القادرر بن شيخ العيدروس (نسخة المكتبة البريطانية)؛ النور السافر (239)؛ وتاريخ الشّحر وأخبار القرن العاشر، للطيب بافقيه (360).

(2) هو الإمام العالم، المُسلِّك العارف، وجيه الدين، عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عثمان بن محمد العمودي، فقيه شافعي، أخذ عن الحافظ شهاب الدين بن حجر الهيتمي، والشيخ أبي الحسن البكري، وكان يحفظ الإرشاد للمقري، وله عليه حاشيةٌ، مع عظيم عبادة واجتهاد في الطاعة، توفي في مكة سنة 967 هـ انظر ترجمته: النور السافر (358)، شذرات الذهب (509/ 10)، ومعجم المؤلفين (5/ 160).

(3) في صفوة الصفوة نسخة برلين، ونسخة مركز النور، وفي الزّهر الباسم: كثيبا، وما أثبتّ من تاريخ الشحر للطيب با فقيه (390).

[للعلامة عبد القادر بن أحمد الحَبَّاني]

وللشيخ العلامة عبد القادر بن أحمد الحباني[1] في القهوة ومنافعها[2]:

[الكامل]

وُصِفَتْ لنا يا ابنَ الأئمة قهوةٌ ... أوصافُها زادت على أخواتِها

فرأيتُها وشَمَمتُهَا ولمستُهَا ... وشَرِبتُها وسمعتُ حُسنَ صِفَاتِها

فتلذَّذتْ كُلُّ الحواسِ بقربِهَا ... ونَشَتْ على أعضائِنا نَشَواتُها

وتفتَّحتْ أبوابُ كلِّ مقفَّلٍ ... مِن أمرِنا المطلوبِ عن بَرَكَاتِها

سِرٌّ من الله العظيمِ تفرَّدتْ ... شَجَرُ السرورِ بِهِ على شَجَرَاتِها

فسقى الحيا مُغدوْدقًا في رَغْدِهِ ... وبُرُوقه بلمى فَضَا عَرَصَاتِها

مُتراكِمًا مُترادِفًا مُتواترًا ... مُتواصِلَ الغَدَواتِ مَعْ عَشَواتِها

فلئن سَقاها المُزنُ مِن هَطَلاتِه ... فلقدْ سَقَتْ أهلَ العُلا مِن ذَاتِها

أروتْهُمُ فأرتْهُمُ ما لَم يَرَوا ... من غائباتٍ تِلكَ مِن آياتها

حتى على ذي الرُّشد يَسعى نَحوها ... وبَذْلُ أعزَّ المالِ في غلواتها

ينوي بذلك نَيلَ ما قد قُلتُه ... والسِّرُّ في الأعمالِ في نيَّاتها

ولكلِّ أمرٍ دنيويٍّ يا فتى ... أو أخرويٍّ من جَميعِ جِهاتِها

فاعْلَق بها والعقْ بها واقلَع بها ... والقَعْ بها لحميِّها وحُمَاتها

---

(1) الشيخ العلامة عبد القادر بن أحمد بن أبي بكر الحبّاني، ولد سنة 893هـ وأخذ عن علماء عصره حتى صار عالم قطره، ومرجع الفتوى إليه في وقته، وله عدة مصنفات، منها: الياقوتة الوقّادة في مناقب السادة-خ، البرهان القطعي في نصرة الدين-خ، وغيرها، ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر: مقدمة تحقيق كتاب شذور الإبريز في لغات الكتاب العزيز للعلامة محمد بن عبد القادر الحبّاني (ابن المترجَم له)، تحقيق أمين عمر باطاهر (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم درمان، 1434هـ/ 2014م، ص33. وعنه: الكوكب المنير الأزهر-خ: 165.

(2) الزّهر الباسم -خ: (284)، وصفوة الصفوة- خ: (برلين: 361)، (مركز النور: 15).

واعقلْ بها التُّحَفَ الأوابدَ يا فتى ... واقعِلْ أناها يا رئيسَ سُراتها
عندي لها وصفٌ يزيدُ وإنّما ... هذا الذي أبديتُ بعضُ زكاتها
خُذها هديَّةَ صادقٍ في وُدِّه ... ولو اغتنيتَ بأمِّها وبَناتِها
إنَّ الهدايا في البرايا سُنَّةٌ ... فابعثْ بِها يابنَ الكِرام وهَاتِها
وصلاةُ ربي والسَّلام مقارنًا ... تغشى الهُداةَ تَخصُّ خيرَ هداتها[1]
هادي الورى برجالها وبخيلها ... وقِسِيِّها وبسُمرِها وصُباتها
دانوا له حتى استعانَ بهم على ... مَن شَذَّ من أَعْناتِها وطُغاتِها
ثمَّ استمرَّتْ سُنةٌ مِن بَعده ... فرضُ الجهادِ على الورى وولاتِها
فالله يُصلحُهم ويُصلِح شَانَهم ... ما دامتْ الدُّنيا إلى ميقاتِها

[الدَّور باطل]

دخل القاضي صالح جلبي الأماسي حَلب قاضيًا سنة 951هـ فأنكرَ على أهلها شُربَ القهوة بالدَّور المُراعى في شُرب الخمر، ومنعها، وكان عنده يوم منْعِها الشَّيخ محمد بن إبراهيم الحنفي، المعروف بابن الحنبلي، صاحب «دُرّ الحَبب»، فسأله القاضي: هل تشربونها بالدَّور؟ فقال: نعم، والدَّور كما شاع باطل، ثمَّ أنشده من نظمه[2]: [المجتث]

[ذي] قهوةُ البنِّ أضحى ... بها الحمى غيرُ عاطلْ
لكنَّهم شربوها ... بالدَّورِ والدَّورُ باطلْ

(1) انتهى من الصفوة، والأبيات التالية من الزهر الباسم.
(2) انظر: دُرّ الحبب (701)، الكواكب السائرة (2/151)

[مناكفة بين ابن عماد الدِّين الشافعي وأبي الفتح المالكي]

ولما كانت سنة إحدى وستين وتسعمائة منع الحكام في دمشق، من شرب القهوة، فقال الشيخ علاء الدين بن عماد الدين[1]، متعرِّضاً للشيخ أبي الفتح المالكي، المناصر للقهوة، وكان بينهما خصومةٌ، وكان أبو الفتح ممن اتُّهِمَ أنه يتعاطى البرش[2]، قال[3]: [السريع]

قل لأبي الفتح إذا جئتَهُ ... قولَ عَجولٍ غيرِ مُستأني
أدركْ بني البَرْش على بَرْشِهم ... قد مُنعوا من قهوةِ البُنِّ

وقال أيضًا توشيحًا يحلِّلُ فيه القهوة[4]:

اشرب من البنِّ قهوةَ الندما ... وأدركنْ منها المباح فما ... أحلى
من أين للفاضل الذي حكما؟ ... بماذا البَن أنه حُرِمَا ... نقلا؟
واستفت في حلها لمن علما ... وأترك مقال الجهول والخصما ... ألا
فلا تشبّه لشربها الحُرَمَا ... قد نصَّ أهلُ العقولِ والعُلما ... أن لا

---

(1) علي بن إسماعيل بن موسى الدمشقي، علاء الدين، الشهير بابن عماد الدين، شيخ فاضلٌ، وفقيه كامل، وأديب بليغ، كان بينه وبين أبي الفتح المالكي مشاغباتٌ، توفي بدمشق سنة 971 هـ انظر: الكواكب السائرة (3/ 164)

(2) البرش: معجون من الحشيش والأفيون، تقدَّم وصفه في «أرجوزة لطيفة في أحكام القهوة المألوفة»، فانظره.

(3) الكواكب السائرة (3/ 165)

(4) الكواكب السائرة (165/ 3).

[قصائد ومقطّعات لأبي الفتح المالكي]

لأبي الفتح يمدح البنّ[1]: [السريع]

أمـورُ هـذا البُـنِّ مـن رامهـا ... أدركَ منـهـا كـلَ مكنـونِ

لـو لـم يكـن فيـه سـوى أنـه ... ليـسَ يُـرى فـي فـم محزونِ

وله أيضًا[2]: [الهزج]

أدِر يـا مُـنـيـةَ الـنَّـفـسِ ... عـلـيـنـا قـهـوةَ الـقِـسِّ

وصَـرِّف لـيـلـنـا بـالـصَّـرْ ... فِ حـتـى مـطـلَـعِ الـشَّـمـسِ

ولا تـمـحـو بـهـا أبـدًا ... ثُـبـوتَ الـرُّوح لـلـقُـدسِ

فـإنَّ الـرَّاحَ عـنـدَ الـنَّـفـسِ ... أحـلـى مـن مُـنـى الـنَّـفـسِ

وله[3]: [مجزوء الرمل]

هــذه الـقـهـوة هـذي ... مـا هـي الـمـنـهـيُّ عـنـهـا

كـيـفَ تُـدعـى بـحـرامٍ ... وأنـا أشـرب مـنـهـا؟

[لعبد القادر الجزيري صاحب العمدة]

ولصاحب «عمدة الصفوة في حل القهوة»، الشيخ عبد القادر الجزيري الحنبلي، المتوفى سنة 977 هـ، قصيدة جليلةٌ في مديح القهوة[4]: [البسيط]

---

(1) عمدة الصفوة، نسخة برنستون: لوحة 63

(2) عمدة الصفوة، نسخة برنستون: لوحة 63

(3) عمدة الصفوة، ص171

(4) عمدة الصفوة في حل القهوة –خ: (برلين: ق64، 64)، و(برنستون: ق63، 64)،و الملك فيصل (ق66)، والدرر الفرائد المنتظمة للجزيري (636/ 2)، وفي الدرر الفرائد مقطوعات منها منع من إثباتها في كتابنا أنها غير

أضوءُ أُنسٍ بدا يَهدِي لذي كَرَمِ ... أم نارُ قهوةِ قِشرٍ في دُجى الظُّلَمِ
موضوعُ صفوةِ أقوامٍ قد اجتهدوا ... في حِفظِ أوقاتِهم ليلًا على قَدَمِ
فانهضْ إلى حَانِها واشْهَد منصَّتها ... والمِم بكاساتها إلمامَ مُنسَجِمِ
فيها مَنافعُ لا إثمٌ يُمازِجُها ... ولا تَصُدُّ عن الطَّاعاتِ أو تُصمِ
ولا تُخدِّر كالأفيونِ إن شُربَتْ ... أو كالحشيشِ وما فيهِ مِن النِّقَمِ
ولا كَبَرْشٍ يؤدي مَسخَ مدمنه ... في الذَّاتِ والعقلِ والأحوالِ والشِّيَمِ
سمراءُ لا تنزِلُ الأحزانُ ساحَتَها ... تَشفي من النَّومِ أو عَرف بذا نعمِ
وللحصاة على الأدوار ثِق بشفا ... وللصداع ففيها أيَّ معتصمِ
تنشِّفُ البِلَّة الرطباء عن مَعِدٍ ... وللبلاغم قل ما شئتَ أن تَدُمِ
وفِعلُها في بواسيرٍ تداوَلَه ... أهلُ التَّجارِب حتى صار كالعَلَمِ
وفي الجماع لمرطوب المزاج تزد ... حتى يرى ذاك في فعلٍ وفي عدَمِ
تزيدُ في اللَّونِ إشراقًا حرارتُها ... وتُذهبُ الغمَّ في بدء ومُختتَمِ
لا عيبَ فيها سوى تنشيط شاربها ... وفي العبادة مِفتاح لذي الهِمَمِ
ففعلُها في نشاطٍ لا يعادلها ... فيه سواها ومشفاةٌ من السَّقَمِ
أكرِم بها من شَرَابٍ طَابَ مَورِدُه ... إلهام آل طريقِ الله إن تَرُمِ
حلو فكاهتها مُرٌّ مذاقتها ... حِلٌّ مساغتها في الحكمِ فاحتكِمِ
لها من البَسطِ ما يعنون مَرقحةً ... وهو ارتياحٌ لنفسِ الشَّاربِ النَّهِمِ
وخِفَّةٌ عندَ أسبابٍ تُعالجها ... مع اقتِدارٍ على الأعمال بالهِمَمِ
إن قلت فيها: حرامٌ وهو مُجتنِبٌ ... قلنا: المضرة فيه أيسرُ القَسَمِ

تامّة في أصل الدرر المنتظمة، وبها بياضاتٌ كثيرة.

فتـورُ أعضـاء مدمنهـا إذا فُقِـدتْ ... فـإن وَفَـتْ آن ما قد كانَ مـن عَدَمِ

وإن تصِفْهـا بيُبـسٍ للمـزاجِ فقُـلْ ... كُلُّ الكَثيـرِ عَـدوُّ الطَّبـعِ بالسُّـقْمِ

فَـدَعْ مقالـةَ مَـن قَـدْ ظَـلَّ يمنعُهَـا ... بحُرمَـةٍ ولشـرعٍ عـن هُـداهُ عَمِي

ولا تَكُـن عن أصولِ الشَّرعِ فـي دَهَشٍ ... فالحَقُّ يَظهرُ مِن معنى ومن كَلِمِ

والأصـلُ فـي مَطعَـمٍ حِـلٌّ بلا شُـبَهٍ ... فيمـا عـدا النَّصِ كالـمَيْتَاتِ أو كَدَمِ

وزعمـه أنهـا كالخمـرِ مُسـكرةٌ ... عنـادُه ظاهـرٌ فيهـا بـلا وهـمِ

إذ لـم نـرى شـارِبًا منهـا يُعربِدُ أو ... يَميـلُ سُـكرًا بقـولٍ غيـرِ منتظـمِ

نعـم إذا اقترَنَتْ بالوصـف أو جَمَعَت ... فواحشًـا، فاجتنـابٌ غيـرُ مُنفَصِمِ

وحيـثُ شِـئتَ بمحظـورٍ تعاطِيَهَا ... محـرَّمٌ لا لـذاتٍ فاصـغِ واسـتقِمِ

وادخـلْ لحاناتها واشـربْ وكُـنْ لَهِجًا ... بالذِّكـرِ فهـو طريـقُ الصَّـادقِ الفَهِـمِ

واسـتجلِ فِنجانهـا واغنـم مَسَـرَّتها ... فـي مَجْلـسٍ صـادقٍ للـه ذي الكَـرَمِ

مـع البَّخـور أو الرَّيحـان فـي مَلأ ... تَدفَـعْ بدعوتِهِـمْ ما خُفـتَ من نِقَمِ

ولا تكـنْ بالحديـثِ اللَّهـو مُشـتغلًا ... ففـي البطالـةِ أنـواعٌ مـن الوَصَـمِ

وقُـلْ بِهـا فـي عِبـاداتٍ وفـي سَـهَرٍ ... وفـي نَشـاطٍ وفـي عِلْـمٍ وفـي حِكَـمِ

فإنهـا الحِـلُّ مـا دامـتْ مُنزَّهـةً ... عـن الخبائـثِ فـي حِـلٍّ وفـي حَـرَمِ

وكلُّ مـن رامَ إعدامًـا لمشـرَبِها ... فقـد تعـرَّضَ للبلـوى وللعَـدَمِ

لأنهـا نُخبَـةُ السـادات فـي سَـهَرٍ ... كشـاذليِّ المخـا ذي الدِّيـنِ والقَـدَمِ

وكالمسـاوى وكالشَّـيخين فـي يَمَـنٍ ... همـا المُزَجَّـدُ والذَّبحـان[1] فـي أُمَـمِ

(1) المزجَّد: مرَّ معنا، الإمام العلامة أحمد بن عمر الزبيدي السيفي المذحجي (ت 930 هـ) كان من مشايخ القهوة، والذبحاني، هو محمد بن سعيد الذبحاني (875 هـ)، وقد عُزي له اكتشاف القهوة، وقد ناقشناه في المقدمة، فانظره.

وقلَّ من عابها إلا وقد وُصِفَتْ ... لدائه فغدت تشفيه من ألمِ

قد قِيلَ إن بها سِرَّ الوليِّ فدع ... ذكرَ النَّقيصة بالتَّسليمِ واستَلِمِ

وكُن بها جَذِلًا وأنجِح بها عَملًا ... ولا تكُن كَسِلًا في ساحة النَّدَمِ

فقد جَلَوتُ عروس الشَّرع وانقشعتْ ... غياهبُ الشَّكِّ عن نورٍ من الرُّقَمِ

ثُمَّ الصلاةُ على المختار من مُضَرٍ ... خير البريَّة من عُربٍ ومن عَجَمِ

لابن الجزيري يا مولاي جُدْ برضًا ... واغفر له يا عظيم العفو والكَرَمِ

وللجزيري مُضَمِّنًا: [الطويل]

أرى القهوة المسكيَّةَ العَرْفِ زانها ... مذاقٌ به تسمو وعنه تَسُودُ

«ترى النَّاس أفواجًا إلى ضَوءِ نارِها ... فنهم قيامٌ حولها وقُعودُ»[1]

---

(1) جاء في أخبار الظُّراف والمتماجنين لابن الجوزي (ص142): «قال مصعب الزبيري: أُتي العريان بسكران، فقال له: من أنت؟ فقال:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره ... وإن نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فخلاه، فإذا به ابن باقلاويٌّ (بائع باقلّاء). والقصة طويلةٌ، أوردتها مختصرة، فلتراجع في محلها.

[بيتان للخطيب الشِّربيني الشافعي]

ومما نُسبَ للفقيه الشافعي المعروف، الخطيب شمس الدين، محمد بن أحمد الشِّربيني، صاحب «مغني المُحتاج»[1]: [الطويل]

أقول لمن قد رام تحريمَ قهوةٍ   تأمَّلْ ولا تُصغي لقول سَفيه

فلو نُسِبَت شرعًا لأدنى كراهةٍ   لما شُرِبتْ في مجلسٍ أنا فيه[2]

[لمحمد بن عماد الدين]

ولمحمد بن محمد بن عماد الدين[3] في القهوة[4]: [الخفيف]

هذه القهوة الحلال أتَتْكُم   تتهادى والطِّيْبُ يعبِقُ مِنها

سَوَّدُوهَا على الحرام بحِلٍّ   وأماطوا غَوائلَ الغَوْل عَنْها

(1) القمحاوي، محمد، نزهة الإخوان في القهوة والدُّخان، مخطوط بمكتبة جوته بألمانيا، رقم Ms. orient. A 2105، لوحة4، 5.

(2) هذا البيتُ ونحوه، مما نُسبَ لكثيرين على سبيل تمثُّلهم به، فقد نُسب مثله لأبي الفتح المالكي، وعبد الغني النابلسي، وغيرهم.

(3) محمد بن محمد بن عماد الدين الدمشقي الحنفي العنابي الصالحي الأصل، ولد سنة 937هـ نحويٌّ عروضيٌّ فقيه، قرأ على مشايخ عصره كالشيخ أبي الفتح المالكي، وعمه علاء الدين بن عماد الدين، والشيخ إسماعيل النابلسي، وغيرهم، ودرَّس في الجامع الأموي، والتفَّ حوله الطلبة، وكان حسن الأخلاق رقيق المعاشرة، توفي سنة 986هـ بدمشق، ودُفن بمقبرة باب توما. لترجمته، انظر: ترجمته: الكواكب السائرة (3/ 35)، وشذرات الذهب (10/ 603)

(4) البيتان في: الكواكب السائرة (3/ 35)، وشذرات الذهب (10/ 604)

[قصائد ومقطَّعات لماميَّة الرومي الإنقشاري]

وللشاعر ماميَّة الإنقشاري[1]، في القهوة، قصائد ومقطَّعات رائقة، منها[2]: [الخفيف]

قد شربنا قهيوةً بُنِّيَّة ... ولها كانَ شُربنا بالنِّيَّةْ

قهوةٌ أنستِ المُدام بأُنسٍ ... وغدتْ كؤوسها مستويَّةْ

لونُها قد حكى ذائبَ مسكٍ ... أو زبادًا وسط الزبادي الجَليَّةْ

وبفنجانها لقد برَّحتْنا ... سيَّما من غزالة حبشيَّةْ

بحظوظِ الجمالِ حازتْ قَبولًا ... قلتُ: مهلًا لقد سَحرْتِ البريَّةْ

ليتَ شعري هل أخطأتْ بتِلافي ... بين أتراب جِنسها أمحريَّةْ[3]

زَمزَمتْ بالمُنى فطاف مَقامي ... وصفا الوقت والأماني وفيَّةْ

وبتدريجها لقد درَّجَتْنا ... لمغاني تلك المعاني الزَّهيَّةْ

وبوصفِ المقام أنشدَ شادٍ: ... شادَ بيت السُّرور بالشاذليَّةْ

يا إلهي فاختم بخيرٍ لعبدٍ ... ومحبٌّ للسادةِ القادريَّةْ

وعلى المصطفى صِلاتُ صلاةٍ ... كلَّ يومٍ في بُكرةٍ وعشيَّةْ

وقال أيضًا في القهوة[4]: [الطويل]

سمعتُ لسان الحال من قهوة الطِّلا ... تقول: هلمُّوا واسمعوا نصَّ أخباري

---

(1) تقدمت ترجمته في الموشحات.

(2) ماميَّة الرومي، محمد بن أحمد، ديوان محمد بن أحمد ماميَّة الرومي الحلبي، مخطوط بمكتبة جامعة برنستون ضمن السلسة الثالثة من مجموعة المخطوطات الإسلاميَّة، رقم 85، ص24 ، 25.

(3) الأمحرا أو الأمهرا: جماعة عِرقيَّة من الأحباش، غالبيتهم اليوم في إثيوبيا.

(4) ديوانه: 262

أباسْمي تسمَّت قهوة البُنِّ في الملا ولكنَّها لم تحكِ عن فعل خمَّاري
فمِن كِذْبِها قد سوَّد الله وجهها وعذَّبها بعد الإساءة بالنَّارِ

وقال أيضًا مضمِّنًا[1]: [البسيط]

قد قالت القهوةُ الحمراءُ وافتخرتْ: كم قد ملكتُ ملوكَ العَصرِ والدُّوَلِ
وقهوةُ القِدرِ إن قَدْرًا عليَّ عَلَتْ «لي أسوةٌ بانحطاط الشَّمسِ عن زُحَلِ»

وله[2]: [الخفيف]

طافَ يَسعى بقهوةٍ في مَقام شمس حُسن سما بصبح المحيَّا
كاسُها البَدرُ والنُّجومُ حَبَابٌ وهي ليلٌ تُجلى بكَفِّ الثُّريَّا

وقال أيضًا[3]: [الهزج]

أنا المعشوقة السَّمرا وأُجلى في الفناجينِ
وعودُ الهِندِ لي عِطرٌ وذكري شاع في الصِّينِ

وله أيضًا[4]: [الوافر]

أتتنا قهوةٌ من قِشرِ بُنٍّ تُعينُ على العبادةِ للعبادِ
حَكَتْ في كَفِّ أهلِ اللُّطفِ حَرفًا زبادًا ذائبًا وسط الزَّبادي

(1) ديوانه: 345،346

(2) ديوانه: ص347

(3) ديوانه: ص348

(4) المجموع، مكتبة فرنسا: ص214.

[موافقة القهوة لاسم الله «القوي» في حساب الجُمَّل]

ومن جُملة ما اعتقده الصُّوفيَّة في القهوة، أنَّها توافق اسم الله (القوي) بحسابِ الجُمَّل[1]، وقد روي عن بعض الصالحين فيها أبياتًا، قال العلامة شيخُ بن عبد الله العيدروس، والدُ مؤلِّف «صفوة الصفوة»: [البسيط]

وباسمه «يا قوي» إن شئت راتِبَها فالحق أندى لك الأكوان ألواحا

اقرأه في كلِّ وقتٍ عدَّ أَحْرُفِهِ تعاين الحيَّ والقيوم فتَّاحا

وقد كان يرى أن من راتبها قراءة الفاتحة مع قراءة يا قويٌّ، كما تقدَّم بعدد اسمها (116 مرَّة) وقال في ذلك: [البسيط]

وعند شُربكَ لها الفاتحة اتلُها ركِّبْ على قفلها الاسم مفتاحًا

قال ابنه عبد القادر بن شيخ العيدروس في الصفوة: ويعني بالاسم «يا قوي» كما تقدَّم، وتشبيهه له بالمفتاح؛ لفتح الأسرار التي احتوت عليها القهوة من الاستعارات البديعة، وذلك إشارة لما يُفتح على الذَّاكر من أسرار الغيب، وهي القهوة المعنويَّة، قهوة الصوفيَّة. فاستعمال هذه بالنسبة إلى تلك كالمجاز وتلك في المعني على التحقيق كالحقيقة. ومن ثمَّ قالوا: إنَّ المجاز قنطرة الحقيقة.

---

(1) حِساب الجُمَّل: بتشديد الميم وفتحها، نوعٌ من الحِساب، يُجْعَلُ فيه لكل حرف من الحروف الأبجديَّة قيمة عددية، فتجمع أعداد الحروف المكوِّنة للكلمة، ويكون حاصل الجمع رقمًا، وعادةً ما يستخدمون هذا الحِساب للتأريخ للوفيات، أو افتتاح المدن والبنايات، أو جلوس السلاطين عل الكرسي وغيره.

[بيتان لسراج الدين بن عمر الأشهل المدني]

ولسراج الدين بن عمر الأشهل المدني[1]: [المديد]

أرسلتُ رُسْلي لقهوةٍ سَحَراً ... فما أتَوْا سُرْعةً من الكَسَلِ
فقيل صِفْها فقلتُ مُقتبِساً ... جاءتْ على فترةٍ من الرُّسلِ[2]

[أبيات لإبراهيم بن المبلِّط]

وللشَّيخ، برهان الدين، إبراهيم بن المبلِّط القاهري[3]، الأديب الشاعر في قهوة البُنِّ[4]: [الطويل]

يقول عذولي قهوة البن مُرَّةٌ ... وشَرْبةُ حُلو الماء ليس لها مِثْلُ
فقلتُ على ما عِبتَها بمرارةٍ ... قد اخترتُها فاخترْ لنفسكَ ما يَحلو

وقال[5]: [المتقارب]

أرى قهوة البن في عصرنا ... على شربها الناس قد أجمعوا
وصارت لشُرَّابِها عادةً ... فليست تَضرُّ ولا تنفعُ

---

(1) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، الشهاب الخفاجي (429).
(2) يقتبس من الآية الكريمة في سورة المائدة: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عل فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ) (19)
(3) الشيخ برهان الدين، إبراهيم بن المبلط القاهري، أديب شاعرٌ، من أهل القاهرة، كان موجودًا سنة 991هـ انظر ترجمته: الكواكب السائرة (85/ 3)
(4) الكواكب السائرة (85/ 3)، عمدة الصفوة: نسخة برنستون، لوحة (57).
(5) الكواكب السائرة (58/ 3)

وقال وهو مشهور عنه[1]: [الكامل]

يـا عائبـاً لشـرابِ قهوتنـا التـي ... فيهـا شِـفاءُ النَّفـسِ مـن أمراضِها
أو مـا تَراهـا وهـي فـي فِنجانها ... تَحكـي سَـوادَ العينِ وَسْطَ بَياضها

[للأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري]

وللأستاذ الكبير، الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري[2]، في القهوة[3]: [الخفيف]

اسـقني فـي الصَّبـاحِ قَهـوةَ بـنٍّ ... أوهجـتْ نارُهـا لَهيبًـا ووَقـدًا
وأعِذهَـا واشـربْ معـي فـي أمانٍ ... وتجـاوز حَـدًّا ولا تخـشَ حَـدًّا
سُخْنَةُ اللمـسِ طَبعُهـا فيـه بَـردٌ ... عَجَبًـا كيـفَ مـازَجَ الضِّـدُّ ضِـدًّا
[مثل نـارِ الخليـل تُضـرَمُ نـارًا ... وعَليـهِ كانـتْ سَـلامًا وبَـرْدًا][4]
كَـذَبَ القائلـونَ لا نَفْـعَ فِيهـا ... فهـيَ عَـوْنٌ علـى فُـروضٍ تُـؤدّى
وهـي تَنفـي تَكَاسُـلًا وفُتـورًا ... ومَنَامًـا لمـن يُحـاوِلُ سُـهدًا
نَفْعُهـا قَاصِـرٌ علـى شـارِبيها ... والَّـذي لَامَ شَـارِبيهَا تَعَـدَّى
أيُّهـا اللائـمُ المُشـدِّدُ فيهـا ... لا تَلُمْنـي فقـد بَلَغْـتُ الأشُـدَّا
إنْ توافِـق فمرحبًـا، أو تخالـفْ ... فاتخـذ بيننَـا وبَينـكَ سَـدًّا

---

(1) الكواكب السائرة (3/ 58)
(2) تقدّمت ترجمته في الموشحات.
(3) ديوان ترجمان الأسرار: ق 86، ومجموع شعري مكتبة باريس: ص214
(4) ساقط من الديوان، وأثبته من المجموع الشعري بباريس.

وله كذلك[1]: [الطويل]

وقهـوةُ بُـنٍّ تـورث اللُّـبَّ قُـوَّةً ... ومـن عجـبٍ والقشر أصلٌ وعنصرُ

ومهمـا أرادت عُصبةٌ مَنع شُـربِها ... تَـرَى أَمْرَهَا يَعلـو ويَقـوَى ويَظهَرُ

وأعجَبُ منه قَـولُ مَنْ ضَـلَّ رَأيهُ ... بَلَـى عَـرَفَ الحقَّ الصُّراحَ ويُنكِرُ

يُكابِر فيهـا الحِسَّ واللـهُ شـاهدٌ ... فيزعُـمُ فيهـا أنَّهـا العقـلَ تُسْـكِرُ

ألا مـن رَأَى من يَجْحَدُ الشَّمْسَ ضوءَها ... ويَزعُمُهَـا مـن سُـدْفَةِ[2] الليـلِ أعكـرُ

فكـم عالَـمٍ مـن عالِـمٍ عامـلٍ لـه ... غَـرَامٌ بهـا عنـه العِبـارةُ تَقْصُـرُ

تحقَّـقَ فيهـا النَّفـعُ لا سـيَّما لمـن ... عَـنِ الجِدِّ فـي فِعـلِ العِبـادة يَفتُرُ

فيَنْشَـطُ حتـى لا تـوانٍ وربمـا ... بيُمـنِ تعاطيهـا لـه النُّـورُ يُسـفِرُ

ومـا ذاك إلا أنَّ منشـئها فتـى ... بأوصافِ أهلِ اللـه في الخلقِ يُذكَرُ

وتابَعَـهُ فـي شُـربها أيُّ سـادةٍ ... علومهُـم بيـنَ البَريَّـة تُنشَـرُ

مصابيـحُ إلا أنَّ ضَـوءَ جَمَالِهـم ... مِـن الشَّـمسِ في وَقـتِ الظَّهيرةِ أظْهرُ

فهـل بعدَ هـذا مِـن مَقـالٍ لطاعنٍ ... سـوى أنـه يهـذي افتـراءً ويَهـذِرُ

ومـا قُلتُـه عنهـا إذا لـم يكـن لهـا ... مُقـارنُ محظـورٍ فـإن يَـكُ يُحظَرُ

وهــذا لَعمـرُ اللــه جِـدٌّ مقالــةٍ ... بـه الحـقُّ إخلاصًـا أعـزُّ وأنصَـرُ

(1) ترجمان الأسرار، ق 101.

(2) السُّدفة: ظُلمة الليل (اللسان: سدف)

وله أيضًا[1]: [الرمل]

قهـوةُ البُـنِّ حـلالٌ وشِـفا ... شُـربُها أنعَـشَ قلبـي وشَـفَى

قهـوةٌ كالمِسـكِ لونًـا وشـذى ... شـوقها ينشـقُه مـن عَرَفَـا

يـا لهـا مِـن قهـوةٍ مـا ذاقهـا ... مَـنْ بـه أَلَـمٌ إلا انْشـفى

قهـوةٌ مُنعشـةٌ صافيـةٌ ... خصَّـصَ اللـه بهـا أهـلَ الصَّفـا

سُـخنةُ الملمـس فيهـا لـذَّةٌ ... مـذ عشِـقناها سَـلَوْنا القَرقَفـا

تهضِـمُ الأكل وتُبـدي فَرَحًـا، ... وسـرورًا وانبسـاطًا وصَفـا

إن يذُقْهـا عالِـمٌ حرَّمهـا ... تـابَ واسـتغفرَ ممـا سَـلَفا

قُـمْ إلـى حَانَاتِهـا تَحظـى بِهـا ... بَيـنَ إخـوانٍ كِـرامٍ ظُرَفـا

سـادةٍ سـادوا وشـادوا كرمًـا ... مـن زياديهـم كغيـثٍ وَكَفـا

واسْـتَلمها مـن يـديْ سـاقٍ بـدا ... شِـبهَ بـدرِ التَّـمِّ مـن غيـرِ خَفَـا

غُصـنُ بـانٍ إن تثنَّـى قـدُّهُ ... صـارَ فـي الحُسـنِ فريـدًا أهيفـا

ظبـيُ أُنـسٍ بيـنَ شَـرْبٍ[2] كُلَّمـا ... طـاف بالقهـوة خِلنـا أوْطَفَـا[3]

كيـفَ تُدعـى بحـرامٍ وهـي أن ... شـيخنا البكـريُّ منهـا رشـفا

لـو يكـن فـي شُـربها مـن ريبـةٍ ... مـا سـقوها عنـد قبـر المصطفى

---

(1) المجوع الشعري باريس، لوحة: 214، وفي حسن الدعوة للإدكاوي - خ، نسبها لصلاح الدين الحريري المصري في قصيدة تضمنت هذه الأبيات وفيها زيادة، ولم أعرفه. والأرجح أن القصيدة للبكري بدلالة ما رواه الإدكاوي بعدها، فقال: ومن أحسن ما قال أيضًا (أي الحريري): (يا قهوة تُذهب همَّ الفتى إلى آخره) وهذه القصيدة لأبي الحسن البكري، والد الأستاذ محمد البكري، وهي من القصائد التي اضطرب عزوها لأحد البكريين الأب والابن، فهي ليست للحريري قطعًا، كما نُسبت هذه الأبيات للعلامة أبو السعود صاحب التفسير، انظر: ترويح الأوقات في المناظرة بين القهوة والقات، للمعلمي (35)، وهو خطأ.

(2) الشَّرْب: الجماعة من الناس يشربون.

(3) الأوطف: مذكَّرُ وطفاء، والوَطَفُ طول شعر الحاجبين والأهداب (اللسان: وطف)

وله كذلك[1]: [السريع]

يـا يـومَ بـولاقَ وأُنسـي بـه   حَـكَاكَ من شـوالَ يـومُ الهـلال

وأقبَـلَ النِّيـلُ جَنوبًـا ومـا   عَارَضَـهُ إلا نَسِـيمُ الشَّـمال

يـا عارِضًـا أوجـبَ للنِّيـلِ مـا   سَلْسَـلَهُ وهـو طليـقُ المجـال

ومـدَّتِ الرِّيـحُ علـى مَتْنِـهِ   مُعَنْبَـرَ الغَيْـمِ وريـفَ الظـلال

وقهـوةٌ تنضَـحُ مِسـكًا ولا   بـدع ففي الفنجـان شَـكلُ الغزال

حَبَابُهـا مـن فوقِـه مـانـعٌ   نَفَـارَه فهـي شِـباكُ الـلآل

تـديـرهُ هيفـاءُ ممشـوقةٌ   نَشوى تَثَنّتْ في بُـرود الـدَّلال

كاد حِجـى مـن أقبلـتْ نَحـوه   يَذهَـبُ من رَنَّـاتِ تِلـك الحِجَال

بِغُـرَّةٍ أو طُـرَّة وزَّعـتْ   أفكارَنـا بيـنَ الهُـدى والضَّـلال

تقـولُ للشَّـمسِ وقـد أشـرقتْ:   تَلَثَّمـي مَـا أنـتِ إلا خَيَـالْ

ونُسب له[2]: [الكامل]

للبـنِّ سِـرٌّ قَـد حَكَتـه شـيوخنا   يـا نِعـمَ مَـن هُـم كُلُّهـم أَقطـابُ

فيهـم تقـولُ وقـد تكَامَـل وَصْفُـه   فـي أَكْلِـهِ نَفـعٌ وفيـهِ ثَـوابُ

ومن بديعِ ما قاله[3]: [البسيط]

قُـمْ فاسـقني قهـوةً بَكرِيَّـةً فضَحَـتْ   بِكـرَ المُـدامِ وشـنِّف لـي الفناجينـا

تدعـو إلـى نحـو مـا فيـه البقـاء ولـو   دَعـتْ إلـى نحـو مـا فيـه الفَنَـا جِينـا

---

(1) ترجمان الأسرار، لوحة 145، ونسبها الإدكاوي في حسن الدعوة لحفيده المواهب البكري، انظر: (لوحة 11).

(2) كتاب التصوُّف وأيامه، ص231

(3) الحقيقة والمجاز، عبد الغني النابلسي، ص183، ونسبه ابن معصوم لبعضهم في السلافة، انظر: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ابن معصوم المدني (القاهرة: مكتبة الخانجي)، الطبعة الأولى، 1324هـ/ 1907م، ص56.

لـو أنَّ ألفَ امـرئ طافـوا بحانَتِها قصـدَ النَّجـاةِ رأيـتَ الألـفَ ناجينـا

وذيَّلَ على هذه الأبيات، الشيخُ زين الدين بن عبد القادر الطبري[1]، فقال[2]: [البسيط]

يـا ربة الأنـس حلينـا حمـاك فإن نطلـب فجـودي وإن نسـأل فناجينـا

وذيَّل عليها كذلك الشَّيخ محمَّد الرَّشيدي[3]، فقال[4]: [البسيط]

من كَـفِّ ظبيٍ بديـعٍ راقَ مَبسَـمه نادتـه عُشَّـاقُه يـا إلفَنَـا جِينـا

جينـا إليـكَ فحيينـا، وهـا قسـمٌ باللـه قُـم كَرَمًـا يـا إلـفُ نَاجينـا

وللشيخ عبد الغني النَّابلسي مواليًا في نفس المعنى[5]: [البسيط]

قُـم نحونـا أيُّهـا السَّـاقي فناجينـا واسـقي مـن القهـوةِ السَّـودا فناجينـا

نحـن الـذي إن دعـا داعـي فنـا جِينـا وإن تسـل فـي الهـوى عنَّـا فنـا جينـا

[تخميس ماميَّه الرومي لأبيات محمد البكري]

وكان ممَّن خمَّس أبيات البكري السابقة، الشاعر المفلق، الذي انتهت إليه صناعة الموشحات والأزجال، ماميَّة الرومي الانقشاري، وكان ماميَّه يعمل ترجمانًا بمحكمة القسمة بدمشق، صحبة ناصر الدين بن أبي الجود المتقدِّم، ولم أقف من تخميس ماميَّة إلا على بيتين: [الوافر]

(1) زين العابدين بن عبد القَادِر الطَّبَرِيّ الحُسَيْني المَكّيّ الشَّافِعِي إِمَام المَقَام الابراهيمي، ولد بمكة سنة 1002هـ وَنَشَأ وَحفظ القرآن وَأخذ عَن وَالده وعن أكابر شيوخ الحرمين، وله شعر لطيف، توفي بمكة رابع عشر رمضان سنة 1078هـ انظر: خلاصة الأثر (2/ 195)

(2) سلافة العصر، ص57

(3) لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من المراجع.

(4) الحقيقة والمجاز، ص183.

(5) الحقيقة والمجاز، ص183

وإخــوانٌ سَــموا فــي كُلِّ فــنٍّ   بِـدارٍ قـد حَـوَت مـن كُلِّ حُسـنِ
ولمَّـا أن حللناهـا بأمـنٍ   أتتنـا قهـوةٌ مـن قِشـرِ بُـنٍّ
تُعينُ على العبادة للعبادِ

[لعبد المعطي بن حسن باكثير]

وللشيخ الفقيه المفسِّر، عبد المعطي بن حسن باكثير[1]، الحضرمي المكِّيِّ ثمَّ المدنيِّ، في القهوة: [الكامل]

أهــلًا بصافــي قهــوةٍ كالإثمِـدِ   جُلِيَـتْ فزانـتْ بالخمـارِ الأسـودِ[2]
لمّـا أدِيـرتْ فـي كُـؤوس لُجينها   بيميـنِ سـاقٍ كالقضيـبِ الأملَـدِ[3]
يحكـي بيـاضُ إنائهـا وسـوادُها   طَرْفًـا كحيـلًا لا بكُحْـلِ المِـروَدِ[4]

[في تشبيه فنجان القهوة بالعين]

وللأديب المدني أحمد بن عبد المعطي باكثير، المعروف بـ«اليُتَيِّم» بالتَّصغير[5]، بيتان في تشبيه الفنجان بالعين، وهو ما خاض فيه كثيرٌ من الأدباء، يقول[6]: [الكامل]

---

(1) الشيخ عبد المعطي بن حسن بن عبد الله بن أبي كثير (باكثير)، العالم الفاضل، الفقيه المفسِّر، وُلد في مكة شهر رجب من سنة 905هـ ونشأ بها، وأخذ عن علمائها، له مشاركة في المنقول والمعقول، له شعرٌ لطيف، ومذاكرة حسنة، سافر إلى الهند أواخر أيامه، وتوفي بأحمد أباد سنة 989هـ. انظر: النور السافر (325)

(2) الإثمد: الكحل.

(3) اللجين: الفضة. الأملد: الطريّ الناعم.

(4) المِروَد: العُود الذي يُكتَحلُ به.

(5) هو أحمد بن عبد المعطي بن حسن بن عبد الله بن أبي كثير (باكثير)، لم أقف له على ترجمة مفردة. ويُسمى في معظم المراجع أحمد اليُتَيِّم، وذكره عَرَضًا الشيخ عبد القادر العيدروس في النور السافر في ترجمة والده انظر: النور السافر (331).

(6) انظر: النور السافر (331)، وريحانة الألبَّا (428).

لـلـهِ مُحْكَـم قهـوةٍ تُجْلـى لنـا ... فـي أبْيـضِ الصّينيّ طاب شَـرابُها
فكأنمـا هــي مُقْلــةٌ مكْحولــةٌ ... ودُخانُهــا مِــن فوقهـا أهْدَابُهــاَ

[لأبي بكر العصفوري]

ولأبي بكر العصفوري[1] في وصف القهوة[2]:

سـوداءُ مثـلُ المسـك لا كالنِّقْسِ[3] ... وجامُهـا الأصفـرُ مثـلُ الـوَرْسِ
جالبـةٌ للأُنــس بعــد الأنــسِ ... حَلَّتْ حُلولَ زُحَلٍ في الشَّمسِ

[للأصيلي في القهوة]

وقال الشيخ يحيى الأصيلي[4] في القهوة مادحًا[5]: [المديد]

هــات اســقني قهــوةً حــلالًا ... صِرْفًــا أداوي بهــا مزاجــي
وأنعـش بطيِّـب الحديـث روحي ... وكلّمــا تســقيني فناجــي

وله في تشبيه فنجان القهوة بعين الإنسان[6]:

اشـرب هنيئًـا قهـوةَ البـنِّ التـي ... فيهـا شـفاء للمريـض العانـي
بسـوادِها المبيَـضُّ فـي فِنجانِهـا ... جَـاءَتْ كَمِثْـلِ العَيـنِ للإنسـانِ

---

(1) أبو بكر بن محمد العصفوري، شاعرٌ أديب، له موشحات وشعر، وُلدَ بدمشق، واستوطن القاهرة وتوفي بها سنة 1103هـ انظر ترجمته: نفحة الريحانة (83/ 1)، والأعلام (70/ 2).

(2) نفحة الريحانة (86/ 1)

(3) النِّقْسُ: الحِبر.

(4) يحيى بن محمد بن محمد الأصيلي، شرف الدِّين، ناظمٌ وُلدَ ونشأ في دمياط بمصر، وانتقل للقاهرة، وتوفي بمكة حاجًا سنة 1010هـ انظر: الأعلام (214/ 9)

(5) عمدة الصفوة: نسخة برنستون، لوحة 56. وفيه ركاكة.

(6) عمدة الصفوة: نسخة برنستون، لوحة 57.

[للأديب أحمد العناياتي]

وللشيخ الأديب أحمد العناياتي[1] من قصيدة طويلة، يُشبّبُ فيها بساقٍ اسمه إبراهيم[2]: [الخفيف]

يا حَبيبًا في حُبّه تُبذَل الرُّو   حُ يُطاع الغرامُ يُعصى النَّصيحُ

قمرٌ طالعٌ على غُصنِ قَدٍّ   عادلٍ ما ثناهُ للفُحشِ رِيحُ

ضاعَ في نارِ خَدِّه مِسكُ فِكري   واصفًا من يضوعُ أعني يَفوحُ

خدُّ إبراهيمَ الذي يُنبِتُ الوَردَ   وللماءِ من لماه نُضُوحُ

ساقيًا ساقيًا إلى قهوةِ الرُّشدِ   هداةً تغدو لها وتَروحُ

قهوةٌ تُكسِبُ السَّفيهَ وَقارًا   وتُعيدُ البليدَ وهو الفَصيحُ

قهوةٌ لا جُناحَ فيها وكَمْ مِن   جَانِحاتٍ مِنها إليها جُنوحُ

قهوةٌ لا صُداعَ فيها نَعَمْ   فِيهَا مُزيلٌ مِنَ الصُّداعِ مُريحُ

صَنَعَ الصِّينُ مسكَها فحكاها   لَعَسٌ في بياضِ ثَغرٍ يَلوحُ

ليلَ وصلٍ في صُبحِ لُقيا حبيبٍ   طابَ منها غَبُوقُها والصَّبوحُ

قد حَكَتْ ماءَ زمزمَ هكذا عَن   شيخِها جاءنا حديثٌ صحيحُ

فإذا ما شربتَ فاشرب لِما شئـ   ـتَ تراها تُميحُ ما تَستميحُ

سقى اللهُ الشاذليَّ وحيَّا   في المخا سيّدًا حواهُ ضريحُ

---

(1) [illegible] أحمد بن [illegible] عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم النابلسي العناياتي – 1014 هـ: شاعر، ولد بمكة سنة [illegible] بالعناياتي [illegible] لقب أبيه. واستقر بدمشق وأقام مرة في جامع هشام بن عبد الملك جهة سوق [illegible] فجاور بها في إحدى حجراتها حتى توفي سنة 1014هـ. له: ديوان شعر، وله [illegible] الأخلاق المرضية» وله منظومة في آداب القهوة (التي بين أيدينا). انظر ترجمته: ريحانة [illegible] أعلام الأعيان (1/ 55)، وخلاصة الأثر (1/ 156)، ولطف السمر (1/ 280).

(2) [illegible] مخطوط المكتبة الوطنية بفرنسا، رقم (3418 Arabe) لوحة 27.

مِسكُ دارينَ في كَفِّ كافورَ ... رُبَّ ذاكَ الثمينِ رِبحِ الرَّبيحُ

ويمانيةٍ على اليُمنِ والأمنِ ... سقاها في الصُّبحِ ساقٍ صَبيحُ

من يمينِ إبراهيم حلالٌ وأمَّا ... من سِواه فمذهبي لا يُبيحُ

[لمحمد بن عمر العرضي الحلبي]

وللشيخ الأديب أبي الوفاء محمد بن عمر العرضي الحلبي[1] يمدح القهوة وساقيها[2]: [الطويل]

بروحي غزالٌ راح يُترِع قَهوةً ... براحتِه البيضاء تَحكي الغواليا

فَقَرَّتْ به عَينٌ تُطالع وَجْهَه ... وثَغرُ ثناياهُ نُظِمْنَ لآليا

فأحبِبْ بِها سَوداءَ مسكيَّةَ الشَّذا ... «ولولا سواد المسك ما انباع غاليًا»

لقد نظمت شمل المحبِّ بحبِّه ... وأنسَت بياض الماء من كان صادِيًا

فجاءت بنا إنسان عينِ زمانه ... وخلَّت بياضًا خلفها ومآقيًا

[راتبُ القهوة للفقيه عبد القادر الحبّاني]

وفي ما يُستحبُّ عند شرب القهوة، يقول الشيخ الصالح عبد القادر بن محمد الحَبَّاني[3]: [البسيط]

---

(1) محمد بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم العرضي الحلبي، عالِمٌ وقاضٍ وأديب، كان مفتي الشافعية بحلب، وواعظ جامعها، وُلد سنة 1011هـ وتوفي بحلب سنة 1071هـ. انظر: خلاصة الأثر (4/89)

(2) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (1/289)

(3) في صفوة الصفوة: الجيلاني، وهو تصحيف، والصواب ما أُثبتَ من الزهر الباسم، والنور السافر. وقد نسب المحبي الأبيات في خلاصة الأثر لوالد المترجم له، محمد بن عبد القادر الحباني، فانظره: (4/11)، وكذلك السقاف في تاريخ الشعراء الحضرميين (1/213)، وذكر أنَّ لمحمد بن عبد القادر رسالة في القهوة، فليُحقَّق.

يـا شـاعرًا فاقَ فـي أقوالِهِ الشُّعرا ... أبـدى لنا مِـن قوافـي نظمِـه دُرَرَا

أطربْتَنـي إذْ وصفتَ القـافَ يتبعه ... هـاءٌ وواءٌ وهـاءٌ بعـده زُبِـرَا

حقَقْـتَ فـي وصفهـا وصفي كفـى ورقى ... بلْ قـد شَـفَا وجَلا عَـن قلبـيَ الكَدَرا

فإنَّهـا قهـوةٌ مهمـا حذفـتَ لهـا ... هـاءً تَبيَّـنَ ذا مـن فـي الأنـام قـرا

لذاكَ نَاسَبَها فـي ذكركَ اسـمِ «قوي» ... موافقًـا عدَّهـا فاعـدده واعتبـرا

بقافهـا قويـتْ أعضـاءُ كلِّ فتـى ... وهاؤهـا للهـدى، والـواو منه جرى

بيـنَ الأنـام الوفـا، والهـاء آخرها ... منـه الهِبـاتُ فهذا السِّـرُّ قـد ظَهَرا

فاشـرب هنيئًـا فمـا فـي ذاكَ مَنْقصـةٌ ... كلَّا ولا حُرمَـةٌ تَخشـى بهـا ضَررًا

[للصاحب بن بهاء العاملي]

ومما انتشر وذاع بين الندماء، وتبارت في معارضته قرائح الأدباء، القصيدة المشهورة لبهاء الدين العاملي(1)، التي ضمَّن فيها مِصراع الجامي الشهير «فاحَ ريحُ الصَّبا وصاحَ الدِّيكْ»: [الخفيف]

يـا نديمـي بمهجتـي أفديـكْ ... قـم وهات الكـؤوس مـن هاتيكْ

وعندي أنَّ كلام صاحب النور السافر مقدَّم؛ لمعاصرته الشيخين محمد بن عبد القادر الحباني (1015هـ)، وابنه الشيخ عبد القادر بن محمد (1045هـ)، وله صلة أكيدة بعبد القادر، فهو تلميذه وناظم كتابه «الفتوحات»، ينظر النور السافر (190).

* انظر: مجموع مخطوط بمكتبة الدولة ببرلين، رقم (Spr. 1966-3)، وديوان الشيخ بهاء الدين العاملي، جمع: محمد زين العابدين، دار زين العابدين لإحياء تراث المعصومين - إيران، طبعة 1430هـ - 2009، ص 122، وانظرها كذلك في: الكشكول للعاملي (1/85)، وخلاصة الأثر (3/449)، وسلك الدرر (2/197)، ونفحة اليمن للشرواني (116).

(1) محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين: عالم أديب إمامي، من الشعراء. ولد ببعلبك سنة 953هـ وانتقل به أبوه إلى إيران. ورحل رحلة واسعة، ونزل بأصفهان وأقام مدة ثم تحول إلى مصر، وزار القدس ودمشق وحلب وعاد إلى أصفهان، فتوفي فيها سنة 1031هـ ودُفن بطوس.

هاتِها هاتِها مشعشعةً أفسَدَتْ نُسكَ ذي التُّقى النُّسَيكْ[1]
قهوةً أن ضَلَلْتَ سَاحَتَها فسنا نور كأسها يهديكْ
يا كليمَ الفؤاد داوِ بها قلـ ـبَكَ المبتلى لكي تشفيكْ
هي نارُ الكَليم فاجْتَلِها واخلع النعل واتركِ التشكيكْ
صاح ناهيكَ بالمدامِ [فَدَاوم][2] في احتساها مخالفًا ناهيكْ
عَمْرَكَ اللهَ قل لنا كرمًا يا حمام الأراكِ ما يبكيكْ
أترى غاب عنك أهل قُبا بعدما أن توطنوا ناديكْ
إنَّ لي بَينَ ربعهم رَشَأً طَرْفُه إن تَمُتْ أسًى يُحييكْ[3]
لست أنساه إذ أتى سحرا وحده وحده بغير شريكْ
طرق الباب خائفاً وجِلا قلتُ: من ذا؟ فقال: من يرضيكْ
قلت: صَرِّحْ فقال: تَجهلُ مَن سيفُ ألحاظِه تَحَكَّمَ فيكْ
قمتُ مِن فرحتي فَتَحتُ لَه واعتَنَقْنا فقال لي: يَهنيكْ
باتَ يَسقي وبتُّ أشربُها قهوةً تتركُ المُقلَّ مَليكْ
قال لي: ماذا تُريدُ؟ قلت له: يا مُنى القلبِ قُبلةً من فيكْ
قال: خُذها فقد ظفرتَ بها قلتُ: زدني، فقال: لا وأبيكْ
ثم وسدته اليمين إلى أن طلع الفجر قال لي: يكفيكْ
قلت مهلا فقال: قم فلقد «فاح نشر الصبا وصاح الديكْ»

---

(1) ساقط من المجموع، أثبته من الديوان.

(2) في الأصل: فدُم.

(3) في المجموع: إن لي بينهم رشاء له مقل
أفتنتْ كل عابد ونسيكْ.

[لعبد القادر بن شيخ العيدروس]

ولصاحبِ «صفوة الصفوة» في حكم القهوة» العلامة السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس[1]، وفيها ضعفٌ:

هـات اسقيـاني قهـوة بُـنٍّ ... فـإنـهـا غـايـة مـرادي
هـي مرهـمٌ وشـفاء لدائـي ... وتجلـي الهـم عـن فـؤادي
تشـرح صـدري وتزيـل همِّـي ... وشـربـهـا ينـفـي سُـهـادي
وتعيـن العبـاد علـى العِبـادة ... وتنعـش فـي جُنـحِ السَّـواد
وهـي حـلالٌ طهـورٌ شِـفاءٌ ... كـم قـال بفضلهـا مـن أسيادي
باجَحْـدب الـورعُ الـوليُّ ... الـذي أربـى علـى العبـاد

[لغرس الدين الخليلي]

وللشيخ الأديب محمد غرس الدين بن أحمد الخليلي[2]، في وصف القهوة، وهو من أجمل ما وُصفتْ به[3]: [الوافر]

دعِ الصهباءَ واشـرب صَفوَ قِشـرٍ ... مُشَعْشَـعَةً تـدورُ بكـفِّ بَـدرِ
وإن شـئتَ الصَّفـا بـادِر سـريعًا ... إلـى حـانٍ لهـا قـد حـانَ بـدري

(1) عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي، مؤرِّخٌ وفقيه ومتصوِّف، ولد عام 978 هـ بأحمد أباد من الهند، له: النور السافر، والزهر الباسم من تراجم الأستاذ حاتم، وغيرها كثير في التاريخ والتصوف والأدب، وتوفي سنة 1038 هـ بأحمد أباد الهند، انظر المشرع الروي (2/ 147)

(2) الشيخ محمد (غرس الدين) بن أحمد الأنصاري الخليلي ثم المدني، عالمٌ شاعرٌ أديب، أصله من الخليل بفلسطين، ولي الخطابة والإمامة في المسجد النبوي، له: «كشف الالتباس في الأحاديث الدائرة على ألسنة الناس»، وله ديوان شعر. انظر ترجمته: خلاصة الأثر (246/ 3)، والرحلة العياشيَّة (443/ 1) وتاريخ وفاته في الرحلة 1058هـ

(3) رسالة في الشاي والقهوة والدخان، جمال الدين القاسمي، طبعة دمشق، الطبعة الأولى 1322هـ ص25

فمـا الياقـوتُ فـي لَـونٍ نضيـرٍ ... ومـا لَـونُ النَّضـارِ ولـونُ تِبـرِ
دع الفـاروق إن رُمـتَ التـداوي ... وخذهـا فهـي للأسـقام تُبـري
كأنَّ حَبابهـا المنظـومَ عقـدٌ ... مِـن الياقـوتِ يُجلـى فـوقَ نَحـرِ
سأسـعى نحـو مروتهـا ألبّـي ... ليصفـو بالصَّفـا صـدري ونحري
نَدمـتُ ندامـةَ الكُسَـعي عليهـا ... لِمـا قـد فـات مـن أيّـامِ عمـري
سـأدمنُ شُـربَها مـا دُمـتُ حيًّـا ... ولا أُصغـي إلـى زيـدٍ وعمـرو
وأجلـو عَيـن أغيـاري وهَمّـي ... بصافيهـا سُـحيرًا قبـلَ فَجْـرِ
فرأيـي الآن يـا مـن رَام نُصحـي ... إذا شَـاهدْتَها فـي الحـان فاجْـرِ
ولِـمْ لا وهـي مشـروبُ العوالـي ... مـن السَّـادات فـي بـرٍّ وبَحْـرِ
هـي الـرَّاح المريـحُ لـكلّ روحٍ ... ولـم تُمـزج ولـم تُوجَـد بعصـرِ
وكلُّ مخالـفٍ فيهـا فإنّـي ... أُسَـفِّهُ قولَـه مـن أهـلِ عَصـري
فقـلْ إن قـال سـاقيها المفـدَّى: ... جَبـا، يا مرحبًا، واسْـكَرْ بِسُـكري
وخُذهـا مـن يديـهِ فـي حُضـورٍ ... مـع السَّـاقي المليـحِ بغيـر سُـكرِ
فـلا غَـولٌ ولا تَأثيـمَ فيهـا ... وليسـتْ مُـرَّةً، بـلْ طَعْـمُ تَمـرِ
وإنْ غَالَـى المحـبُّ وقال: شَـهْدي ... أجيـب: نعـم إذا مـا كنـت تَمري
ولـولا مِدحتـي للبـنِّ قَبـلًا ... لعـدتُ لهـم بهجـوٍ ثُـمَّ هَجـرِ
لبئـسَ طِباعُـهُ وسَـوادُ قَلـبٍ ... لـه فهـو الحَـرِيُّ بـكلِّ هجـرِ

[لنجم الدين الغَزِّي]

وردَ سؤال منظوم عن حكم القهوة للعلامة نجم الدين الغَزِّي[1]، صاحب الكواكب السائرة، صورته: [الوافر]

أيُّها الفاضلُ الذي جَمَعَ العلـ ... مَ وحازَ التُّقى فأصبحَ قُدوةْ
أفتِنا أنتَ هل تقولُ حلالٌ أمْ ... حرامٌ على الورى شُربُ قهوةْ

فأجاب[2]: [الوافر]

أيُّها السَّائلُ الذي جاءَ يرجو ... عندنا أن نبيحَه شُربَ قهوةْ
قهوةُ البنِّ لا تكون حراماً ... إنها لا تُفيدُ في النَّفسِ نَشوةْ
غيرَ أن الذي يجيءُ بيوتًا ... هي فيها تُدار عادِمُ نخوةْ
إذ يرى المُردَ والمعازفَ والنَّرْ ... دَ وكلٌّ يلهو فيبلغُ لَهوةْ
ثم لم يقوَ أن يغيِّرَ نكرًا ... خشيةً أن يُعَدَّ ذلك هفوةْ
أو يجيبوه بالإهانة والسُّو ... ءِ ويجفونه بأعظمِ جفوةْ
أو يخلِّي شيطانه لَهواه ... لَهوَه في تلك البيوت ولَغْوةْ
معرضاً عن رشاده وتُقاهُ ... سَالِياً عن صَلاَتِه أيّ سَلوةْ
كلُّ هذا مخالفٌ لطريقٍ ... خَطَّه المصطفى وعَرِّج نَحوه
فاجتنبه ودَعْ طَوائفَ تدعو ... كَ إليهِ ولو بآكدِ دعوةْ

---

(1) محمد بن محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن مفرج الغزي، العامري، الدمشقي، الشافعي، نجم الدين، محدث، مسند، مؤرخ، أديب، ناظم، نحوي، مشارك في بعض العلوم. ولد بدمشق سنة 977هـ له: الكواكب السائرة في مناقب أعيان المئة العاشرة، وله: حُسن التنبُّه لما ورد في التَّشبه، وغيرها توفي سنة 1061هـ بدمشق. انظر ترجمته: خلاصة الأثر (4/ 179)، وهدية العارفين (2/ 337).

(2) الكواكب السائرة (3/ 32)، وحسن التنبُّه (6/ 99)، ورسالة الشاي والقهوة (19)

لا تُطِعهُم ولو رَضُوا مِنك خُطوة ... فتُطِيعَ الرَّجيمَ في كلِّ خطوةْ
وإذا شئتَ شُربَ قهوة بُنٍّ ... حَسوةً قد أردتَ أو ألفَ حَسوةْ
فليكن ذاكَ وَسطَ بيتكَ مهما ... لَم تَشُبْ صَفوها بموجِب صَبْوةْ
واذكرِ اللهَ أولاً وأخيراً ... وتوثَّق مِنهُ بأوثَقِ عُروةْ
قالَه ابن الغَزِّيِّ نَجمُ بن بَدرٍ ... يرتجي مِن رَبِّ البرية عفوةْ

وله مُعقِّبًا بعد أن أورد أبياتًا في تشبيه فنجان القهوة بعين الإنسان، صُورتُها: [السريع]

اشربِ هنيئاً قهوة البن التي ... تحلو مع الأخوان والخلانِ
سوداء في المبيَضّ من فنجانها ... تحكي سواد العين للإنسان

قال الغَزِّي[1]: وأحسن منه قولي: [السريع]

اشربْ من القهوة صاعين ... ولو ببذل الوَرِق العين
سوداء في بِيض فناجينها ... كأنَّها الإنسانُ من عَين

[قهوة شَرِسٍ]

وللأديب الشريف، زيد بن يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله[2]، في قهوة القشر الشَّرَسي، وهو منسوبٌ إلى شَرِس، وادٍ مشهور بجودة البُنِّ[3]،

(1) الكواكب السائرة (2/ 88)
(2) ضياء الدين، شاعرٌ وأديب من أهل صنعاء، وُلد سنة 1077هـ له شعر فائق جمعه أخوه في ديوان سماه (طلوع الضياء)، توفي عاشر ذي الحجة عام 1104هـ. انظر ترجمته: نفحات العنبر (2/ 94)، البدر الطالع (1/ 256)، نشر العرف (1/ 700).
(3) من الأودية الكبيرة شرقيّ مدينة حَجَّة، مساقطه من جبال مَسْوَر والشرَّاقي، وكحلان عفار، ومعظمه مزارع بُنّ. انظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية (1/ 858)

قال[1] [البسيط]

للـهِ قهـوةُ قِشـرٍ فـي الإنـاءِ بَـدَتْ ... كالمِسـك في لَونهـا المرمـوقِ والنَّفَسِ

أهـدى لنـا شَـرِسٌ منهـا لَطافَتَـه ... فاعجَـبْ للطـف حويناه من الشَّـرَسِ

[في البُنِّ سر البداية والنهاية]

جاء في «إيناس الصفوة في أنفاس القهوة» للشيخ عبد الرحمن بن محمد العيدروس[2]: في الحرفين - يعني: الباء والنّون - سِرٌّ محيطٌ بجميع الأشياء، هو باء البداية، ونون النِّهاية، وفي ذلك قلتُ: [البسيط]

بـاءُ البدايـةِ للأسـرارِ تُظهِرُهـا ... نـونُ النِّهايـةِ فـي ذا البُـنِّ تبدو لي

فاسـتحضرِ الأوَّلَ الموجودَ آخره ... في باطـن الظاهِرِ المشـهودِ فـي الأوَّلِ

[للحسين بن علي الخياط]

للحسين بن علي الخيَّاط[3] من قصيدة له يصف فيها محبوبه[4]: [الخفيف]

صـاحِ صـاحَ الهَزارُ في الأشـجارِ ... وتجلَّـى الصَّبـاحُ بالأنـوار

فانتبِـه للصَّبُـوح قَـد رَقَـمَ الظِّـلُّ ... وامَّحـتْ أسـطرُ النجـومِ السَّواري

والرَّحـى فـي الصَّباح قـد أطربتنا ... بسـماعٍ يُغنـي عـن الأوتـار

فارتشـفْ قهـوةً مـن البُـنِّ تُغنـي ... عـن سُـلافِ الرّحيقِ فـي الإبـكار

(1) نفحات العنبر (2/ 101)

(2) عبد الرحمن بن محمد العيدروس ، توفي في تريم سنة 1113هـ تفريح القلوب وتفريج الكروب، للحبيب عمر بن سقاف السقاف، دار الحاوي - تريم، (149)

(3) الحسين بن علي الخياط الصنعاني، أديبٌ ظريفٌ من أهل صنعاء، كان يتكسّب بالخياطة، وله شعرٌ جيّد توفي سنة 1140هـ بصنعاء. انظر: نفحات العنبر (2/ 66)، نسمة السحر (2/ 37)، نشر العرف (1/587)

(4) نفحات العنبر (2/ 67).

[جَبَا، من هو جَبَا؟]

اشتُهر على ألسنة أهل مكَّة والمدينة في القرن العاشر وما يليه كلمة: «جَبَا» حين يقدِّمون القهوة، واختُلف في أصل ومعنى هذه الكَلمة، فمن قائِلٍ: إن أصلها بلدة جَبَا التي يأتي البُنُّ منها، ومِن قائلٍ إنَّ «جَبا» تخفيف لـ «جاء بها»، ومن قائلٍ إنَّها من الجباية والاجتباء، وأنَّها اسم لخادِمِ مُبتكر القهوة الشيخ علي بن عمر الشَّاذلي

إلى آخر ما ذكروا مفصَّلًا في مواضعه. وقد نظم الشيخ عبد الغني النَّابلسي في رحلته: «الحقيقة والمجاز» طرفًا من هذه المعاني، قال[1]: [السريع]

يقولُ ساقي قهوةِ البُنِّ في ... مكةَ عندَ الحرمِ المجتبى
جَبَا جَبَا فاستفهموا قوله ... عن حَرَمٍ أمنٍ ففيه النَّبا
من ثَمراتِ الكُلِّ يُجبى له ... ألم ترَ السَّاقي يُنادي «جبى»

وقال أيضًا[2]: [السريع]

سألتُ عن ساقٍ سَقَى قهوةً ... بُنِّيةً يا أهلَ هذا النَّبا
وهل جبا حقٌّ له عندنا ... قالوا: ألم تسمعه نادى «جبا»؟

وقال كذلك[3]: [السريع]

وأهيفٌ ساقٍ سقى قهوةً ... بُنِّيةً تَنْفي الأسَى المُتعِبا
جَبَا همومَ القلبِ من أجلِ ذا ... إن جاءَ بالفِنجان نادى «جَبَا»

(1) الحقيقة والمجاز، ص424
(2) الحقيقة والمجاز، ص424
(3) الحقيقة والمجاز، ص 424

وقال أيضًا[1]: [السريع]

سـلطانُ حسـنٍ طـافَ مـا بيننـا بقهـوةِ البُـنِّ فمـا أطيبـا

جبـى جبايـاتِ القلـوبِ التـي أضحـتْ رعايـاه ونـادى: جُبَـا

[زواج القهوة بالدُّخان]

وفي رحلة الشيخ العارف عبد الغني النَّابلسي الشهيرة إلى الحجاز، مرَّ ببلدة جِبلة بالشَّام، وهي مدينةٌ مشهورةٌ بزراعة التُّتن (التَّبغ)، فكأنه أجهدهُ السَّفر، حتى بردتْ طبيعتُه، وهاجت عيناه، فاقتضى حاله أن يستعمل التتن، فكأنَّه ليم على ذلك، فأنشد[2]: [الخفيف]

قيـلَ لـي: كنـتَ قبـلَ هـذا الأوانِ قهـوةَ البـنِّ تحتسـي فـي الأواني

مـا لـكَ الان قـد أضفـتَ إليهـا -وهي بنتُ الحلالِ- شُربَ الدُّخانِ

قلـتُ: كانـتْ لـديَّ قهـوةُ بُـنٍّ بِكـرُ أصـلٍ عريقـةُ الإحسـانِ

فأتانـا الدُّخـان يخطِبُهـا مـن بَـردِ طَبعـي، وهاجَـتِ العينـانِ

ويـدٌ أدهميَّـةٌ لـي أشـارتْ من هنـا عند حَضـرةِ السُّـلطانِ[3]

ثُـمَّ زوَّجتهـا بغليـونِ تبـغٍ وزففناهمـا علـى النُّدمـانِ

وإذا الكُفـؤ جـاء يَخطِـبُ مِنَّـا كان حتمـا تزويجُـه فـي العَيَـانِ

بنـتُ مـاءٍ هاتيـكَ وهـو ابـنُ نـارٍ ضُـمَّ غليونـه إلـى الفَنجـانِ

وهـي سَـوداء، وهـو أسـودُ هـذا مقتضـى الإسـتواءِ فـي الألـوانِ

فاحضـروا يا شـهودُ وقـتَ زفافٍ لتفـوزوا بكوكـبِ الاقتـرانِ

---

(1) الحقيقة والمجاز، ص424

(2) الحقيقة والمجاز، ص58، 59

(3) يشيرُ إلى أنه عند الإمام إبراهيم بن الأدهم، وقد كان هذا الإمام الزاهد، صاحبَ عزٍّ وسلطانٍ قبل أن يتحوَّل للزهد.

وله في نفسِ المعنى يَرغِّبُ في القَهوة والدُّخان، ويحذِّرُ من الحشيشة[1]: [الرمل]

زَوِّجِ القهوةَ للتُّنباكِ ... تنجلي بين يَدِ النُّساكِ

وأدِرْ فِنجانَها لابسةً ... حُلَّةً سوداءَ كالأحلاكِ

بين نُدمانٍ عُلومٍ وهدى ... قَدرُهُم فوقَ ذُرى الأفلاكِ

وتَنَصَّتْ لغِنا إبريقها ... فوقَ جمرِ النَّارِ في الشُّبَّاكِ

واطرُدِ الهَمَّ بأيدي فرَحٍ ... مُضحكاتٍ لكَ سِنَّ الباكي

وتباعَد عن حَشيشٍ بَلْ وعَنْ ... كُلِّ ما عَقلُك منهُ شاكي

والمباحاتُ إذا صرتَ بها ... في انبساطٍ أنتَ شهمٌ ذاكي

وهي تُعطيكَ سُرورًا مُنقِذًا ... لكَ بالحِلِّ من الإهلاكِ

أولم تعلم كمالَ الشَّرعِ في ... حِكَمٍ كالدُّرِّ في الأسلاكِ

كلُّ شيءٍ حرَّم اللهُ فَمِن ... جنسِهِ شيءٌ حلالٌ زاكي

وله في سواد القهوة[2]: [الخفيف]

رُبَّ سوداءَ في الكؤوسِ تَبَدَّتْ ... تَهَبُ الرُّوحَ نَفخةً في الحياة

[للحكيم شعبان سليم]

وقال الشاعر اليَّمني التركيُّ الأصل، الحكيم شعبان سليم[3] يصفُ

(1) رسالة في الشاي والقهوة والدخان، ص22، 23

(2) رسالة في القهوة والشاي والدُّخان للقاسمي، ص22، 23. ونسبها على الخاقاني في معجم شعرائه لمحمد زيني البغدادي، انظر: شعراء الغري (247/ 10)

(3) الحكيم شعبان بن سليم بن عثمان حاشكي الرومي الأصل، الصنعاني الولادة والنشأة والدار، ولد سنة 1065هـ وهو من أولاد من تخلف عن الرجوع للروم من الأتراك لما قامت الدولة القاسمية، كان طبيبًا ماهرًا،

فنجان قهوة[1]: [الكامل]

فـي الـكأس قد بسط السُّرور لقهوةٍ   بالمصطكـى [المرشـوف أي سـرور][2]

فكأنهـا ورق الشَّـقيقِ قـد اعتلـى   ورقٌ بـه مـن أصفـرِ المنثـورِ

[للسيد حسن بن إسحاق]

وللسيد حسن بن إسحاق[3] في التشبيه[4]:

مَـلأَتْ لنـا فنجـانَ قَهوتِنـا الـذي   قَـدْ بَخَّرتْـهُ بمصطكـىً سُـلطاني

فحسـبتُه رشـأ بمـا ذهـبِ علـى   رَقٍّ يـروقُ العيـنَ أحمـرَ قانـي[5]

وإذا ارتشـفتُ وأبصـرتُ ألوانَـه   لمسـتُ مـكانَ قلائـد العِقيـانِ

وقال أيضًا[6] في تشبيه المصطكى في فنجان القهوة: [الكامل

تأمَّـل فناجينًـا أَتَتْـكَ بقهـوةٍ   وللمصطكـى رَقـمٌ عليهـا بـلا يدِ

تجدهـا رسـالات السـلوّ وحبَّـذا   صحيفـةُ ياقوتٍ وأسـطرُ عَسْـجَدِ

وعالمًا ماهرًا، لطيف الطباع حسن الأخلاق، واعظًا مؤثرًا، له نظمٌ في الطب سماه (نتائج الفكر في المقابلة على خواص الثمر)، له مشاركة في الشعر، توفي سنة 1149هـ. ترجمته: نشر العرف (2/121)، هدية العارفين (1/417)

(1) نفحات العنبر (2/499)

(2) في المطبوعة: في المصطكى المرشف أي شذور.

(3) شرف الإسلام، أبو أحمد، الحسن بن إسحاق بن المهدي، العلامة المحقق، لُقِّبَ بالملك الضحَّاك، وُلِد سنة 1093هـ بالغراس، أخذ العلم عن والده، وتفقه على مشايخ عصره مثل الشيخ هاشم بن يحيى الشامي، والقاضي إبراهيم بن أحمد بن أبي الرجال، وقرأ على البدر الأمير وتوثقت صلته به، وكان بينهما من المكاتبات والمباحثات الكثير، ولي تعزَّ لعمه صاحب المواهب، وحصل له من المكدِّرات ما أودعه السجن، فحُبِس عدة مرَّات آخرها في سجن صنعاء عشرين سنةً حتى توفي بالسجن سنة 1160هـ. انظر ترجمته في: نفحات العنبر (1/615)، البدر الطالع (1/194)، نشر العرف (1/429).

(4) نفحات العنبر (2/497)

(5) هكذا، وهو غير مفهوم، ولم أجد البيت في مخطوطة الكتاب.

(6) نفحات العنبر (2/497)

وآل إسحاق ممن اشتُهروا بتشبيه القهوة في الفنجان، ثمَّ تابعهم خلقٌ من شعراء اليمن، واجتمع لهم من ذلك كرّاسة مسماة بـ«سلافة النشوة»، فيه أنهم أول من فتح باب التشبيه بالمصطكى[1].

[لأحمد الناخوذة]

وقال الفقيه أحمد الناخوذة[2]: [البسيط]

انظر إلى القهـوةِ الحمـراءِ مُترعةً   فـي كأسٍ بِلّـورةٍ بيضـاءَ كالـوَرِقِ[3]

والمصطكى قـد طفى من فوقها فحكى   رقيـقَ غيـمٍ يغطِّي حُمـرةَ الشَّـفَقِ

[لأحمد العلفي]

قال الفقيه أحمد بن إسماعيل العلفي[4] في تشبيه القهوة[5]: [البسيط]

انظـر إلى قهـوةِ الفنجـانِ حيـنَ غَدَتْ   تَـزدادُ بالمصطكـى حُسـنًا وتحسـينا

تُريك بالرَّشـف مـا يُسليك فهي كما   شِـئنا عـن الهـمِّ تُثنينـا وتَلوينـا[6]

كبِركَـةِ الـرَّوض في وقـتِ الأصيـلِ وقد   تلوَّنــتْ عنـدَ مَـرِّ الرِّيـحِ تَلوينـا

---

(1) نفحات العنبر (1/290)

(2) الفقيه أحمد بن عبد القادر الناخوذة الخياط، شاعرٌ أديب، له مشاركة في العلوم طيبة، وأدركته حرفة الأدب، فلم يصب من الجوائز ما تصفو به حياته، فظلَّ متنكدًا. ترجمته: نفحات العنبر (466/ 1)، نشر العرف (1/ 160)

(3) الورِقُ: بالكسر، الفضة.

(4) الفقيه أحمد بن إسماعيل العلفي القرشي، كان فاضلاً عالمًا محققًا، لازم الإمام محمد بن إسحاق ملازمة طويلة، وأخذ عليه كثيرًا من العلوم، وله شعرٌ جيدٌ. ترجمته: نفحات العنبر (464/ 1)، ملحق البدر الطالع (23)، نشر العرف (91/ 1)

(5) نفحات العنبر (499/ 2)

(6) شِبنا: مخفَّف شئنا.

[للسيد قاسم بن الحسين المهدي]

وقال السيد قاسم بن الحسين[1] في تشبيه المصطكى[2]: [الطويل]

تُناولني الحسناء فنجان قهوةٍ   حلت وجنتيها عند ضمٍّ مَشُوّقِ
غدا المصطكى من فوقها عند رشفها   سحائبُ لازٍ في سماء عقيقِ

[للسيد إسماعيل المهدي]

للمولى إسماعيل بن محمد بن إسحاق المهدي[3]، من قصيدةٍ طويلةٍ بعثها من سجنه لأبيه، يهنّئه فيها على زواج إخوته، وذكر فما يكون في العرس من القهوة، فاشتاق لها[4]: [الطويل]

وإن ذُكِرَتْ بالوصفِ أكؤُسُ قَهوةٍ   أضمُّ شِفاتي ضَمَّ مُستعجلِ الرَّشْفِ

وله في قصيدة طويلة يتوجَّد فيها[5]: [مجزوء الكامل]

هامَ الفؤادُ بذكرها كَلَفَا   فأدِر عليَّ حديثَ ما سَلَفَا
واقرغ به سَمعَ الزَّمان وَجُد   منهُ بما أعطيتَه سَلَفَا

---

(1) ترجمته في نفحات العنبر (2/ 493)، علم الإسلام القاسم بن الحسين بن إسحاق بن المهدي الصنعاني، العلامة المحقق، الأديب الشاعر، له عناية بعلم المعقول، له حواشٍ على (شرح أشكال التأسيس في الهندسة) وعلم الهيئة، والفلك، والمنطق، توفي بصنعاء سنة 1165هـ.

(2) نفحات العنبر (2/ 498).

(3) ضياء الدين، إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن المهدي، علاّمة نظّارٌ أديب، وُلد سنة 1110هـ ونشأ في حجر والده وعمِّه الحسن، واتصل بالبدر الأمير، وفأخذ عنه في البيان، والأصلين والمنطق والنحو والصرف، وهو أجلّ من أخذ عن البدر، ابتُلي بالحبس، فصنَّف فيه (الفواصل شرح بغية الأمل في نظم الكافل) في الأصول، وله شعرٌ رائق، توفي سنة 1164هـ لترجمته انظر: البدر الطالع (1/ 153)، هدية العارفين (1/ 212)، مصادر الفكر للحبشي (229).

(4) نفحات العنبر (1/303)

(5) نفحات العنبر، مخطوط، ج1، 174

وعسى يفيء إلى الوفا ويرى تفريطَه فيقول: يا أسفا
واستخبرِ الأيامَ ما وعدتْ مِن ردِّه فالمَطْلُ أيُّ جَفَا
مثلي ينام على العِدا ويرى عمّا مضى تذكاره خَلَفا
للهِ أيامٌ لنا سَلَفَتْ عن مِثلها طرفُ الزَّمان غَفَا
ولياليًا مرّت إذا ذُكرت فكأنما السَّلوى بها رشفا
حيثُ العطورُ على الرِّياضِ فما أبهى الجنابَ وأرفعَ الغُرفا
قد زُخرفتْ فيكادُ ساكِنُها من حُسنها يستنطقُ السُّقُفا
فُرُشُ الحرير بها منوَّعةٌ ونمارقٌ كالعِقْد إذ رُصفا
لانَتْ مفارشها فداخِلُها للخوفِ من زَلَقٍ بها وَقَفا
والغانيات الناعمات شكتْ منها الخشونة إذ [تمشي بها] ترفًا
مِن كُلِّ ساحرةِ العيونِ غدا قلبي بلمح الطَّرف مُختَطَفا
ما البدر -لا والله- يشبهها والشمسُ حِلفةَ صادقٍ حَلَفا
هيفاءُ حاليةُ الدَّلالِ لها طرفٌ يناجيني بما ظَرُفا
باتَتْ تغازلني، فقلْ: عَمِيَتْ عينُ الرشا إذْ فاته الوَطَفا
صبَّتْ إلى فنجان قَهوتَها مثلَ العقيقِ ملاحةً وصَفا
رقَّت فكاد يضيء رونقها فعلا عليها المصطكى وطَفا
وأزالَ رَوْنَقَها ونُضرَتَها أنَّ الصَّداءَ يشين ما لَطُفا
وهوتْ تناولني وقد رَشَفَتْ منها فخِلتُ الغُصنَ مُنعَطِفا
ورأيتُ أُختَ الشَّمسِ في يدها قمرًا بدا في الأفق مُنخَسِفًا
فكرِهتُ في صفو المقامِ أرى كدرًا وقد طابَ البَقا وصَفا

فسألتُها حمراءَ صافيةً ... من قهوةٍ هي للقلوبِ شِفَا
تعطيكَ صفو العيش رونقُها ... وتُريكَ معناه بغيرِ خَفَا
يزهو بها الفنجان حين غدا ... منها بحسن الفأل متَّصفَا
ما خُط فيه المصطكى فترى ... صادًا ولا دالًا ولا أَلِفَا
أكرِم بها من قهوةٍ لَطُفَتْ ... كادتْ تُناجيني بما سَلَفَا
أهدتْ إلى قلبي النَّشَاطَ فهل ... كانت له عن أُنسهِ خَلَفَا
فاستغربت وصفًا فقلت لها ... هيهات ما استوفى الذي وَصَفَا
أهوى العقيق لأجل ساكنه ... والمرء مفتونٌ بما أَلِفَا

وله في تشبيه الفنجان[1]: [الوافر]

أدرها قهوة الفنجان يطفو ... عليها المصطكى فالهمُّ يذهب
فقد ركب السلوُّ إليك منها ... كُميتًا فوقه دِرعٌ مذهَّب

[لعبد الله بن إسحاق المهدي]

ولفخر الدِّين عبد الله بن إسحاق بن المهدي[2]، مجيبًا ابن أخيه ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن إسحاق المهدي الذي تقدَّمت قصيدته[3]: [السريع]

أهدت إلى المشتاق ما لطفا ... من قهوةٍ كالقَطْر مرتَشَفًا
قد أحكمتْ بالعصر صنعتها ... وحَبَتْ بها صبًّا غدا دنفا

(1) نفحات العنبر (2/497)
(2) فخر الدين، عبد الله بن إسحاق بن المهدي، فارسٌ وشاعرٌ وأديبٌ، وَلِيَ العُدَين أيام ولاية أخيه محمد بن إسحاق لوصاب، له شعرٌ رائق. انظر ترجمته: نفحات العنبر (2/200)، نشر العرف (2/86)، هجر الأكوع (1581).
(3) نفحات العنبر (2/204)

وأَتَتْ لِذَوبِ التِّبْرِ حالته راقت ورقَّتْ مطعمًا وصَفَا
وافتْ بها شَمسٌ بطلعتِها بدرُ السَّما من شَمسِها انْتَصَفَا
فعليه ما افتخرت ولا احتجبت لِيلًا لدامَ الدَّهرَ مُنتصِفًا[1]
وأظنُّ لولا أنها حجبت عند الشعاع إليه لانخسفا
هيفاء بالفنجان ما خطرتْ إلا وخِلت قَوَامَها انْقَصَفَا
كالغُصنِ إذ تَهوِي تُناولُني نُونًا تَصيرُ وتنثني أَلِفَا
لُطْفُ النَّسيمِ يَكادُ يَعقدها لولا حَمت أردافها الهيفا
مرَّ الجمالُ يريد منزله حتى رأى وجهًا لها وَقَفَا
فالحسن ما اشتملت عليه به لولا محاسنُها لما عُرفا
قمرٌ يبيتُ البدرُ إن كَشَفَتْ وجهًا لها في الأُفقِ منخسِفًا
واللهِ ما خطرتْ ولا وَقَفَتْ إلا رأيتُ الرَّوضةَ الأُنُفا
فترى الحمائمَ فوقَ غُصنِ نَقًا مِن قدِّها والحَلْيَ إذْ هَتَفَا
والزَّهر ما تحوي الخدود لها قد طابَ منتشقًا ومُقتَطَفَا
والورد والتُّفاح ما اجتمعا في وجنةٍ والصدرِ واخْتَلَفَا
نجني بكفِّ الضَّمِّ ذاك وذا ما نأملُ التقبيل قد قُطِفا
أمَّا العيون السَّاحرات إذا نفثت بقلب متيَّمٍ تلِفا
لما طلتْ فنجان قهوتها بالمصطكى هامتْ به الطُّرَفا
وغدتْ تشبِّهُهُ وتَنعَتُهُ إذْ راق ملتَثمًا ومرتَشفا
فكأنَّما ألقتْ جواهرها من ذوبِ تِبرٍ كالمُدام صَفَا

[1] هكذا في الأصل، وفي النفس منه شيء.

وكأنّه دينار وَجنتها ... ألقت عليه وشامها ظَرَفا
وكأنّه عذرا مُخدَّرَةٌ ... ألقتْ عليه المصطكى سُجُفَا
وكأنما طَبَعَتْ بخاتمها ... قلبًا يذوبُ بحبِّها شَغَفًا
وعليه أثر خلُوفِها فغدا ... رسمًا عليه الطِّيبُ حينَ طَفَا
وإذا رشفْتَ بَدَتْ عجائبه ... وِترًا إذا ما المصطكى انكشفا
حِلَقُ الدُّروع بَدَتْ مُفكَّكةً ... أو جوهرًا في السَّيفِ مُختلِفا
فاعكف على حمراءَ صافيةٍ ... لا إثمَ فيها يوجبُ الأسفا
كالخمر إلا أنها شَرُفَتْ ... لا غَوْلَ فيها لا ولا نَزَفا
تنفي الهموم وتنجلي فرحًا ... فلذا السُّرور يُرى لها كَلِفا
يا حبَّذا من قَهْوةٍ مَنَعَتْ ... عنّي دواعي الهَمِّ فانْصَرَفا
من ذا يُعاطيني يدًا بيدٍ ... كأسينِ مَن خلَّا له رَشَفَا
من قهوةٍ تأتي كما وُصِفَتْ ... مع كأسِ نظمٍ فوقَ ما وُصِفا
من ذا يساعدني وأمنحُهُ ... مِنِّي كمالَ ودةٍ وصفا
مثل الضِّياء المَلْكِ حين غدا ... أبدًا يُطارحُني بما لَطُفَا
من كل نظمٍ لو بَدَتْ سَحَرًا ... أسلاكُهُ لجَلَتْ لَنا السُّدَفا
نظمٍ له فاقتْ جواهرُه ... الزَّاهريْنِ العِقْد والشُّدفا
ما زال يبعث لي فرائده ... دُرًّا غدا قرطاسُها الصَّدَفا
ويحثُّ ما أملاه خاطره ... نحوي ويهديها لنا تُحَفا
أعظم به فضلًا أتانيَ مِنْ ... كَفٍّ الزَّمان أراه مُختطِفا
هات اسقني كاساتِ ما عَصَرَتْ ... أقلامُه حَسبي بها وكفى

عاقِـر بهـا سـمعي مُعتقـةً   وأدِرْ عليـهِ مـا حـلا وصفـا
مِن وَصـف مَـن لـم تَبْـقَ مَكرمةٌ   إلا بهـا دون الـورى اتَّصفـا
إنِّـي وإن بالغــتُ فيــه فمـا   وصفـي يقـوم ببعـض مـا وُصِفـا

والقصيدة طويلة، اقتصرنا فيها على محل البحث.

وله[1]: [المتقارب]

كأنَّ الفناجيـن إذ أُترِعَـتْ   بقهوتنـا وحلَـتْ مَشْـربَا
فصوصُ عقيـقٍ تـرى المصطكى   عليهـا حُبوبًـا مـن الكهربـا

[للسيد صلاح العادل]

وقال السيِّدُ عبد الله بن صلاح العادل[2] مشبِّهًا المصطكى في فنجان قهوة[3]: [الطويل]

كأنَّ بطيـفِ المصطكـى فـوقَ قهـوةٍ   بـكأسٍ حكـتْ فـي لونهـا مقلـةَ البـازي[4]
إشـارةَ تنويـنٍ لرفـعٍ بعسـجدٍ   يَلـوحُ علـى أوسـاطها زرقةُ الـلازِ[5]

(1) نفحات العنبر (497/ 2).

(2) فخر الدين، عبد الله بن صلاح العادل الصنعاني، نشأ بصنعاء، قرأ على العلامة هاشم بن يحيى الشامي، وحقق في علوم الآلة، ثم مال إلى الاشتغال بالحديث، لم يتزوج، وله ديوان شعر، توفي سنة 1165هـ بصنعاء. ترجمته: نفحات العنبر (214/ 2)، نشر العرف (103/ 2).

(3) نفحات العنبر (498/ 2)

(4) البازي: نوع من الطيور الجارحة، يصاد به.

(5) اللاز: حجر كريم لونه أزرق.

[للسيد محمد بن إسحاق]

ولمحمد بن إسحاق المهدي[1] في القهوة يعلوها المصطكى[2]: [الرجز]

كأنَّما الفنجان فيه المصطكى قد سَالَ ثمَّ ذاب فوق القهوةِ
بَحرٌ من العقيقِ مُدَّت فوقه شِباكُ تِبرٍ لاصطياد النَّشوةِ

وقال أيضًا[3]: [الرجز]

ناولني الرِّيمُ الأغنُّ قهوةً ردَّت ليَ النَّشاط بعد ما ذَهَبْ
كأنَّها والمصطكى مِن فوقها فصٌّ عقيقٍ فيه نقشٌ من ذَهَبْ

[للكوكباني]

وللعلامة أحمد بن محمد بن الحسين الكوكباني[4] يمدح القهوة[5]: [البسيط]

وثغرُ ذا الدَّهر لمَّا أن تبسَّم لي من موقفٍ حَفِلٍ بالملح والطُّرَفِ

---

(1) بدر الدين، أبو إسماعيل، محمد بن إسحاق بن المهدي الصنعاني، الإمام العلامة، والأديب الشاعر، ولد بالغراس سنة 1090هـ ثمَّ رحل مع أبيه إلى كوكبان، قرأ فيها على العلامة هاشم بن يحيى الشامي، ثم قرأ على والده الإمام إسحاق، واعتنى بتحصيل العلوم والكتب، حتى تحصَّل منها على خزائن، ومهر في الأصول جدًّا حتى قُصد من الطلاب، وحُبس إثر فتنة، فانكبَّ على العلم في حبسه، وطارح الأدباء والعلماء من سجنه، توفيِّ سنة 1167هـ في بئر العَزب، ودفن بخزيمة. ترجمته: نفحات العنبر (2/87)، نشر العرف (3/299)، مصادر الفكر للحبشي (347).

(2) نفحات العنبر (2/496)

(3) نفحات العنبر (2/496)

(4) صفي الدين، أحمد بن محمد بن الحسين بن شرف الدين، الأمام العلاّمة، وُلد في سنة 1122هـ بشبام كوكبان ونشأ في حجر والده، وأخذ عن مشايخ عصره، كالعلامة عبد الله بن لطف الباري الكبسي، والشيخ عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر، وحجَّ، وأخذ عن الشيخ محمد حيات السندي، والشيخ محمد أشرف النقشبندي، وبالجملة فقد كان من الزّهاد، والقائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شديدًا في ذلك، توفي سنة 1181هـ ودفن بكوكبان. ترجمته نفحات العنبر (1/279) البدر الطالع (1/104)، إتحاف الأحبة لقاطن (103)، نشر العرف (1/259).

(5) نفحات العنبر (1/290).

وأصبحتْ شَجَرُ الأفراحِ يَانِعَةً ... لكلِّ مُلتقطٍ منها ومقتطفِ

ولاحَ كالفجرِ تحتَ الليلِ حين بَدَا ... من مالك وجهه في جَعْدِهِ الوَحِفِ[1]

وأُحضِرتْ قهوةٌ للأنسِ حاليةٌ ... صارَ السُّرورُ لها والبشرُ في كَنَفِ

وجاءَ بالكأسِ من أهواه حينَ بَدَتْ ... مَطارفُ المصطكى تعلوه كالسُّجُفِ

وقال: شبِّه، ولا تأتي بما سمعت ... أذناك من كَلِمٍ كالدُّر في الصَّدَفِ

فقلت: كالمقلة السهلا فإنَّ بها ... لمن تأمَّل تمثالٌ وليس خَفيْ

أو أنَّ جيشَ الهَنَا بادٍ فذا علَمٌ ... في الكاس ينشره ثغرٌ لمرتشفِ

أو لا فقل: زَرَدٌ صاغوه من ذهب ... قد أُلبِسَتْ خشيةً من شاربٍ لَهِفِ

أو هيئةُ الشَّمسِ إن حدَّقتُ طَرْفيَ في ... تمويهها حينما تبدو من السُّدَفِ

[للأمير الصنعاني]

وللعلامة الأمير الصنعاني[2] مضمِّنًا لتشبيه المصطكى طافيًا على القهوة[3]: [الطويل]

أدارتُ علينا[4] قهوة أخرفيَّةً ... فتاةٌ كغصنٍ كادَ يدنو من الأرضِ

---

(1) الوَحِفُ: الشعر الكثيف الأسود.

(2) البدر، الإمام العلاَّمة، المجتهد الحافظ، أبو إبراهيم، محمد بن إسماعيل بن محمد الكحلاني الصنعاني، المعروف كأسلافه بالأمير، صاحب التصانيف المشهورة، منها: «سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام» لابن حجر العسقلاني، و«توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار»، و«اليواقيت في المواقيت شرح الجامع الصغير» للسيوطي، و«إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد»
وغيرها الكثير، وُلد سنة 1099هـ وعاش حياة حافلةً في التعليم والدعوة، وتلمذ له كثيرون من مختلف الأقطار، وله مكاتباتٌ وأبحاث مع آل إسحاق، وله شِعرٌ رائق، جُمع في ديوان، توفي رحمه الله سنة 1182هـ بصنعاء. انظر: نفحات العنبر (3/320)، ودمية القصر لقاطن (223)، والبدر الطالع (2/133)، والتاج المكلل (406)، وهدية العارفين (2/ 338)، والمراجع التي ترجمت له أكثر من أن تحصى.

(3) ديوان الأمير الصنعاني (ص233)، ونفحات العنبر (2/498).

(4) في النفحات: عليها، والصواب ما أُثبت من مخطوط النفحات.

وقدْ عُطِّرت بالمصطكى قبلَ كأسها　　فشبَّهتها والإرتشافُ به يقضي
«كأذيالِ خودٍ أقبلت في غلائلٍ　　مصبَّغةً والبعض أقصرُ من بعضِ»[1]

[لعبد الرحمن بن علي بن إسحاق]

وقال للأديب الفاضل عبد الرحمن بن علي بن إسحاق[2] في تشبيه المصطكى على وجه القهوة[3]: [الطويل]

دعِ الرَّاحَ في الكاسات وادعُ بقهوةٍ　　يدورُ بها الفنجانُ في كَفِّ أغيدِ
إذا سَالَ فيها المصطكى فكأنَّه　　سَلاسِلُ تِبرٍ فوق خدٍّ مورَّدِ

[للمطهر بن يحيى بن إسحاق]

وقال المولى المطهر بن يحيى بن إسحاق[4] في وصف حسناء تشرب القهوة[5]: [مجزوء الكامل]

خرجتْ من الحمَّام شمسُ ضحى　　فمحا محيَّاها سنا البدرِ
خَضَبَتْ بِحِنَّاها اليديْن مَعًا　　وتختَّمتْ بخواتم التِّبرِ
وتناولتْ فِنجان قَهوتها　　خَمْرا عليها المصطكى تجري
فتشابهتْ لتريك إن رُشِفَتْ　　منها فُصوصَ زَبَرْجَدٍ خُضرِ

---

(1) البيت لابن الرومي، انظر: ديوان ابن الرومي، طبعة دار الكتب العلمية (2/ 297).

(2) وجيه الدين، عبد الرحمن بن علي بن إسحاق، كان أديبًا فاضلاً كريماً حسن الأخلاق، له شعرٌ جيّد. ترجمته: نفحات العنبر (2/ 303)، نيل الوطر (2/ 34).

(3) نفحات العنبر (2/ 498)

(4) لم أقف له على ترجمة.

(5) نفحات العنبر (2/ 498)

[لمحمد أحمد الرقيحي]

وقال الأديب محمد أحمد بن الحسين الرقيحي[1] مُشبِّهًا: [السريع]

كأنما الشَّفاف والمصطكى   والقهوة الرَّائقةُ الحاليةْ
فنجانُ بِلَّورٍ عليه طَفَا   ظِلٌّ لطيفٌ تحته عاليةْ

[للقاضي أحمد بن مشحم]

وقال القاضي أحمد بن أحمد بن مشحم[2] في التشبيه: [السريع]

كأنَّما القهوةُ والمصطكى   مِن فَوقها يزهو بحالٍ رقيقِ
قطيفةٌ حمراءُ قد ظَفِرَتْ   مِن زُرقة اللازِ بمعنى رقيقِ

وقال أيضًا: [الطويل]

وساقٍ صبيحٍ جاءَ يسعى بقهوةٍ   حَلَتْ فَجَلَتْ عن شاربيها صدى البُوسِ
فشبَّهتُها والمصطكى قد طفا بها   زهورَ شقيقٍ فوقها ريشُ طاووس

[بين الشيخ عبد الله البيتوشي والشيخ أحمد آل عبد القادر في البن]

وممن كان مُغرمًا بالقهوة، من أهل القرن الثاني عشر، الشيخُ عبد الله

(1) لم أقف له على ترجمة، وترجمة والده في النفحات (2/ 249)

(2) لم أقف لأحمد بن أحمد بن مشحم على ترجمة، ولعله القاضي: أبو أحمد محمد بن أحمد مشحم الصعدي، ترجمته في نفحات العنبر (2/ 296)، والبدر الطالع (2/ 102)، ونشر العرف (2/ 412)، فليحقق.

البيْتوشي الكُردي الأحسائي[1]، وكان بينه وبين علماء الأحساء في زمانه مطارحاتٌ ومكاتبات، أرسلَ أبياتًا إلى الشيخ أحمد بن عبد الله آل عبد القادر الأحسائي[2]، عام 1194هـ يشكوه قِلّةَ البُنِّ، يقول[3]: [الخفيف]

لـيَ شـهرٌ إن لـم يكـن شـهرانِ	منـذُ فارقـتُ لـذَّةَ الفِنجـانِ
سـاء خُلقـي مـن بعـده ولقـد كُنـ	ـتُ لِما كنتُ ذا سـجايا حِسانِ
ولقـد ضـاق بـي مكانـيَ حتَّـى	ضـاق صـدري عـن احتمـال جَناني
يـا خليلـيَّ عِشـتُما أبلغـا عنْـ	ـنِـيَ الندامـى حالـيَ التـي تريـانِ
قهوتـي أزرقُ الميـاه وهُـم يُسْـ	ـقَوْنَ منهـا حمـراءَ كالأرجـوانِ
رُبَّ ليـلٍ أطـارَ نومـي هواويـ	ـنُ بيـوت الجيـران قبـلَ الأذانِ
فيـه أشـكو بَثّـي وحزني إلـى اللـ	ـه وحالـي لديـه رأي العيـانِ
إن هُـمُ تُرضيهـمْ معيشـتيَ النَّكـ	ـدا فـلا خيـرَ فـي بقايـا الزَّمـانِ

فلمَّا وصلت الأبيات إلى الشيخ أحمد بن عبد الله آل عبد القادر، بعثَ إلى البيتوشيِّ بُنًّا مع أبياتٍ يهنئه فيها بشرب القهوة، ويشكو إليه ألمًا في

---

(1) الشيخ عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي، أبو محمد. عالم ولغوي وشاعر، ولد بين 1140-1130هـ في بيتوش من بلاد كردستان إيران، ونشأ فيها وتلقى علومه الأولية بها، ثم هاجر إلى بغداد، ومنها إلى الأحساء، وتردد على وطنه عدة مرات، حتى استوطن الأحساء أخيرًا، وتوفي بها سنة 1211هـ. وله نظم حسن في ديوان، وله:(طريقة البصائر إلى حديقة السرائر)، (المكفرات)، (شرح الفاكهي على قطر ابن هشام)، ومنظومة (كفاية المعاني-ط)، لترجمته: انظر مقدمة تحقيق كتاب البيتوشي: كفاية المُعاني في حروف المعاني، دار اقرأ - دمشق، الطبعة الأولى 1426هـ/ 2005، ص19.

(2) الشيخ أحمد بن عبد الله آل عبد القادر الخزرجي الأنصاري الأحسائي، العلامة الفقيه الأديب الشاعر، وُلِدَ بالأحساء عام 1117هـ وقرأ الفقه و النحو على العلّامة عبدالله بن محمد آل عبداللطيف المشهور بالشافعي الصغير، و قرأ البهجة المرضية في شرح الألفية للإمام السيوطي على يد العلّامة محمود بن محمد الكردي البيتوشي، وحظي عند حكّام الأحساء، حكام بني خالد الشيخ عرعر بن دجين وابنه سعدون أثناء حكمهما فتقلد منصب المستشار الأول بمنزلة كبير القضاة ورئيس الوزراء. توفي عام 1196هـ بالأحساء، انظر ترجمته: المجموع في شعر علماء هجر، محمود بن محمد المبارك، شركة مدبولي - القاهرة، الطبعة الأولى 1442هـ/ 2021، ص29.

(3) المجموع في شعر علماء هجر، ص39

قدمه منعه من المشي إليه[1]: [الخفيف]

اشربِ الكأسَ دائمًا بالتهاني ... آمنَ العُدْمِ ما جرى المَلَوانِ[2]

واصطبِحْ قهوةً كخمرةِ صُبحٍ ... بعدَ هَزْمِ الكرى قُبيلَ الأذانِ

بنتَ بُنٍّ لا بنتَ كَرْمٍ حرامٍ ... لم تُذَلَّل بعصرِها في الدِّنانِ

تجلِبُ الأُنسَ للفتى ويُحلّى ... دارسُ العمرِ حِليةَ الوِلدانِ

فاسعَ في طبخها وقِف لجلاها ... ثُمَّ طُف للوداع نحو الحِسانِ

واعتمر بالسَّماع إن زمزمَ العُو ... دُ وإيَّاكَ خشيةَ الرُّهبانِ

لا تكُن للسُّرورِ يومًا مُضيعًا ... فالفتى يستَفِيتُه الفتَيانِ[3]

وانتهبْ لذة الزَّمان فيا ... رُبَّ سرورٍ سرورٍ نهبتُه من زماني

إذ أنا والشبابُ في العُنفوانِ ... في الهوى من أكابرِ الفِتيانِ

يا خليلي إذا تذكَّرتُ ما فا ... تَ سَعَتْ عيناي بالهَمَلانِ

ليتَ شِعري هل رجعةٌ أرتجيها ... أم مضى مثلما مضى القارظانِ[4]

أشتكي للذي براني دهرًا ... بالهمومِ المُثقِلاتِ جِراني

أسهرَ القيدَ وابتلاني بقيدٍ ... منعَ الرِّجلَ أن تسيرَ لشاني

كُلَّما رُمتُ نهضةً، قال: مهلًا ... لا تَقِسْ أوَّلًا قياس الثواني

ليته إذ جفا ولم يَرعَ عهدي ... لم يكن جالِبًا خِلافَ الأماني

لا رعى الله صاحبًا لا يُراعي ... سالفَ الوُدِّ والعهودَ المِتانِ

(1) المجموع في شعر علماء هجر، ص39، 40.

(2) المَلَوان: الليل والنهار.

(3) الفتيان: الليل والنَّهار.

(4) في المطبوعة بالضَّاد، والصحيح ما أثبتَ، والقارظان: رجلان من عَنَزَة، يُضرب بهما المثل في الذاهب الذي لا يعود، والمستحيل. والقارظ: الذي يجتني القرظ، وهو ورق السلم يدبغ به، ويقال: هذان القارظان كانا من عنزة خرجا في طلب القرظ فلم يرجعا. ولها قصَّةٌ تطول، انظر المثل في: مجمع الأمثال للميداني (2/ 212)، وانظر القصة في المعارف لابن قتيبة (1/ 617).

[وصفة القهوة وآدابها للفقيه محمد بن داوود بن كامل]

ووجدتُ في آخر للفقيه محمد بن داود بن كامل[1] في وصف القهوة وكيفية طبخها، قال رحمه الله[2]: [الطويل]

إذا كنتَ في ليلٍ من الهَمِّ حِنْدِس[3] ... وضيقٍ وقَبضٍ وافتكارٍ موسوس

وتكديرِ أرواحِ لِطاف تكاثَفَتْ ... عليها غيومٌ من خَرَامٍ[4] منغَّسٍ

فَخُذْ كِيْلَةً من قِشْرِ بُنٍّ مشَهَّفٍ ... وإلا فمن بُنٍّ نظيفٍ مُكَنْكَسِ[5]

وللقشرِ خُذ ماء قراحًا مقدَّرًا ... بضعفيهِ تقديرَ الحكيم المهندِسِ

وفي البنِّ قدِّر ماءه قبل سَحْقِهِ ... بخمسةِ أضعافِ المَكيلِ المؤسَّسِ

فتغليه في قِدرٍ نظيفٍ فإن غلى ... فألقِ عليهِ ذلك الكَيْلَ وادبس[6]

ولا توقِد القُضبانَ والعُشْبَ والكلا ... ولا رَطْبَ عودٍ كالخفيف المسَوَّسِ[7]

وأوقدْ له ما ليس يؤذي دخانُه ... من الحَطَبِ الجَزْلِ الصَّليبِ المخلَّسِ[8]

برفقٍ ولينٍ حتَّ[9] ما أنت طابخٌ ... يَصِرْ قهوةً طبَّ الفؤادِ المهجَّسِ

إلى أن ترى عَقد النَّضاحِ بلونها ... وَشَمٌّ وطَعْمٍ في المذاقِ لمحتسي

---

(1) لم أقف له على ترجمة في ما بين يدي من المصادر. وله رسالة في مكتبة الإمام زيد كذلك باسم «وصية الفقيه محمد بن داود بن كامل المحلي لأولاده». ويغلب على ظني أنه من أهل القرن الثاني عشر.

(2) من مخطوط كُمَامَة الزَّهر وصدفة الدرر في شرح قصيدة البسامة بأطواق الحمامة، لعبد الملك بن عبد الله بن بدرون، مكتبة الإمام زيد، رقم ZA: 02-278، لوح 26–25.

(3) الحِندِس: شديد الظلمة.

(4) الخَرَام: شدّة الاشتياق والتَّشهي للشيء، وهي من استخدامات المُحدَثين.

(5) المُشهَّف: المحمّص، والتشهيف التَّحميص. المُكَنْكَس: المدقوق، والكَسُّ، والكَنكَسة: الدَّق الشَّديد.

(6) التَّدبيس: المواراة، ويقصد تغطية الإناء هنا.

(7) القُضبان: كُلُّ نبتٍ من الأغصان يُقضَب

وربما قصدَ القُصبان: من القَصَب، كلُّ نباتٍ ذي أنابيب.

(8) الصَّليب: اليابس، المُخلَّس: الذي يخالط يُبسه شيء من رطوبة.

(9) أصلها: حتى، وحذف ألفها ضرورة.

فحينئـذ بـادِرْ وشُــنَّ قوامهــا ... بليـفٍ إلـى لـونٍ نظيـفٍ محمَّـسِ[1]

فـإن شيتَ فاشـربْ مفـردًا متخلّيًا ... ومستأنسًـا باللــه خيـرِ مؤنّـسِ

وإن شيتَ فاجمع كلَّ خِـلّ له حجى ... أديـبٍ لبيـبٍ للكياسـة مكتسـي

وإيـاك مـن تطفـال غيـرٍ وإنــه ... أشـدُّ علـى الأرواح من غَـمِّ أرمسِ[2]

وحـاذِر بجهـدٍ مِـن فقيـه مُجَنَّـنٍ ... وحـاذِر بجـد مـن فقيـر[3] مدلَّس

فشنُفْ لهـم كاسـاتهم وهـي سُخْنَةٌ ... وعـاطِ علـى الإسـم العظيـمِ المقدَّسِ

وراعِ حقـوقَ الحاضريـنَ مكمِّلا ... لآدابهـا حقًّـا عليـك ولا تُسـي

تـرى سِرّها يسـري بِسَـرٍّ وراحـةٍ ... ونُشْـطٍ ورَوحٍ وارتيـاحٍ منفِّـسِ

ومَرْقَحَـةٍ[4] تعطـي نشـاطًا وقـوةً ... وتعديـلِ أخـلاقٍ وتليينِ ما قَسِـي

وتُذهِـبُ أدواءَ ضغانًـا وكـم لهـا ... منافـعُ أرواحٍ وأشـباحِ أنفُـس

ودنيـا وأخرى، وهـي شُربٌ لكل ما ... نويـتَ لنَفْـعٍ أو لدفـعِ لأبـؤسِ

عليـكَ بهـا صِرفًـا وخذهـا بقـوةٍ ... وثـرِّب علـى العُـذَّال فيهـا وتعَّسِ

وكـن خَلفهـا خِدنـا لهـا مغرمًـا بهـا ... وكـن إلفهـا فـي كلِّ وقـتٍ ومجلِسِ

وفـي حانها فاعكـف، لفنجانها ارتشـفْ ... ومـن شـانها غَطْـرِفْ سـرورًا وميِّسِ

وإن لـم يسـاعدكَ الفَضَـا وتسـدَّدتْ ... طرائـق رِفـقٍ دونهـا وتَنَفُّـسِ

---

(1) شَنَّ الماء: إذا صبَّه

الليف: نسيج من النخل يُستخدم لتصفية السوائل.

(2) لعله يقصد القبر.

(3) يقصد بالفقير الصوفيّ.

(4) المَرقَحَةُ: كلمةٌ يمانيَّة لوصف النشاط والروحنة وطيب الخاطر الذي يحصل لشارب القهوة، وهي مرادفة لكلمة «الكيف» اليوم. قال ابن عبد الغفار في دفع المفوة»: «والمَرْقَحَة بفتح الميم والقاف والحاء المهملة، وسكون الراء وآخرها التأنيث؛ وهي لغة يمانية، وهذه المرقحة مما علم وجوده بالحس والتجربة في حق المباشرين لشربها، وبتواتر النقل عنهم أيضا في حق من لم يشربها؛ وحقيقة هذه المرقحة ما ذكر علّامة عصره الشيخ: شهاب الدين المزجّد في فتواه السابقة، أنه يحصل لشاربها من النشاط والروحنة وطيب الخاطر»، انظر: دفع المفوة، ق30

فـلا تيأسنْ مـن رَوْح ربِّـك واصطبر ... وَثِـقْ بضمـانٍ صـادقٍ غيـر مُبْلِسِ

فلـن يغلـبَ المعسـورُ يسـرين هكذا ... يَنُـصُّ حديـثٌ فـي صَحيحـاتِ أطْرُسِ

وسـلِّم ففي التَّسـليم أعظَـمُ راحة ... وأوفـى سـرورٍ مـن شرابٍ وأكْـؤسِ

وفَـوِّضْ إليـه الأمـرَ فـي كُلِّ حالةٍ ... ولا تُلْـفَ إلا مُسـفرًا غيـرَ مُعْبِسِ

وصَـلِّ علـى المختـارِ يـا رب كُلَّما ... جرى ذِكره في ألسُـنِ الخلق أو نُسـي

مع الآل والصَّحب الكـرامِ وتابعٍ ... وسـلِّم عليهـم ثُـمَّ بـارِكْ وقَـدِّس

[مقطّعات لمحمد القمحاوي]

وللأديب الفاضل محمد القمحاوي[1] من رسالته «نزهة الإخوان في القهوة والدخان»[2]: [الرمل]

سَـاقني وجـدي لسـاقٍ شـاقني ... فسـقاني ولسـيفِ القتـل سَـنّ

وهــو تُركــيٌّ لتَركــي تــاركٌ ... طرفـه الأكحـلُ مملـوءٌ وَسَـن

سـلَّ سـيف اللَّحـظِ فـي عُشَّـاقه ... عندمـا قـد فَـرَضَ القتـل وَسَن

قلـت: مـن معشـوقُ مـن هو عاشـقٌ ... قـال لـي باللطـف منـه: بَـنْ وسَـنْ[3]

وله أبياتٌ ضمَّنها أنواعًا من الجِناس، يدركه كل من له أدنى إحساس[4]: [الرمل]

---

(1) محمد القمحاوي، فاضلٌ مصري، وأديب من أهل القرن الثاني عشر الهجري، كان من تلاميذ الشيخ عيسى بن أحمد البراوي الأزهري (ت 1182هـ) ذكر ذلك في رسالته: «نزهة الإخوان في القهوة والدخان». ولم أقف له على ترجمة مستقلة، اللهم بعض الإشارات عن حياته وعصره في طيّات رسالته.

(2) القمحاوي، ق9-8

(3) بَن (Be) بالتركيّة: أنا، وسَن (sen) بالتركيّة: أنت. أفادنيها الأخ عبد الرحمن الدالاتي، القاطن بإسطنبول.

(4) نزهة الإخوان، ق9

مـن قـهـوةٍ وصَبيبِها أشكو لكم وصبي بها
في حرّها ولهيبها يا سادتي ولهي بها
ومن خودة ولعيبها وفي ليلةٍ ولعي بها
من صوتها وطريبها قد فُزتُ من وطري بها

وله على نفس مقطوعته السابقة[1]: [الرجز]

من قهوةٍ وصبيبها وصبي بها والشُّربُ منها كلَّ وقتٍ راحتي
في حرِّها ولهيبَها ولهي بها وبها الشِّفا من خلّتي يا خِلّتي
ولعي بها من خودةٍ ولعيبها في ليلةٍ يا جيرتي يا حيرتي
من صوتها مع حسنها وطريبها قد فُزتُ من وطري بها في ليلتي
يا حبَّذا من ليلةٍ قد نلتُها في شُربِ بُنٍّ مع وصالِ حليلتي

وله يمدح القهوة[2]: [الرمل]

قهوة البُنِّ دواءٌ وشِفا للشاربينْ
وهي رِيٌّ للعطاشى وغذا للجائعينْ
أو يكنْ حَرٌّ وبردٌ زالَ منها بيقينْ
وعلى خيرٍ وذِكرٍ وعباداتٍ تُعينْ
فأديموا الشُّرب منها ما استطعتم كلَّ حينْ
واطرحوا قولَ وُشاةٍ وكلامَ العاذلينْ

وله، وكان عند جماعةٍ من الإخوان، فجاء رجلٌ شايب من السُّودان

(1) نزهة الإخوان، ق10
(2) نزهة الإخوان، ق11

فناوله الفنجان، فقال[1]: [الرجز]

لا تشربنَّ قهوةً من أسودٍ وشايبِ
فالشُّربُ من هذا وذا يجلِبُ للمصايبِ

وسقاه في مناسبةٍ أخرى رجلٌ أقرعٌ شايب، فقال[2]: [الرجز]

لا تشربنَّ قهوة من أقرعٍ وشاينب
فالشُّربُ من كليهما يجلبُ للمصايبِ

وقال مخمّسًا ظريفًا يذمُّ ساقيًا ملتحيًا[3]: [السريع]

قد ضرَّني الهجرُ وطولُ النَّوى من أهيفٍ رقى برق حوى
وجاءني بالكأس فيه الدَّوا وقهوةٍ لا عيبَ فيها سوى
أنَّ الذي يسقي لها ملتحي

نهيته عن سقينا ما انتهى وعن مقالي قد سهى والتهى
ناديتُ من شوقي لأهل النُّهى قولوا لبدرِ التَّمِ يأتي بها
كذا لذي اللحية ما تستحي؟

[للسيد نصر الله الحائري]

وممن كان مُكثرًا من وصف القهوة، ومولعًا بالتضمين والتشبيه، العلامة السيد نصر الله بن الحسين بن علي بن يونس الموسوي الحائري[4]، قال في

(1) نزهة الإخوان، ق11

(2) نزهة الإخوان، ق11

(3) القمحاوي، ق12

(4) ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، عالم وأديب وشاعرٌ شيعيٌّ، درَّس بالروضة الحسينية بكربلاء،

القهوة مقتبِسًا[1]: [الرمل]

أقبلَ الأسودُ بالسَّوداءِ في ... قَدَحٍ مثلهما بالنَّحس يقضي

فدجا يومي إذا قد جُمعتْ ... «ظلمات بعضها من فوق بعضٍ»[2]

وقال في القهوة مُوريًّا[3]: [السريع]

فنجانُه الأبيضُ لمَّا حوى ... قهوةَ بُنٍّ للدُّجى تحكي

حكَّمتُه في مِصرَ مِصرَ الحشا ... إذْ هو كافورٌ أبيُّ المسكِ

وقال في القهوة مقتبِسًا[4]: [الخفيف]

إنَّ كأسًا وافى لنا ذا ابيضاضٍ ... وبه قهوةٌ كعينِ الغزالِ

فيه معنًى مِن البدورِ ولكن ... «نفضتْ صبغها عليه الليالي»[5]

وقال فيها[6]: [البسيط]

وافى بأصغر فنجانٍ يلوحُ به ... من قهوةِ البُنِّ ما يسمو عن الكُحَلِ

فقال فنجانه من تحت قهوته: ... «لي أسوةٌ بانحطاطِ الشَّمْسِ عن زُحَلِ»[7]

له (الروضات الزاهرات في المعجزات بعد الوفاة)، و(رسالة في تحريم التتن)، وغيرهما، وله ديوان شعر رائق، وكان يُكثر من المقطَّعات الشعرية، اغتيل في القسطنطينية مبعوثًا عند السلطان العثماني محمود الأول بن مصطفى الثاني سنة 1156هـ انظر مقدمة الناشر : ديوان السيد نصر الله الحائري، جمع حسين عبد الرشيد الرضوي، نشر وتعليق عباس الكرماني، مطبعة الغري الحديثة - النجف، ط1، 1373هـ/ 1954م، ز-م)

(1) ديوان الحائري، ص137

(2) (اقتبس من سورة النور، 24 مع تصرُّف)

(3) ديوان الحائري، ص162

(4) ديوان الحائري، ص178

(5) والعجز المضمَّن من بيت لأبي إسحاق إبراهيم الصابي، في غلام له أسود، اسمه «يُمن»:

لك وجهٌ كأنَّ يُمناي خطَّتـ ... ـه بلفظٍ تُمِلُّه آمالي

فيه معنى من البدور ولكن ... نفضت صبغها عليه الليالي

يتيمة الدهر للثعالبي (315/ 2)، وفيات الأعيان لابن خلّكان (252/ 6)

(6) ديوان الحائري، ص178

(7) والتضمين لعجز بيت الطغرائي الشهير من لامية العجم:

وقال فيها[1]: [الرجز]

لا تنكـروا مـرارةً بقهـوة الــ   بُــنّ فمـا يُنكـرُ هـذا عاقـلُ
فالحـقُّ مـرٌّ وهـي حـقٌّ ثابـتٌ   ومـا سـواها مـن شـرابٍ باطـلُ

وقال في القهوة[2]: [السريع]

سـليلةُ البـنّ التـي نَشْـرُها   يهـزأ بالعنبـرِ فـوق الضِّـرام
فـي القَـدحِ الأبيـضِ لاحـتْ لنـا   فأذكرتنـا عهـد حـامٍ وسـام

وقال في القهوة مقتبِسًا[3]: [الرمل]

لا تـظـنـوا بِـيَ سـوءًا   «إنَّ بعـض الظـنِّ إثـمٌ»[4]
فـاتقـوا اللـه بِصَـبٍّ   شَـوقُـهُ مـا زال يَـنمـو

وقال في القهوة مع التتن مقتبسًا[5]: [مجزوء الوافر]

أحضـروا التُّـتنَ مـع القَـهْـ   وةِ فـي ليـلٍ بهيـمِ
فـأنـا مـن ذا وهـذي   «فـي سمـومٍ وحـميـمِ»[6]

وقال في القهوة مضمِّنًا[7]: [السريع]

عليـكَ بالقهـوة السـوداء إنَّ لهـا   بيـضَ الأيـادي بدفـع الهَـمِّ والحَـزَنِ

فإن علاني من دوني فلا عجبٌ   لي أسوةٌ بانحطاط الشمس عن زحل
ديوان الطغرائي، تحقيق د. علي جواد الطاهر و د. يحيى الجبوري ، مطابع الدوحة الحديثة ، الدوحة ، قطر، ط 2 ، 1406 هـ / 1986 م، ص301)

(1) ديوان الحائري، ص178
(2) ديوان الحائري، ص206
(3) ديوان الحائري، 207
(4) سورة الحجرات، 12
(5) ديوان الحائري، ص207
(6) (سورة الواقعة، 49)
(7) ديوان الحائري، ص221

ولا تـذقْ قـطُّ بيضـاء الكـؤوس تفُـزْ ... «فالمسـكُ للعُـرسِ والكافـورُ للكَفَـنِ»[1]

وله مضمِّنًا[2]: [السريع]

عليـكَ بالبيضـاءِ فهـي التـي ... كريـقِ مَـن فيـه المنـى والمنـون

ولا تَمِـلْ نحـو ابنـة البـنِّ قـطُّ ... «فالميـل للسـوداء أقصـى الجنـون»

وله في القهوة[3]: [الطويل]

لقد قالـتْ السَّـودا ابنـةُ البـنِّ جَهـرةً ... وقـد حُسِـدَت في لثـم ثغـرِ الرَّشـا الأحوى

صَبَـرتُ علـى حَـرْقٍ ودَقٍّ لأجـل ذا ... بلغـتُ المنـى فـي لثـمِ ثغر الـذي أهوى

وله في كأس القهوة مضمِّنًا[4]: [الوافر]

ألا للــه كـأسٌ ذو ابيضــاضٍ ... بــه السَّــوداء تُجلـى كالهـديِّ

تلـوحُ بــه إذا حَدَّقــتَ فيــه ... «كمسـكٍ فـوق كافـورٍ ذكـيِّ»[5]

---

(1) الشطر من بيتٍ أورده البهاء العاملي في كشكوله دون أن يسمي قائله:

قالت أرى مسكة الليل البهيم غدت ... كافـورة غيرتهـا صبغــة الزمــن

فقلـت طيـبٌ بطيبٍ والتبـدُّل مـن ... روائـح الـطيـب أمرٌ غير ممتهـن

قالـت صدقت ولكن ليس ذاك كـذا ... المسـك للعرس والكافـور للكفـن

انظر: الكشكول للبهاء العاملي، بهاء الدين (المتوفى: 1031هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1418هـ-1998، جـ1/ 110

ولابن الوردي (ت) نفس العجز، من بيتين نظمهما في رجل اسمه كافور:

قـد أزمنَ الله كافـورًا وعاقبـــــه ... هـذا بـذاك ولا عتـبى على الزَّمــنِ

فاستعملوا المسك في عرس السرور به ... فـالمســكُ للعــرس والكافـور للكفن

انظر: ديوان ابن الوردي، تحقيق د. أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، ط1، 1407هـ/ 1986م ص210،211)

(2) ديوان الحائري، ص221

(3) ديوان الحائري، ص224

(4) ديوان الحائري، ص235

(5) العجز من بيت غير منسوب، ورد في آخر مجموع شعري مخطوط بمكتبة الإمام الخوئي:

وتركـيٍّ لـه في الخدِّ خــالٌ ... كمســكٍ فوق كافـــورٍ ذكيٍّ

تعجَّـب ناظـري لمـا رآه ... فقال الخـالُ: صلِّ على النبي

انظر: فهرست مخطوطات مكتبة الإمام الخوئي، إعداد أحمد علي مجيد الحلّي، نشر مكتبة ودار مخطوطات العتبة

وقال في القهوة[1]: [الرمل]

قهـوة البـن أتتنـا تنجلـي   فـي فناجين حكـت حظـي الرديا
فحسـبناها نهـود الزنـج أو   أسـودَ التِّيـنِ إذا كان جنيـا

وقال فيها مضمِّنًا[2]: [الوافر]

لئـن شـرب ابنـةَ البـنِّ المفـدَّى   فـلا عجـبٌ ولا عيـبٌ عليـه
فلـون لَمَـاهُ يحكـي اللـون منهـا   «وشِـبه الشـيء منجـذبٌ إليـه»[3]

وقال فيها أيضًا[4]: [الرمل]

قـل لسـاقي قـهـوة الـ   ـبـنِّ إذا مـا يجتليـهـا
عـاطنـي السَّـوداء كيمـا   ينجـلـي غَـمِّـيَ فـيـهـا

له في القهوة مورِّيًا[5]: [الكامل]

لا تسـقياني قهـوةً مـن سُـكَّرٍ   بيضـاء تحكـي وجنـة البرصـاءِ
بـل قهـوةَ البـنِّ اسـقياني أبـدًا   فإننـي المجنـونُ بالسَّـوداءِ

وله في القهوة[6]: [الخفيف]

قهـوةُ البُـنِّ فـي التَّفاخُـر قالـتْ:   مُـذْ أتـت فـي كؤوسـها تَتَبَخْتَـرْ

المقدسة، كربلاء، ط1، 1431هـ/ 2010م، جـ441، 442

(1) ديوان الحائري، ص236

(2) ديوان الحائري، ص237

(3) العجز من بيت شهير للمتنبي:

وشِبهُ الشيء منجذبٌ إليه   وأشبَهُنا بدنيانا الطَّغامُ

انظر: ديوان المتنبي، طبعة دار بيروت، 1403هـ/ 1983م، ص102

(4) ديوان الحائري، ص237

(5) ديوان الحائري، ص245

(6) ديوان الحائري، ص247

أنـا خـالٌ لخـدِّ كلِّ شـرابٍ   وأنـا أخـت كلِّ مسـكٍ وعنبـرْ

وله كذلك في القهوة[7]: [الطويل]

وَلِهتُ ببيضا قهوةٍ لـذَّ طعمُها   فلستُ إلى أُفْقِ ابنةِ البُنِّ أعرُجُ

وما لي أن لا أتبع الحقَّ في الهوى   ولا شكَّ أنَّ الحقَّ أبيضُ أبلجُ

وله مضمِّنًا[8]: [الطويل]

أتانا بإبريقِ ابنةِ البنِّ مُفعمًا   وفي كفِّه كأسٌ غدا مُخجِلَ الوَرْسِ

ومُذْ صبَّها فيهِ تخيَّلتُ أنَّه   «يطرِّزُ بالظلماء أرديةَ الشمسِ»[9]

وله يشبِّه فنجانًا أبيض[10]: [الكامل]

وافوا بفنجانٍ نقيٍّ أبيضٍ   كالبدرِ فيه من الجمالِ صُنوفُ

فاسْودَّ لمّا صُبَّتِ السوداْ به   فكأنَّه بَدرٌ علاهُ كُسُوفُ

[بين القلو والقِلى]

وللحاج جواد عواد البغدادي[11]، الأديب الشاعر، الذي كان معاصرًا

---

(7) ديوان الحائري، ص247

(8) ديوان الحائري، 249

(9) الشطر مأخوذ من عجز بيت لأبي إسحاق الصابئ (ت:

وكم من يد بيضاء حازت جمالها .

بد لك لا تسود إلاّ من النقس

إذا رشقت بيض الصحائف خلتها .

تطرز بالظلماء أردية الشمس

انظر: المنتحل للثعالبي (ت 429هـ) تحقيق: الشيخ أحمد أبو علي (ت 1936م) الناشر: المطبعة التجارية - عرزوزي وجاويش - الإسكندرية، ط: 1319 هـ - 1901 م، ص12.

(10) ديوان الحائري، ص250

(11) محمد جواد بن الحاج عبد الرضا بن عواد البغدادي، المعروف بالحاج جواد، أو الحاج محمد البغدادي، شاعرٌ

لشاعرنا السابق، السيد نصر الله الحائري، وبينهما مراسلاتٌ ومطارحات، بيتان في القهوة، يقول مضمِّنًا[1]: [الوافر]

قَلَـوا للبُـنِّ فـوق النَّـار حبًّـا فَمَـالَ القلـب منعطفًـا عليـهِ
إليـه لحبَّـةِ القلـبِ انجـذابٌ «وشِـبه الشـئ منجـذب إليـهِ»

[لعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس في مدح القهوة]

وللحبيب العلَّامة السيّد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس[2]، في ديوانه[3]: [الكامل]

مـا لـي وللمنطيـقِ والسِّـكيتِ وكِلاهمـا يرتـاح مـن تبكيتـي
مهلًا فسـمعي لا يُصيـخُ وناظري لا يرعـوي بإشـارة التَّمْقِيـتِ
يـا لائمـي فـي قَهـوةٍ علويَّـةٍ في الجام تُجلى وهـي كالياقوت
دعني فلي في شُربها شُربٌ صفا لمّـا اعتلى فـي المُلك والملكوتِ
قبـلَ الفـواتِ فواتِهـا متعرِّيًـا بالـكاس يـا خلِّـي عـن التَّشـتيتِ
واسـتجلِها عـذراءَ فـي حاناتِهـا واعـذُرْ بهـا من هـامَ فـي الحانوتِ
واسـتنطقِ الأوتـارَ فـي حضراتها بحبابهـا متجاهـرَ التَّصويـتِ

أديبٌ، له ديوان شعر، كان حيًّا سنة 1128هـ. انظر: أعيان الشيعة (4/ 273)

(1) أعيان الشيعة، محسن الأمين (4/ 277)

(2) هو السيد العلامة عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ بن مصطفى العيدروس الحسيني، ولد بتريم1135هـ ونشأ في كنف والده وجدّه محفوفًا بالعناية فتعلّم القرآن، ودرس على والده وجدّه وبدت مخايل نبوغه من صغره، ثمّ أخذ على علماء بلدته تريم، وحين بلغ الثامنة عشرة رحل إلى الهند واتصل بعلمائها، ثمّ زار جاوة، ثمّ رحل للحجاز وأخذ على علماء الحرم، ثم رحل لمصر، فالتقى بأكابر علمائها، ومنها خرج للشام فمرَّ بغزة ونابلس وبيت المقدس ودمشق وإسطنبول، ثم عاد لمصر وتوفي بالقاهرة سنة 1192هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين للسقاف (2/ 189)،عجائب الآثار للجبرتي (2/ 28)، ومقدمة كتاب الطرف العاطر للمُترجم له- ط مؤسسة آل البيت (13).

(3) انظر: ديوانه: ترويح البال وتهييج البِلبال (108)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (2/ 200).

[للشيخ علي زيني النجفي]

يحكى أنَّ الشيخ علي بن محمد النجفي الكاظمي[1]، كان يشربُ القهوة السَّوداء، ثمَّ تحوَّل عنها إلى القهوة البيضاء بالسُّكَّر، ثمَّ رجع للسوداء، فقال[2]: [الوافر]

لحوا في القهوة السَّودا ووفّوا   بقهوةِ سُكَّرٍ بيضا إليَّا[3]

ولمّا شاقني فيها جنوني   دعوتُ عليَّ بالسَّودا عَلِيَّا

[لسقَّاف بن عمر السقاف صاحب التفريح]

قال العلامة عمر بن سقاف السَّقَّاف[4] في كتابه: «تفريح القلوب»[5]: [الكامل]

قَدْ أقبلتْ وسوادُها يتوقَّدُ   ومنَ العجائبِ أن يُضيء الأسودُ

بِسوادِها ابيضَّتْ قلوبُ أولي النُّهى   بسوادِها ساد السَّوادُ ويُحمَدُ

فأبِن وبَيِّنْ بَيْنَ بُنَّةِ بُنِّه   في بَوْنَهِ أو بُونِه يا أحمدُ

وعلى شرابِ الصَّالحينَ مسوَّرٌ   صادُ الصيانةِ حبّذاكَ المشهدُ

---

(1) الشيخ علي بن محمد بن زين الدين النجفي الكاظمي، شاعرٌ وأديب، وُلد في الكاظمية، وانتقل إلى النجف وحصَّل فيها بعض العلوم، توفي سنة 1215هـ. انظر ترجمته: شعراء الغري (233/ 6)

(2) شعراء الغري (245/ 6)

(3) لحى: جادَل. والقهوة البيضاء السُّكَّريَّة، قهوة كانت تُشرب في العراق، ذكر الشيخ مصطفى الصديقي الخلوتي في رحلته العراقيَّة المعروفة بـ«كشط الصدأ»: أنَّه التقى السيد نصر الحائري الشاعر، وأطلعه الحائري على رسالة لها اسمها «نفحة الشذوة من روضة القهوة» جعلها للتفريق بين القهوتين، البنيَّة السوداء، والسُّكريَّة البيضاء. انظر: الرحلة العراقيَّة للبكري (116).

(4) هو الشيخ العلامة عمر بن سقّاف بن محمد بن عمر الصافي السقاف، وُلد في سيئون من اليمن، سنة 1154 هـ في بيت علم وأدب، فقيه شافعي وشاعرٌ أديب، تتلمذ على يد جدِّه الشيخ الحبيب علي بن عبد الله السقاف، كان عالمًا كبيرًا، ومنصبًا مقدَّمًا في أهل حضرموت، توفي سنة 1216 هـ. انظر ترجمته في مقدمة ديوانه: ديوان الإمام عمر بن سقاف السقاف، نشر مكتبة السقاف سورابايا - إندونيسيا، ص1

(5) تفريح القلوب وتفريج الكروب للسقاف (151).

فـإذا دُعيـتَ لهـا فَبَـادِر مُسـرِعًا ... مـا لم تَكنْ فـي مجلسٍ لا يُحمَدُ

أمَّـا إذا كانـت بمجلـسِ إخـوةٍ ... قـد ضمَّهـم أُنـسٌ لهـا وتـودُّدُ

وذوي وفـا وأولـي صفـا وقـد انتفـى ... طَمَـعٌ وحِـرصٌ عنهُـمُ وتَجَمُّـدُ

جُمِـعَ التوافـقُ والتَّداخـل بينهـم ... فتماثلـوا فهنـاكَ تـمَّ المَشـهدُ

هـذا هـو الكِبريـتُ يـا متطلِّبًـا ... لكنَّهـم فـي العَصْـرِ أنَّـى يُوجدوا

وله باللغة الشعبية في القهوة على سبيل الإشارة والاستعارة[1]:

يـا عجَبْ يـا عَجبْ قشرك للأسرار يُبدي ... مـا يُعـدِّي سروره بيننا مـا يُعدِّي

قهـوةٌ من شَـرِبْها قـام يرقـصْ بوجْدٍ ... لو شَـربْها كفوزْ أمسـى يُسبِّح بحمدٍ

واشـتفى واكتفـى مـن ذِكرِ زيدٍ وسـعدٍ ... هاتهـا هاتهـا صَهْبا بهـا بَـردُ كَبْدي

شنُفْ الكاس لي يـا صاح واسْقِ أهـل وُدِّي ... واسْـقِ غـزلان حاجرْ من مُدامي ورُشْدي

[قصيدةٌ في تحليل القهوة والثناء على مشايخها]

جاء في مخطوط ديوان الغشري[2]: وقال بعض المخالفين في تحليل قهوة البن، والثناء على من مشايخ القهوة[3]: [البسيط]

الحمـد للـه ربٌّ واحـدٌ بـاري ... حمـدًا كثيـرًا بإعـلانٍ وإسـرارِ

(وبعـدَ حمديْ لديـهِ فالصَّـلاةُ على

(1) تفريح القلوب (152).

(2) ديوان الغشري - خ: ضمن مخطوطات دار المخطوطات بوزارة الثقافة العمانية، رقم 1345، بقلم محمد بن عبد الله الخليلي، تاريخ النسخ 1193هـ ص 71.

(3) وأتعجب من صنيع محقق الديوان بالتصرُّف في مقدمات القصائد حذفًا وتوجيهًا بلا موجِّه بل بخلاف الموجُود أحيانًا، كما حدث مع هذه القصيدة، حيثُ نَسَبَها للغشري، مع وجود ما يدلُّ صراحةً أنها ليست له من عبارة جامع الديوان، بل وقصيدة الغشري (سيأتي ذكرها) ردٌّ على مضامين هذه القصيدة: من تحريم للقهوة، والفخر بأشياخه، والحطُّ من أشياخ مادح القهوة الذين تفاخر بهم في هذه القصيدة، هما كما سيبدو مختلفيْ المذهب.

محمَّـدِ المصطفى مـن نسـلِ أخيـارِ(1)

شـهدتُ ألَّا إلَـهَ غيـرُ خالقنـا — ربُّ العبـاد وربُّ الأرضِ والنَّـارِ
وأشـهدُ بـأنَّ رسـولَ اللـه سـيدُنا — ونبيُّـه المبعـوث بالأنـوارِ
صلـى الإلـه عليـه دائمًـا أبـدًا — وصَحبِـه الـكُلِّ مـن أوسٍ ونجَّارِ
يـا إخوتـي إفهمـوا ممـا أقـول به — قـولًا بـلا وهـمٍ فيـه وإنـكارِ
فـي قهـوةٍ ما بهـا عيـبٌ ولا عَتَبٌ — كأنَّهـا عسـلٌ أوسلسـلٌ جـاري
ومـا بهـا حُرمـةٌ عندي وليس بها — كراهــةٌ قَــطُّ فــي عِلـمٍ وآثـارِ
فهـي الحَـلالُ ولا وجـهٌ لمُختَـرِمٍ — ولا مجـالٌ بهـا هيهاتَ يـا جاري
مخصوصـةٌ فهـي للعُبَّـادِ دائمـةٌ — لِشُـربِها بيـن آصـالٍ وأبـكارِ
منسـوبةٌ للكِـرامِ الزَّهديـن وقـد — أسـومها لـذوي ديـنٍ وأوقـارِ
أعنـي أبـا الحسـن الزَّاكي سـليلَ علي — الشَّـاذليَّ منيـعَ الضيـف والجـارِ
قـد خصَّـه الله زهـدًا فـي علاوته — حيًّـا وفـي قبـره يعلـو بأنـوارِ
وغيـره فالرَّضـيُّ العيـدروس لـه — فضـلُ المعظّـم فـي علـمٍ وأفخارِ
فهـذه قهـوةٌ تسـلو القلـوبُ بهـا — صِدقًـا، وقـد مَنعـت للبُخـل والعـارِ
تُبري السَّـقيم وتَشـفي صَدْرَ شـاربها — علـى معـانٍ بهـا تزهـو بأزهـارِ
وتمنـحُ الفَهـمَ فـي قَلبٍ وفـي نَظرٍ — علـى المسـرَّةِ فـي عَيـنٍ وإبصـارِ
ومَـن يقول: حرامًـا؛ مـا لـه أبـدًا — مـن حُجَّـةٍ يدَّعيهـا بيـن أنـوارِ
تـمَّ الـكلامُ وصلـى اللـه مـا طلعـتْ — شـمسٌ علـى أحمدَ الهـادي من النارِ

(1) البيت هنا من الكامل، والباقي من البسيط.

[قصيدةُ الغَشْريِّ في الرَّدِّ على من حلَّلَ القهوة]

فجاء ردُّ الشيخ الغشري على من حلَّل القهوة بالتَّحريم، والثناء على مشايخه، يقول[1]: [الكامل]

سَـنَنُ المحبَّـةِ سـاطعُ الأنـوارِ ... للمهتديـنَ السـادةِ الأخيـارِ

والجاهلـونَ تخبَّطـوا فـي ظُلمـةٍ ... مـن ليـلِ جَهـلِ حالـكٍ مكفار

إنَّ القلـوبَ إذا تعامَـتْ رُشـدهَا ... لا تهتـدي بروامِـق الأبصـارِ

يا مَـن تَطـاولَ في المقال سَفاهةً ... ارجـع إلـيَّ بذُلَّـةٍ وصَغَـارِ

مَـن ينطـح الشُّـمَّ الجبـالَ لَراجِعٌ ... يُبـدي العويـلَ لدمِّـه المهـدارِ

أعلـى فـؤادَكَ يـا بليـد غشـاوةٌ؟ ... أم أنـت فـي وَقْـرٍ عـن الآثـارِ؟

حجـجٌ لهـا وقـعٌ يـكاد لوقعِهـا ... تغـدو هبـاء جُملـةُ الأحجـارِ

إن كانَ شـيخُكَ عيدروسُ وشاذلي ... بهمـا تُفاخِـر فاسـتمع لفخـاري

إنَّ افتخـاري بالرَّبيـع وجابـرٍ[2] ... ومحمَّـدٍ والصَّحـبِ والأنصـارِ

فهمـوا مشـايخُ مذهبي وهـمُ همُ ... بـابُ الإلـه وحجَّتـي ومنـاري

فالبـنُّ قهوتـه حـرامٌ عندهـم ... بروايـةٍ صحَّـت عـن المختـارِ

لأولـي السَّـفاهةِ والمناكِـر مَشـربٌ ... ولهـا اجتمـاعُ السَّـفْلَةِ الفُـرَّارِ

لا تـروِ مِـن ظمأ ولا من مَسْـغَبٍ ... تُغنيـكَ فـي وطـنٍ وفـي أسفارِ

هـذا وليـس ولايـةٌ فـي دينهـم ... للمحتسـي والشَّـاربِ الثَّرثـارِ

(1) ديوان الغشري - خ: ضمن مخطوطات دار المخطوطات بوزارة الثقافة العمانية، رقم 1345، بقلم محمد بن عبد الله الخليلي، تاريخ النسخ 1193هـ ص72

(2) يقصد بالرَّبيع، الربيع بن حبيب الأزدي، أحد أئمة الإباضيَّة. وجابر، هو التابعي الإمام جابر بن زيد اليحمدي الأزدي، ممن يعتقد فيه الإباضيَّة، توفي سنة 93 هـ.

مـن ردَّ قـولَ المسـلمينَ عليهـمُ ... ثـمَّ اقتـدى بضلالـةِ الفُجَّـارِ

هـذا مقـال المسـلمينَ ورأيُهـم ... ارجِعْ إلى القِسطاس ليس تُماري[1]

انظـر رويـدك كـم ترى مـن حُجَّةٍ ... فيهـا يلـوح تبلُّـج الأنـوارِ

ثـمَّ الصـلاة علـى النبـي وآلـه ... ما سبَّحَ المـوج العظيـم الجاري

[للسيِّد حسين الأصم البغدادي]

وللسيد حسين الأصمّ البغدادي[2]، مشبِّهًا الفنجان بالعين[3]: [السَّريع]

كأنَّمـا السَّـوداء مهمـا امتلـتْ ... منهـا الفناجيـنُ بكـفِّ النَّديـم

عيـونُ صَـبٍّ بـاتَ فـي فِكـرَةٍ ... يرعـى السُّهى فـي جُنحِ ليـلٍ بهيم

وله في القهوة كذلك[4]: [البسيط]

و[رُبَّ] قهـوةِ بُـنٍّ في الصَّباحِ بَدَتْ ... تجلـى فناجينهـا في كفِّ سـاقيها

فقلـتُ: ليـلٌ بـدا صُبحًا، فقيـل: أجل ... هـي ابنـةُ البُنِّ قـد زُفَّت لحاسـيها

[لعلي بن إبراهيم بن سليطين]

وهي قصيدة في القهوة منسوبة للشيخ علي بن إبراهيم بن سليطين (من

(1) لم أثبت ثلاثة أبيات جاءت بعد هذا البيت، لما فيها من تعريضٍ بالإمامين مالكٍ والشافعيِّ ومذهبهما في بعض المسائل الفقهيَّة رضي الله عنهما التي يُخالفهم فيها الإباضيَّة في الأصول والفروع، حفظًا للودِّ، وابتعادًا عن إثارة التعصُّبات المذهبية. ويمكنك مراجعتها في الديوان المطبوع إن أردتَ، ص189.

(2) السيد حسن بن باقر بن إبراهيم بن محمد الحسني البغدادي المعروف بالأصمِّ، والشهير بالعطَّار، أديبٌ وشاعرٌ، توفي سنة 1265هـ. انظر: شعراء الغري (40/ 3)

(3) شعراء الغري (48/ 3).

(4) شعراء الغري (50/ 3)

أهل القرن الثالث عشر) من أهل شناص بشمال عمان، وفيها من العاميّ شيء، قال[1]: [البسيط]

تَهْضِمْ تنشِّط تُفرّح تشبع الجايع
تصحي تسلّي تقوِّي، ذكرها شايع
لأننا قد نراها تسهر الطايع
لا شهدَ لا قندَ لا عذبٌ يواسيها
يا صاحبي قم لذي القهوة واسقيها
أما ترى النور في الكاسات كاسيها؟
لا ترضَ بالروح تشريها من البايع

***

لا تسمع[وا] اللَّوم في القهوات يا صحبي
سيروا بنا في مجالسها ولو نحبي
لا تحرموني لها قبل انقضا نَحبي
فكيف تنملّ يا من جات من الجنة
يا حلو ترشافها يا طيب ذي البنّة
كم أنّ عشاقها في الكون من آنّة

(1) بآخر مخطوط كتاب زاد الفقير وجبر الكسير لابن هاشم، راشد بن خلف بن محمد بن عبد الله الرستاقي العيني، ضمن مخطوطات دار المخطوطات بوزارة التراث والثقافة العمانيّة، وفي نسبة القصيدة للشيخ علي بن سليطين نظرٌ، وأشكك بنسبتها له؛ لأنّ هذا اللون من القصيد لم يكن معروفًا في الجزيرة العربيّة، وهو الموّال البغدادي أو السّبعاوي، الذي يشتمل على سبع خانات تنتهي الثلاث الأولى منها بقافية واحدة، وتنتهي الثلاث التاليات بقافية واحدة مغايرة للأولى، وتنتهي الخانة السابقة بالقافية الأولى. وهذا النوع من الموال من فنون مدينة حلب بالشام، وسمة عامة للمواويل الحلبيّة حصرًا. وهذه مناسبة للتنويه على ظاهرة ألاحظها في بعض الدواوين العمانيّة (أو على الأقل في باب القهوة)، وهي نسبة الأبيات للمتمثّلين بها من المشايخ دون تحقيق، وسيأتي ذكر مثالين في موضعهما لاحقًا، كما حصل مع محقق ديوان الغشري حيث نسب للغشري قصيدةً في هجاء القهوة، وأخرى في مدحها، بحيث بدا الغشري متناقضًا، وحين رجعتُ للمخطوط تبيّن أنّ القصيدة الأولى ليست للغشري، وكذا في «غاية الأمنيّة» للشيخ عبد الله بن أحمد الحسيني رحمه الله، حيث نسب للشيخ درويش بن جمعة المحروقي (ت 1086هـ) بيتين لأبي الحسن البكري (ت952هـ)، وغيرها.

يـا صاحبـي ضـاق رَحبـي نحوهـا رُح بـي

***

وبودّنـا كل يـومٍ نشـرب القهـوة
والعـرس دايـم وفيـه البسـط والزَّهـوة
وبهكنـة ديـم سـارح غايـة الشـهوة
والديـن حبـي وعنـد الملتقـى إخـوان
أصحـاب عـرفٍ كـرامٍ وجيديـن أعـوان
ومـن بسـاتين كـم فيّهـا وكـم ألـوان
للكتـب نقـرا وأكيـاس الذهـب لَهْـوَة

***

مـن قهـوة سـحرا در لـي الفناجينـا
مـع الأحيـاب مـذ جـاؤوا الفِنـا جينـا
وإننـا مـذ رأينـا إلفنـا جينـا
وغـن لـي طربًـا تشـفي غليـل الـروح
يـا حـي ذاك اللقـا يـا حـيّ ذاك الـرُّوح
راحـي وروحـي حبيبـي مرهـم المجـروح
ومرادنـا يـا مُنانـا أن تُناجِينـا

***

[للشيخ محمد شرع الإسلام]

وقد جاء ذِكرٌ للقهوة في رحلة الشيخ محمد شرع الإسلام[1] إلى إيران نهاية القرن الثالث عشر الهجري، وهي رحلةٌ منثورة مسجوعةٌ، فيها شعر، ضمَّنها كثيرًا من الحكايات والمواقف[2]، يقول في جزء منها بعد أن صلّى من الليل، استراح فوجد فيها صينيةً فيها الطعام، شيئًا من حبوب القهوة، فقام إلى الكانون يدير عليه قهوته[3]: [الرجز]

ثُـمَّ طَبَخـتُ قهـوةً معطَّـرةْ	بلونهـا لمـن رآهـا مُسـكرةْ
وحينمـا أدرتُهـا فـي الـكأسِ	عـادتْ لـيَ الرُّوحُ وطابـتْ نَفسـي
ثـم احتَسـيتُها وزادَ حمـدي	لبـارئ الخلـق وربِّ الحَمْـدِ
ثـمَّ عطفـتُ فمـلأتُ الشُّـطبا	شُـطبًا بـه منـي أمطـتُ الكربـا
تنبـاكَ ذا لـون كلـونِ الذَّهَـبِ	وريحُـه ريـحُ كـرَوح الأشـهبِ
وبعـدَ شُـربِه أعـدتُ قهوتـي	لكننـي منفـردٌ فـي حجرتـي
ثُمَّ نويـتُ العَشْـرَ فـي وقتِ السَّـحَر	لكـي أصـوم مـا بقي مـن الشَّـهر
أصبحـتُ ممسِـكًا عـن الأكل وعـن	كُلِّ مفطِّـرٍ وللـه المِنَـن
وحينمـا بـدتْ نجـومُ المغـربِ	أتونـيْ بـالأكلِ وطِيبِ المشـرَبِ
لكننـي قبـلَ غـروبِ الشَّـمسِ	صنعـتُ قهـوة كلـونِ الأرسِ

(1) الشيخ محمد بن جعفر، الشهير بشرع الإسلام: عالِمٌ إمامي، وشاعرٌ رقيق، وكاتبٌ بليغ، له رحلةٌ من النَّجف إلى إيران، توفي سنة 1306 هـ. انظر: أعيان الشيعة (393/ 9)، وشعراء الغري (353/ 10)

(2) بمكتبة كاشف الغطاء العامة، قسم المخطوطات، برقم 875.

(3) شعراء الغري (357/ 10)

[للشيخ جعفر الشرقي يُحكِّمُ بينَ القهوة والسُّلاف]

دار في مجلسٍ ضمَّ المشايخ الأدباء، الشيخ محمد حسن كُبَّة[1]، والسيد حسين راضي القزويني[2]، والشيخ جعفر الشرقي[3]، مساجلةٌ شعريَّة بين الشيخ محمد حسن، والسيد حسين القزويني، فكان مما قال القزويني: [الوافر]

وَدَعْ عني السُّلافة ليس شيءٌ أعلُّ لغُلَّتي من شُربِ قهوةْ
أدِرها واسقنيها لا دِهاقًا ولكنْ حَسوةً من بعدِ حَسوةْ

فردَّ عليه الشيخ محمد حسن: [الوافر]

فواعجبًا لمثلك أريحيًّا يشفُّ لطافةً ويرِقُّ صبوةْ
تبيعُ سُلافَ ريقتها المصفَّى بآجنةٍ نسميها بـ«قهوةْ»
على أنَّ السُّلافَ وإن عداها فمي كرمًا لتعطي الرُّوح نَشوةْ
وتلك -وويلُ تلكَ ومن حساها- تزيدُ غَلالةً وتُقلُّ شهوةْ
هلمَّ نُحكِّمُ الخِرِّيتَ فينا فذاك السَّيفُ لا يعروه نبوةْ

وكان الشيخ جفر الشرقي حاضرًا ذاك المجلس، فطُلب منه التَّحكيم، فقال: [الوافر]

عجبتُ وأنتما ماءٌ وخمرٌ قد استوصَفتُما وُدَّ الأخوَّةْ

(1) الشيخ محمد حسن آل كُبَّة البغدادي، شاعر فاضل وتاجرٌ محسن، له: الرحلة المكيَّة، أرجوزةٌ يصف فيها رحلته إلى مكة سنة 1292هـ وكان ممن قرضها صاحبه السيد حسين القزويني
توفي سنة 1336هـ بالكاظمية. انظر: الأعلام (94/ 6)، وأعيان الشيعة (93/ 2)

(2) السيد حسين بن راضي بن جواد القزويني، شاعر وعالمٌ أديب، كان صديقًا للشيخ محمد حسن كبة، وتوفي سنة 1330 هـ. انظر: أعيان الشيعة (13/ 6)

(3) الشيخ جعفر بن الشيخ محمد حسن بن أحمد الشرقي، عالمٌ إماميٌّ، أحد مفاخر عصره في الأدب، وُلد في النجف عام 1259هـ ونشأ بها نشأة علمية، حتى برز، توفي سنة 1309هـ ودفن بالنجف. انظر: شعراء الغري (57/ 2)

فكيـفَ يبيــنُ بينكمــا خــلافٌ ... برشـفِ سلافةٍ راقـت وقهـوةْ؟

عذرتُكُمَــا عليــه فــكُلُّ صَــبٌّ ... تميـلُ بـه لِــمنْ يُصبيـه صَبـوةْ

أجلْ والشِّركُ في المحبوب شِـركٌ ... أبَتْـهُ غَيـرةٌ حُمِـدَتْ ونَخـوةْ

ولــكنّــي إذا حــكَّمتُـمـــاني ... سـعيتُ لـذاك بيـن صفًـا ومروةْ

أرى مــا زفَّهــا السَّــاقي عروسًــا ... سُــلافًا زفَّ أو قــد زفَّ قهـوةْ

وإن تَـكُ قهـوةً كالمِسـكِ فاحتْ ... فمــن يــدِهِ وإن مَــرَّتْ لحُلــوةْ

ومــا ذَهَــبَ السَّــوادُ لهـا بشـيءٍ ... فـإنَّ الخــال زادَ الخــدَّ حظـوةْ

فَسَــلْ كـم قــد بلونـا الكأس مِنها ... وقـد رشـفت لمـى المحبوب بلـوةْ

وأي أخٍ معــي قــد رقَّ طبعًــا ... يــذمُّ الــراحَ خمـر الريـق جلـوةْ

وللشيخ جعفر الشرقي من قصيدة يطارح بها الشاعر محمد حسن كُبَّة في القهوة[1]: [الخفيف]

اسـقني مــرةً لتحلــو لديًــا ... إن تكـن حُلـوةً فمـا جئـتَ شـيًا

يــا نديمـي أو مِـن رُضابِـك صِرفًا ... عاطنيهــا، وقــل: هنيًّــا مريًّــا

إي، وجنِّـب عـن خمر جفنيكَ قلبي ... فهــو لا يسـتطيع تلــك وذِيًّــا

فاسـقنيها ومـرَّ بالـكاسِ عنــي ... أتراني يحلـو سـواه لديًـا

إن أجدهــا وكلّ خمــرٍ ســواءً ... فلمــاذا خُلقــتَ خلقًــا سـويًّا

(1) شعراء الغري (2/ 69)، وأعيان الشيعة (4/ 174)

[في البُنِّ للأكَّال خمسُ فوائد]

ومِما يُنسَب للشيخ العلَّامة محمد نووي الجاوي[1] في أكل البُنِّ، بيتان يحاكي بهما بيتين للإمام الشافعي، في فضائل السَّفر، أولها «تغرَّب عن الأوطان في طلب العلى»[2]: [الطويل]

عليكَ بأكل البُنِّ في كُلِّ ساعةٍ ... ففي البُنِّ للأكَّال خمسُ فوائدِ

نشاطٌ وتخديمٌ وتقليل بلغمٍ ... وتطييبُ أنفاسٍ وعَونُ المقاصدِ

[للشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك]

وممن تغنَّى بالقهوة، وأجاد وصفها في مجالس الأُنس والإخوان، الشَّيخ الأديب الألمعيِّ النابغة، عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك الأحسائي، فمن وصفه للقهوة ضِمن قصيدة بعثَ بها إلى خاله العلَّامة الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك ليلة زواجه عام 1339هـ[3]: [البسيط]

قم فاسقني البنَّ صِرفًا وامْلَ لي القدحا ... فإنَّ زَندَ الهَنَا وَالسَّعدِ قَد قَدَحا

وعاطِنيها سُلافاً سَلسَلاً عَطِراً ... كخَدِّ ظَبيٍ بمسكيِّ النَّدى رَشَحا

لو ذاقَها مادِرٌ سَحَّت أناملُهُ ... أو شَمَّ عَرفَ شَذاها باقِلٌ فَصُحا

ماذا عَلَيَّ إِذا أنّي ظَفِرتُ بِمَن ... أهوى إذا باتَ مَن لا أرتَضِي تَرِحا

---

(1) هو العلامة محمد نووي بن عمر الجاوي الشافعي، أبو عبد المعطي، العلامة المدرِّس، الفقيه الشافعي المبرِّز، وُلد في بَنْتَن بجاوا الغربيَّة سنة 1230هـ ونشأ يتعلم القرآن ومبادئ العلوم في معهد والده في قريتهم. رحل إلى مكة وعمره خمس عشرة سنة، وتلمذ لكبار علماء مكة، حتى صار عالمًا، له: شروح وحواشٍ كثيرة في المذهب الشافعي، وتوفي في الخامس والعشرين من شوَّال سنة 1314هـ بمكة. انظر: تحفة الراوي بترجمة الشيخ محمد نووي الجاوي، أحمد غزالي (جاوا: مكتبة كتاب نوستارا)، بدون تاريخ، ص3

(2) تحفة الرواي (46)، و ونسبها لبعضهم محمد الطاهر الكردي لبعضهم في أدبيات القهوة والشاي (36).

(3) المجموع في شعر علماء هجر، ص195

إنَّ الحَبيبَ الـذي قِدمـاً كَلِفتُ بهِ ... وهِمتُ بالوصلِ بعدَ المَطلِ قَد سَمَحَا

أَلَـمَّ وَهْنـاً فَقـالَ النـاسُ: وَاعجباً ... الشَّمسُ قَد طَلَعَت والصُّبحُ ما وَضَحا

يَمشِـي ويعثـرُ سُكراً فـي ذَوَائِبِـهِ ... لأنـهُ مـن حُمَيّـا رِيقِـهِ اصطَبَحـا

رَنـا غَـزالاً ولكـن مَـاسَ غُصـنَ نَقـاً ... وَفاحَ مِسكاً وَلكن لاحَ شَمسَ ضحَى

إذا تَثنّـى تُغنّـي حَليُـهُ طَرَبـاً ... كأنّمـا الـوُرقُ فـي أغصانِـهِ صَدَحـا

يَختـالُ في حُلَلٍ من سُندُسٍ صُبِغَت ... بـكلِّ لـونٍ أمـا أبصرتُـمُ قُزَحـا

لاقـيـتُـهُ فـتَـعـانَـقـنـا مُـعـانَـقَـةً ... قَـد بَـدَّدَت بَينَـنا الأقـراطَ والوُشُـحا

وَبِـتُّ مـن ثَغـرِهِ الـدُّرِّيِّ مُغتبِقـاً ... راحًـا ومِـن خَـدِّهِ الـوَردِيِّ مُصطَبِحا

وقَـد جعلـتُ لـهُ يُسـرايَ مِنطقَـةً ... كمـا جعلـتُ لـه يُمنـايَ مُتَّشَـحا

واهـاً لـه مـن غـزالٍ أدعَـجٍ غَنِـجٍ ... عَـذبِ المُقَبَّـلِ لكنْ لَحظُـهُ مَلُحا

زانَ النَّسـيبَ كَمـا قَـد زانَ سـيِّدُنا ... عبـدُ العَزيـزِ الإمـامُ القُـدوَةُ المِدَحـا

صَـدرٌ بِمَـرآهُ تَرتاحُ الصُّـدُورُ كَما ... تَزهُـو بـهِ فلكم صَـدرٌ بِهِ انفَسَـحا

صافِـي الخَليقَـةِ هادِيها إذا سَـدِرَت ... مُقَبَّـلُ اليـدِ مُوليهـا ومـا امتُنِحـا

حَـزمٌ وعـزمٌ عُـلاً عِلـمٌ وحِلـمُ حِجاً ... فَهـمٌ وحفـظٌ ذَكا سبحانَ مَن مَنَحـا

لـو ماسَـسَ النارَ هـادِي عِلمِهِ خَمَدَت ... أو مَـازَجَ المَـاءَ وَارِي عَزمِه لَفَحا

بَحـرٌ ولكنَّـه طابَـت مَـوارِدُهُ ... وَدُرُّه المُنتَقـى للمُجتَـدِي طَفَحـا

وَحَـوضُ جُودٍ عَلـى هذا الوُجُـودِ طمَى ... وَرَوضُ فضلٍ شَـذا أزهـاره نَفَحا

بَـدرٌ ولكِـن مِـن النَّقصِ المُلِـمِّ وُقِي ... بَحـرٌ ولكِـنَّ مـاءَ البَحرِ قَـد مَلُحا

مـا العِلـمُ يا صـاحِ إلا حَيثُ كانَ فإن ... يُقِـم أقـامَ وإلا سـارَ حَيـثُ نَحـا

كَـم مُعضِـلٍ دَقَّ حتـى جَلَّ ذَلّلـه ... وَمُقفَـلٍ مِـن عَويـصِ العلمِ قَـد فَتَحا

ومُشكلٍ حارَت الألبابُ فيهِ جَلا بِنُورِ فِكرتِه عَمياهُ فاتَّضَحا
حَبرٌ بَعيدُ مَدى الإدراكِ وَاسِعُهُ ما فيه قَدحٌ سِوى زَنْدٍ له قَدَحا
لو اقترحنا على هذا الزَّمانِ فَتىً كما نَشا خِلتَهُ فوقَ الذي اقتَرحا
يا سيِّداً قد علَت أخلاقُه وذَكت أعراقُه وَزَكَت أعراقُه السَّمَحا
إنِّي أُهنِّي بكَ الشَّمسَ التي بلغت مِنكَ المُنى وهيَ بالمأوَى فيا فَرَحا
لم ترضَ مأوىً لها إلا المبرَّز فَل تَقَرَّ عَيناً فإنَّ القصدَ قد نجَحا
دُوما كَما شِئتُما لا حالَ بَينكما سوءٌ ولا حالَ حالٌ منكما صلحا

وله من قصيدة[1] يُجيب فيها قصيدةَ الشيخ عبد العزيز بن عمر بن عكاس[2]: [الكامل]

للـه يومٌ مفردٌ في حُسنِه جَمَعَ الإله به جمالَ الأعصُرِ
باتتْ يمينُ اليُمْنِ تسقيني به كأسَ المُنى والدَّرُ بي لم يَشعُرِ
طابَ الصَّبوحُ فقم بعيْشِكِ فاسقِني يَمَنِيَّةً من حِضرِمٍ لم تُعصَرِ
بُنًّا تُسمَّى قهوةً لكنَّها تُزري بها عندَ اللَّبيبِ وتزدري
لا تنزل الأحزان في ساحاتِها صهباء إلا أنها لم تُحظَرِ
كم جيشِ هَمٍّ قد أقامَ بمهجتي حَمَلَتْ عليه من السُّرورِ بعسكرِ
قُلِيَتْ فعرَّقَها الحيا فتقنَّعَتْ من تِبرِها بِخِمارِ وَشيٍ أصفَرِ
قُلِيَت وحاشاها القِلى لمزيَّةٍ بالإمتحان تُريك فضل الجَوهرِ
جالَ الحَبابُ بمائها فكأنَّه قِطَعُ الزُّمُرُّدِ في عَقيقٍ أحمرِ

(1) المجموع في شعر علماء هجر، ص201.
(2) الشيخ القاضي عبد العزيز بن عمر بن عكاس، أحد علماء الأحساء، حنفي المذهب. نقلتُه من حاشية جامع المجموع، ص200.

قـم فاسـقنيها بالكبيـرِ وغنّنـي فعسـاكَ تُبـرِدُ غُلّتـي وتَسَـعُّري
فلطالما أمسـتْ دموعـي خمرتي وتزفُّـري أضحـى تغنّي مِزْهَـري

وقال يمدح أحد أصدقائه، ويهنّئه بسكنى بيته الجديدِ، ثمَّ يذكرُ اجتماعهم فيه، ويصف ما دار عليهم من القهوة[1]: [الخفيف]

قـد تجلّـى صبحُ السُّرُورِ الثّاني فجَلـى نُـورُهُ دُجـى الأحـزانِ
وَسَـرَت نَسـمَةُ القُبُـولِ فَمالَـت طَرَبـاً نحوَكُـم غُصُـونُ الأَمانـي
حبَّـذا مَربَـعٌ تَربَّـعَ فِيـهِ بَـدرُ تِـمٍّ وُقِـي مـن النُّقصَـانِ
وَأَدارَت بِـهِ بُـدُورٌ سَـنا أن وَارِهِـم قَـد أَضـاءَ بِالأَكـوَانِ
سَـرَواتٌ أَحيَـوا لَهـم حُسـنَ ذِكرٍ صِيتُـهُ قَـد سَـرى بِـكُلِّ مَـكانِ
سـادَةٌ فَـوقَ هامـةِ النَّجـمِ شـادُوا بَيـتَ مَجـدٍ مُهَـذَّبَ البُنيَـانِ
ثـمَّ دارَت عَلـى النَدامـى مُـدامٌ مـن جَنى البُنِّ في لُجَيـنِ الأَوَانِي
قَرقَـفٌ تُذهِـبُ الهمـوْمَ وَتَحبُـو باقـلَ العِـيِّ مـن ذكاءِ ابـنِ هانِـي
قَـد عَرَاهـا لوجدِهـا بأُهَيـلِ الـ فضـلِ لـونٌ مـن أَحسَـنِ الأَلـوانِ
وَتَمَشَّـت آرامُ رامَـةَ فيـهِ وَتَثنَّـت سـكرى غُصـونُ البَـانِ

ومما قاله يصفُ جلسةً جمعته بأصحابه عند عين "أم سبعة" بالأحساء[2]: [الطويل]

ألا رُبَّ يـومٍ كانَ من فُرَصِ الدَّهرِ نهبنـاه منـه خِلسَـةً وهـو لا يدري
ظفرنـا بـه مـع عُصبـةٍ خزرجيَّـةٍ شـمائلهم كالـرَّاح عُلَّـت بمـا القَطْرِ
نثرنـا بـه الآداب فانتظـمَ الهنـا فيـا لـكَ مـن نظـمٍ بديـعٍ مـن نَثْرِ

---

(1) المجموع في شعر علماء هجر، ص214.

(2) المجموع في شعر علماء هجر، ص260.

ونحنُ مـن الغيـمِ البديـعِ بخيمةٍ ... ومـن كثـب الأَنقـا علـى سُـرُرٍ حُمْـرِ
وهبَّـت علينـا نَسـمةٌ يمنيَّـةٌ ... شـذى عرفها يشـفي السَّـقيمَ مـن الضُّرِّ
رَوَتْ مـن حديثٍ بيننا طـابَ فانبرَتْ ... تَعَثَّـرُ فـي تلـك الهضـاب من السُّكْرِ

[للشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر]

وممن تغزَّل في القهوة وأجاد، واستحضرها في قصائده الجِياد، علّامة الأحساء، وأديبها من غير مِراء، الشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر[1]

فمن ما قاله في القهوة في معرض مدحه آل خليفة بالبحرين[2]: [الكامل]

يـا صاحبي إنْ كنتَ مِنّـي أو معي ... شـنِّف بذِكـرِ حديثهـم آذانـي
واخدع فـؤادي بالأماني واسـقني ... ممّـا انتقـاه التاجـرُ الصَّنعانـي
كأسًـا أرقَّ مـن النَّسـيمِ إذا سرى ... فـي قلـبِ كلِّ متيَّـمٍ حـرَّانِ
حمـراءَ تصبـغ كاسـها مـن لونها ... صبـغَ الشـموس أعالـيَ الحِيطانِ
يبقـى لهـا فـوق الشِّـفاه بقيَّـةٌ ... كالزَّعفـرانِ علـى جِبـاه غـوانِ
هـات اسـقنيها بالكبيـرِ وغنِّنـي ... بلطائـف النَّغمـاتِ والألحـانِ
رَوِّح بهـا روحـي وعلِّلْنـي بهـا ... علّـي أفـوز براحـة السُّـلوانِ
أو أسـتعينُ علـى الغـرام بنشـوةٍ ... لمّـا تجافـى النَّـوم عـن أجفانـي

---

(1) الشيخ عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري، علامة الأحساء وأديبها، كان صوّامًا قوّامًا من العالمين العاملين، وُلِدَ سنة 1270 هـ وتوفي سنة 1344هـ انظر: المجموع في شعر علماء هجر، ص247

(2) المجموع في شعر علماء هجر، ص252

ومما قاله ليلةَ عُرسه عام 1311هـ، من قصيدةٍ طويلة يتغزَّلُ فيها[1]: [السريع]

أدمى فؤادي حينَ ولَّى كما ... أدمى كُلَيبًا رُمحُ جَسَّاسِ

ثُمَّ اثنينا نحتسي قهوةً ... حمراءَ نِعمَتْ لذَّةُ الحاسي

كأنَّها في الكاس صبغ الحيا ... في خدِّه أو ضوء نِبراسِ

يا ليلةَ الأحباب عودي لنا ... مبرورةً من غير ما باسِ

وبعد عرسه بأيام، اجتمع لفيفٌ من العلماء والأدباء، للنزهة في محلٍّ اسمه ناظرة، وهو كُثبانٌ رمليَّة شرقي مدينة الهفوف، وبعثوا إليه يطلبونه، فأجابهم[2]: [البسيط]

يا نازلينَ على أنقاء ناظِرةٍ ... إنَّا نزلنا على كُثبانِ يبرينا

لسنا سواءً نظرنا والهوى أُنُفٌ ... ونحن نجني ثمار الوصلِ دانينا

فإن شربتُم على نارٍ يمانيةً ... فقد شَربنا على نورٍ أمانينا

وإن تناولتُمُ بالكاس لذَّتها ... فقد كَرَعنا فيهنيكم ويهنينا

وقال يصفُ القهوة العربيَّة[3]: [الوافر]

وظبيٌّ أَضحَتِ الدَّهناءُ مِنهُ ... خَلاءً وَالحشا مَرعَى وَبيتُ

أَهذا الظَّبيُ لا أَرضاكَ شِبهاً ... لِمَن أَهوى ولكنِّي كَنَيتُ

رمانِي بالصَّبابةِ مِن بَعِيدٍ ... يَميناً ما سمِعتُ ولا رأيتُ

تجلَّى لي خَيالاً فِي مَنامِي ... فَما مِن خلَّةٍ إلا سَلَيتُ

أَتعلَمُ يا رَعاكَ اللَّهُ أَنِّي ... أَسيرٌ في يديكَ وما جَنَيتُ

(1) المجموع في شعر علماء هجر، ص 260.
(2) المجموع في شعر علماء هجر، ص268.
(3) المجموع، ص284، 285.

فَلا تَعجَل إِذا أَضمرتَ قتلِي ... فحظِّي مِن جَمالِكَ ما قَضيتُ
تَصَفَّح سُنَّةَ الماضِينَ قبلِي ... فمِثلِي في مِثالِكَ ما رَوَيتُ
فَما سارَت نسيمٌ أَو تَغَنَّت ... هَتُوفٌ بالضُّحى إِلا بَكَيتُ
فَهذا باشَرَ الأحبابَ دُونِي ... وهَذا ظَلَّ يعنِي ما عَنَيتُ
يَقولُ الكاشِحُونَ فما أُبالِي ... وَينهانِي العَذُولُ فما انتَهَيتُ
وقالُوا قد سلوتَ فقلتُ كلا ... وربِّي ما سَلَوتُ ولا عَسَيتُ
أَغِثنِي أَيُّها السَّاقي لعَلِّي ... إِذا أَظمَتكَ نازِلَةٌ سَقَيتُ
بكاسٍ مِن جَنى البُنِّ اليَمانِي ... بنَفسِي أَنتَ مِن ساقٍ فَدَيتُ
أَهَذا البَدرُ في كأسِ التَّهانِي ... معَ الإِشراقِ أَم شَفَقاً حَسَيتُ
سُلافٌ سَلسَلٌ راحٌ رَحِيقٌ ... شِفاءُ الهَمِّ حَمراءٌ كُمَيتُ
مُشَعشَعَةٌ يَطِيبُ لَنا شَذاها ... مَتى آنستُ ريَّاها انتَشيتُ
شَرابٌ يَبعثُ الأَشباحَ حَتّى ... لَوَ انِّي مُقعَدٌ عُمرِي مَشَيتُ
شَرابٌ يُنهِضُ الأَرواحَ حَتّى ... كأَنِّي في السَّمَواتِ ارتَقَيتُ
إِذا أُمُّ الخَبائِثِ نازَعَتها ... لَطيفاً مِن شَمائِلِها أَبيتُ
تَمُدُّ نَباهَةَ عقلِي كما قد ... يَمُدُّ ذُبالَةَ النِّبراسِ زَيتُ
أَلا زَعمت بأَنَّ الكاسَ يَصبو ... إِلى الساقِي ويجنِي ما جَنَيتُ
أَليسَت صِبغَةُ العُشّاقِ فيهِ ... فتشهَدُ لِي بأَنِّي ما افتَرَيتُ
فغِرتُ مِنَ الحَبيب عَلى حبيبٍ ... وهل تَدرِي لأَيِّهما قَضيتُ
إِذا زارَ الخَيالُ وشيَّعتهُ ... معَ الأَسحارِ أَنفاسٌ هَوَيتُ
وفاضَت مُهجَتِي دَمعاً وثارَت ... معَ الأَحشاءِ أَشواقٌ طَوَيتُ

عَلى تِلكَ الملاهِي فاسقِنيها إذا ما الكأسُ أشهى ما اشتَهَيتُ
ثلاثاً عَدَّ ساقيها علَينا إلى خَمسٍ دِلاء فاشتَفَيتُ
مَعانٍ جُلِيَت فِي كُلِّ قَلبٍ وقلبٌ لم يَجِدها فهوَ مَيتُ

وله في القهوة أيضًا[1]: [المتقارب]

أدِرها علَيَّ قُبيلَ الصَّباحْ يمانيَةً واسقنيها صُراحْ
سُلافٌ من البُنِّ تُذكي البليدَ وتُنطِقُه نُطقَ قِسِّ الفِصاحْ
مُشَعْشَعَةً مثل نار الهوى قد اقتُبِسَت من خدود المِلاحْ
على كاسِها يا فتى غنِّني قطعتُ الفلاةَ لوصلِ الفلاحْ
أعاريض مما أجاز الخليل ولم تتجاوزْ رسومَ الصِّحاحْ
مطرزة بطراز البديع بديعُ الزَّمان لها ذو انطراحْ

وقد طُلبَ منه أن يرتدي العمامة، ويتصدَّر، فاعتذر تواضُعًا، وكتب قصيدةً، فاضل في آخرها بين شراب العلم والقهوة، فكان مما قال[2]: [الوافر]

دعوها للذي إن شاء أجرى ينابيع العلوم بلا سآمة
وراحَ الواردون وهم رُواةٌ وقد ظنُّوا عِمامَتَهُ غَمامةْ
يُصافحُ كلَّ حوذانٍ ورَندٍ وأزهارَ البنفسجِ والخُزامةْ
فنِعمَ شرابُ أنسٍ حين تلهو على الأخرى اليمانيةِ السلامةْ

---

(1) المجموع، ص286.

(2) المجموع، ص295

[للشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك]

وممن رصَّع قلائد قصائده الحسان بأبياتِ القهوة، ودفع عن ناصع البيان كل نقصٍ وهفوة، الفقيه الأديب، المتفنن الأريب، الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك الأحسائي[1]

قال من قصيدة يمدح بها عمَّه الشيخ راشد بن الشيخ عبد اللطيف آل مبارك[2]: [الكامل]

قُـم يـا رفيقـي واسـقني يمنيَّـةً ... أذكـى مـن الـوَردِ الذكـيِّ وأضوعا

وأدِرْ علينـا مـن جَناهـا قَهـوةً ... حمـراءَ تستصبي الصَّبيَّ الأورعا

بِكـرًا تُعيـرُ الـكأس لـونَ متيَّـمٍ ... فتخالـه بجمالهـا مُتَوَلِّعَـا

وكتبَ إلى ابن عمِّه الشيخ علي بن عبد الرحمن آل مبارك، ويمدحه في قصيدة، ويذمُرُه في بعض أبياتها إلى فنجان قهوة[3]: [الوافر]

وهيـئ مـن سُـلافِ البُـنِّ كأسًـا ... كريـقِ الغيـدِ تهـزأ بالحُميَّـا

وهيِّـئ قهـوةً يحكـي شـذاها ... إذا ضاعـتْ لنـا مِسـكًا ذكيًّـا

كأنَّ كؤوسـها صُبِغَـتْ بدمعـي ... غـداةَ طوى الخليطُ الأرضَ طيًّا

وفاضـتْ مهجتي دمعًا وأسـقَتْ ... رُبـوعَ الحـيِّ أحمـرَ عَنْدَمِيًّـا

وأرسلَ الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك، عام 1309هـ، من مدينة أبي ظبي إلى أحد أصحابه من أسرة آل عبد القادر بالأحساء، يمدحهم

(1) الشيخ عبد العزيز بن حمد آل الشيخ مبارك، فقيه مالكي، وشاعرٌ وأيب من أهل الأحساء، توطَّن مكة زمانًا، واتصل بعلمائها، وُلد سنة 1280هـ وتوفي يوم عرفة سنة 1360 هـ انظر: المجموع في شعر علماء هجر، ص321

(2) المجموع، ص338

(3) المجموع، ص347

ويذكر شوقه إلى صاحبه، وجاء على ذكر القهوة، فقال[1]: [الرَّمل]

فـإذا مـا سـعـدُنـا أَلَّـفَـنـا ... واطَّرحنا العُتْبَ والإعتاب عنّا

وتـجـاذبـنـا حواشـي سَمَـرٍ ... هـل رأيتَ الرَّوضَ والعُـودَ المُرِنّا

أخـذَ الدَّلَّـة مـن كانونهـا ... بِشِـمالٍ وأدار الـكأسَ يُمْنـى

وانبـرى يسـكُبُ مـن ياقوتـةٍ ... فـي لُجينِ الـكاس ما نُسميه بُنّا

كلَّمـا أنعَـمَ بالـكاس مـلا ... مثلها من طَرفِه الساجي فثنّى

فأنـا أشـربُ بالكأسـينِ والـ ... ـتُ الثَّغـرُ فمـا أحـلا وأهنـا

[تشوي الوجوهَ بئسَ الشَّرابُ]

وقال الشاعر العلَّامة عدنان الغريفي[2] في القهوة مُرتجِلاً: [الخفيف]

قهـوةٌ لـم أقـلْ غـداةَ أتتنـي ... وهي تشـوي الوجـوهَ بئسَ الشَّرابُ

وقد شطَّره الشيخ محمد رضا أسد الله الكاظمي بقوله: [الخفيف]

قهـوةٌ لـم أقـل غـداةَ أتتنـي ... غيـرَ قـولٍ يلـوحُ منـه الصَّـوابُ

قلـتُ فيهـا وقـد علاهـا بُخـارٌ: ... وهـي تشـوي الوجوه بئسَ الشَّرابُ

وشطَّرَ التَّشطير الشيخُ حمزة قفطان، بقوله: [الخفيف]

قهـوةٌ لـم أقـل غـداةَ أتتنـي ... قـولَ مـن عنَّفـوا عليهـا وعابـوا

إنَّ قـولًا يزبـرج الكـذب فيـه ... غيـرُ قـولٍ يلـوحُ منـه الصَّـوابُ

---

(1) المجموع، ص366

(2) السيد عدنان بن شبر بن علي بن محمد الغريفي البحراني البصري، عالم شيعي، وشاعرٌ أديب، وُلد في المحمرة من عربستان عام 1285هـ ونشأ بها، ثمَّ رحل إلى النَّجف لطلب العلم، له: قبسة العجلان من طور الإيمان، وحواشٍ على الفقه، وغيرها. وتوفي بالكاظمية سنة 1340هـ ودُفن في النَّجف. انظر: شعراء الغري، علي الخاقاني، (قُم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي)، الطبعة الأولى 1308هـ، جـ6، ص178.

قلتُ فيها وقد علاها بُخارٌ: هي شمسٌ غطّى سناها السَّحابُ
وتجلَّت لنا فما قلتُ فيها: وهي تشوي الوجوه بئسَ الشَّرابُ

[آل معلوف مع فنجان قهوة]

واجتمع شعراء آل معلوف: فوزي، وشاهين، وميشال، وشفيق، في منزل الوجيه جورج معلوف، في المهجر، يشربون القهوة، فسقط فنجان زوجِ صاحب البيت من يدها، فاقترح صاحب الدّار أن يرتجلوا شعرًا في الموقف، وجُعِل للمبرِّزِ منهم ساعة ثمينةٌ، جائزةٌ له، فقال شاهين[1]: [الرمل]

ثَمِلَ الفِنجانُ لمَّا لامَسَتْ شَفتاهُ شفتيْها واستعَرْ
فتلظَّتْ من لظاهُ يدُها وهو لو يدري بما يجني اعتذرْ
وضعتهُ عندَ ذا من كفِّها يتلوَّى قَلقًا أنَّى استقرّْ
وارتمى من وجده مستعطِفًا قَدَمَيْها وهو يبكي فانكسرْ

وقال ميشال:

عاشَ يهواها ولكن في هواها يتكتَّم
كُلَّما أدنته منها لاصَقَ الثَّغرَ وتمْتَمْ
دأبه التَّقبيل لاينْـ ـفَكُّ حتى يتحطَّمْ

وأنشدَ شَفيق:

إنْ هوى الفِنجان لا تعجبْ فقد طَفَرَ الحزنُ على مَبسِمِها

(1) المنتخب من شعر المحاورة والمعارضة عند العرب، عبد الله أبو علم، (عمّان: دار الفلاح للنشر والتوزيع)، 2016، ص 137، 138.

كلُّ جُـزءٍ طـارَ مِـن فنجانِهـا ... كان ذِكـرى قُبلـةٍ مـن فمِهـا

أما فوزي المعلوف، فنظر إلى الفِنجان، فلمَّا رأى أنه لم ينكسر، قال مُعارِضًا:

مـا هـوى الفنجـانُ مُختـارًا ولـو ... خَيَّـروهُ لـم يُفـارق شـفتيها

هـي ألقتـهُ، وذا حـظُّ الـذي ... يعتـدي يومًـا بتقبيـلٍ عليهـا

لا، ولا حطَّمـه اليـأسُ فـها ... هـوَ يبكـي شـاكيًا منهـا إليهـا

والـذي أبقـاه حيًّـا سـالِمًا ... أمـلُ العـودة يومًـا ليَديْهـا

فاتَّفقَ الحاضرون أن شعر فوزي كان الأقوى، والأجدر بالجائزة، فذهبت إليه الجائزة.

[للشيخ علي بن مهدي بن شمس الدين]

وللشيخ علي ابن شمس الدين العاملي[1]، يمتدح قِيَم العرب البادية، ومجالسها وضيافتها[2]: [السريع]

تشـوقُني العُـربُ وآدابُهـا ... وقهـوةُ البـنِّ وشـرَّابُها

وقبَّـةٌ تُرفـعُ فـي مَهْمَـهٍ ... قـد وُشِّـجتْ فـي الأرض أطنابُها

لا يخـرسُ الجـرنُ لديهـا ولا ... تُغلـقُ دون الضَّيـفِ أبوابُهـا

تـرى عِتـاق الخيـلِ مـن حولِهـا ... مربوطـةً قَطْـعُ الفـلا دابُهـا

والسُّـمرَ سُـمرَ الخـطِّ قـد صانها ... للغـارةِ الشَّـعواء أربابُهـا

(1) الشيخ علي بن الشيخ مهدي ابن الشيخ علي شمس الدين، شاعر من أبرز شُعراء جبل عامل بلبنان في وقته، اتَّسم شعره بالظرافة والنكتة، تقلَّد القضاء الشرعي في قضاء صور، وكُفَّ بصره آخر عُمره، وتوفي سنة 1373هـ. انظر: أعيان الشيعة (349/ 8)

(2) أعيان الشيعة (350/ 8)

إن أظلَمَ الليلُ أضاءتْ لهم ... نارٌ بها تشتدُّ طُلّابُها[1]

لا ينبح الكلبُ على نازلٍ ... فيها، ولا تُغلَبُ أنجابُها

ولا يخافُ الجارُ ضيمًا بها ... إن فرَّ عند الخوفِ هيَّابُها

[للإمام ابن عبيد الله السَّقاف صاحب العود الهندي]

ومما انتشر وذاع في مجالس القهوة الحضرمية، أبياتٌ للإمام العلّامة الأديب اللوذعي، السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السَّقاف[2]، من قصيدة له اسمها «في مراح الصِّبا»، قال يمدح القهوة[3]: [الخفيف]

في مَراحِ الصِّبا ومرعى الأماني ... وابتسامِ الهوى وطِيبِ الزَّمانِ

هاتِها تَطردُ الهمومَ وتستد ... دُ في المسرّاتِ وردةً كالدِّهانِ[4]

في رياضٍ من النَّخيل تلاقى الـ ... ـماء فيه من السَّما والسَّواني[5]

فاسقنيها بغيرِ إثمٍ شَمولًا ... - تُطلِقُ العقلَ - في رقيقِ الأواني

(1) البيت في الأصل: نارٌ تشتدُّ بها طلابها، وهو بهذا مكسور، صوَّبته بما يُقيم الشطر.

(2) عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن السَّقاف آل با علوي الحُسيني، الإمام العلّامة، النابغة اللوذعيُّ، والشاعرُ المُفلق والأديب المصقع، وُلد بسيئون من حضرموت سنة 1300هـ ونشأ في كنف أسرته، وأسرته أسرة علميَّة شريفة، ظهر منهم علماء أفذاذ، على مرِّ العصور

وأخذ مشايخ كُثر، أولهم والده. وامتاز ابن عبيد الله بقوة الحافظة، سريع البديهة، له: صوب الرُّكام (في الفقه والقضاء)، حاشية على المنهاج للنووي، وبلابل التغريد فيما أفدناه أيام التجريد، وبضائع التابوت، وإدام القوت، والعود الهندي توفي - رحمه الله - سنة 1375هـ. انظر: مقدمة تحقيق العود الهندي: ترجمة علامة حضرموت ومفتيها، بقلم محمد أبو بكر باذيب (جدة: دار المنهاج)، الطبعة الأولى، 1432هـ/ 2011، ص 31.

(3) انظر: في التراث الشعبي اليمني، حسين سالم باصدِّيق، مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء، الطبعة الأولى 1414هـ/ 1993، ص50، 51. والقصيدة من كتاب مخطوط لابن عبيد الله، قال مؤلفه في الحاشية: «القصيدة من كتاب مخطوط أعارني إياه لقراءته فقط، الشيخ الأديب عمر محمد باكثير، في لقاء معه في بيته بسيؤون في سبتمبر 1987، بحضور الأستاذ جعفر محمد السقاف، والأستاذ عبد القادر أحمد باكثير، وقد أعدتُ المخطوط لربع الشكر بعد الاستفادة منه، واسمه: صورة من الأدب الحضرمي».

(4) الدِّهان: الجلد الأحمر الصِّرْف.

(5) السواني: جمع سانية، وهي الناقة التي يُسقى عليها.

بيـن سِـحرٍ مـن الحديـثِ حَـلالِ ... وأغاريـدِ بُلبُـلِ وأغانـي

وقال في قصيدة أخرى يصِفُ القهوة[1]: [الطويل]

لهـا صِفةٌ مـن عنـدمٍ قبـل مَزْجِها ... كمـا هي بعـد المزج صفـراءُ كالـوَرسِ

ومـن لبـنٍ حينًـا يكـون مِزاجُهـا ... لـه رغـوةٌ مثـل النَّديـفِ مـن البُـرْسِ[2]

ترشَّـفتُها فـي يـوم دَجْـنٍ[3] كأنني ... ترشَّـفتُ بالـكأس الرُّضَـابَ من اللُّعسِ

علـى اليُمـنِ والإقبـال في ظـلِّ روضةٍ ... وعينـي من اللـذَّات ترنـو إلـى خَمْسِ

كِتَـابٌ وبُسـتانٌ وكأسٌ وقَيْنَـةٌ ... وسـيِّدَةٌ مـن دونها طَلعةُ الشَّـمسِ

بها سَـلوتي فـي خَلوتـي كلَّمـا طَغَتْ ... علـى خاطـري في خَلوتـي وَحشـةُ الإنسِ

ومنهـا عزائي فـي الخطـوب وراحتي ... إذا ضـاق صـدري مـن لئامِ بني جِنسـي

فقـد بِرمَت نفسـي بمـا يُضمـرون لي ... ولكـن تلكـم مـن عداوتهم تُنسـي

[أنا وشجرة البُن]

ومن لطيفِ ما وقع من التشبيه، أبيات للشاعر اليمني الشعبي كور سعيد بن عوض[4]، ابن أبين، يتراءى في شجرة البُنِّ فتاةً جميلةً، ترتدي من الحُليِّ العقيقَ، وتميسُ في دَلٍّ، ثمَّ لا تلبث حتى تشتكي صاحبها (مزارِعها) هجره لها، يقول[5]: [الكامل]

(1) في التراث الشعبي اليمني، ص51.

(2) البرس: القطن.

(3) يوم دجن: اليوم الذي تغطي فيه الغيوم السماء.

(4) كور سعيد عوض، شاعر غنائي يمني، ولد عام 1359هـ/ 1940م، في جعار بمحافظة أبين، يُعتبر أحد المؤسسين لاتحاد الأدباء والكُتَّاب اليمنين. له ديوان يضمُّ معظم قصائده.

(5) في التراث الشعبي اليمني، ص45، عن ديوانه: صراع فوق الأرض، من منشورات ساحة الشهداء بأبين، ص34.

وشجيرة البن انحنت بعقيقها ... بتحية الخضر الندي بلونها
مرت يزينها الربيع بحسنه ... وتميل في حمل الثمار غصونها
وتلفتت كالظبي يبهره الونى ... ويزوغ للصَّيَّادِ لحظُ عيونها
ترنو بعين للبراءةِ رقةٌ فيـ ... ـها ولون الخصب فيهِ يصونها

***

يا ويحَ صَبٌّ ضَاعَ مِنه صوابُه ... لما أُصيبَ بطائشات سهامها
وبلحظه عادت تُسابِقُ ظلَّها ... وانساب من فمها الرقيقِ سلامُها
واستقبلتْها مُهجتي جذلانةً ... بتحيَّةٍ حَرَّى تعز مقامها
وتوقَّعت، هل أنت ثانيةً هنا؟ ... ما الخطبُ يا هذا؟ وطال مُقامُها
وتعلَّقتْ عيناي في عينِ المها ... وسبحتُ فيها ما خشيت ملامها
وتبسَّمَ العنقود عن كَرْمِ الرِّضا ... ودنت لتشكو في الهوى آلامها

[لبعضهم]

ومما وجدتُه في الكتب والمخطوطات من غير نِسبةٍ لصريح اسمٍ، ولم أُوفَّق لنسبته لقائله، فأثبتُّه كما هو «لبعضهم»:

لبعضهم[1]: [الكامل]

أَلِقهوة العُشَّاق زِدتَ خَناقي ... يا أيُّها المفتي أبيتَ وفاقي
بَرَزَت من الخِدر المنيع بحُسنِها ... فَسَبَتْ قلوب أكابرِ العُشَّاقِ
ولكم لها من خُصلةٍ ممدوحةٍ ... مذكورةٍ في الكُتْبِ والأوراقِ

(1) عمدة الصفوة: برنيستون (61)، فيصل (60)، برلين (52).

مـن غيـر نـصٍّ حرَّموهـا عُصبـةٌ   إذ قيَّـدوا صونَـا علـى الإطـلاقِ
مـاذا رأى المفتـي لشـيء طبعُـهُ   حـثُّ القلـوبِ لحضـرةِ الخـلّاقِ
ومُثيـرةٌ للشــوقِ نحـوَ جنابِــه   فعلـى الحقيقـةِ لهـي كالدِّريـاقِ
فابكـوا عليهـا حسـرةً وتشـوُّقًا   يـا أيهـا الفقـراءُ بالأحـداقِ

ولبعضهم: [الوافر]

نباكــر قهــوةً للبــن بِكــرا   ســواها مـا حـلا لـي مـن سـواد
ونشــربها ونشــريها جهــارًا   ونشــهَدُها كمســكٍ فــي زبـاد

ولبعضهم: [الرمل]

قـهــوة القِـشــــرِ أديــــرتْ   فــي حـمـــى قُـطـب الـعَـبادِ
قــــال: شـبِّهـــــها بـشــــيءٍ   هـــو مـثــل الـصُّـبـح بــادِي
قـلــتُ: بـالـمـســكِ مـذابــًا   أو زبـــــادًا فـــي زبـــــادِ

ولبعضهم: [السريع]

مـا يهضـم الـزاد سـوى قهـوة   فقربوهــا نحونــا واقربــوا
ولا تخافــوا الإثــم فــي شــربها   فاللـه قـد قـال: كلـوا واشـربوا

ولبعضهم[1]: [الرمل]

قهــوة البــنِّ شــراب العاقــل   ليــس فــي النَّهـي كلام الناقـل
أيُّهــا الزَّاهِــد فاشــربها ولا   تســتمع فيهـــا كلام الجاهـل

(١) نزهة الإخوان، ق5

ولبعضهم[1]: [البسيط]

باكر إلى البن واشرب منه باكِرَه فقد ترنَّمَ فوق الدَّوح طائره
كذاك في الليل واشرب إن شُعلَتَها كالنور تطفو على نهرٍ أزاهِرُه
بن ومن شامةِ السَّاقي له شبه وكلّ يومٍ حبات لنا بشائره
ساقٍ يكون من صبحٍ ومن غسقٍ فاحمرَّ خداه واسودَّت غدائره
سودٌ سواعِده نُعسٌ نواظره مؤنَّث الجفن غض الطرف شاطره
وخير ساقٍ سواد الصَّدع أكحله ورُكِّبت فوق صدغيه محاجره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنمًا وأنت ناهٍ بهذا الدَّهر آمِّره

ولبعضهم[2]: [الوافر]

وساقٍ من بني الأتراك طفلٌ أتيه به على جمعِ الوِفاقِ
أملِّكُه قيادي وهو رِقٌّ وأفديه بعيني وهو ساقي

ولبعضهم[3]: [البسيط]

لا تشرب البنَّ إلا مع أخي ثِقةٍ إن سُرَّ غنّى وإن غنَّيتَهُ طَرِبا
يعطيك صمتًا إذا حدَّثته وإذا شربتَ حيّا وإن حيَّيتَهُ شَرِبا
عفٌّ الإزارِ عفيف الطَّرف تحمده في حالتيه إذا أثرى وإنْ تَرِبا
يزيده البنُّ طيبًا، والغنا طَرَبًا والشُّربُ عقلًا وإسماعُ الأذى أدبًا
فاشدُد يديكَ اغتنامًا إن ظفرتَ به وأكثِر مودَّته لا تكثر الذَّهبا

(1) نزهة الإخوان، ق8
(2) نزهة الإخوان، ق9
(3) نزهة الإخوان، ق9

وقال[1]: [الوافر]

شـرابُ البُـنِّ يهضِـمُ كلَّ أكلٍ ويشـفي المـرء مـن داء مُضـرٌ
وينفـي الغمّـض مـن داء كريـهٍ ويقطـعُ دمعـةً فـي العيـن تجري
وشـاربه يذكَّـر بالشـهادة قبيـلَ المـوت أو بنـزول قبـرِ
وواضـعُ حبَّـةٍ تحـتَ اللِّسـان يُجـاب دعـاؤه فـي كلِّ أمـرِ
وصـار الآن ملحـق بالطَّعـام شـبيه الفـرض يأتـي بعـدَ نـذرِ
وصـار المـرء لا يُكـرَم بغيـرِه ولـو كان الطعـام عسـيل بُـرٌ

وقال بعضهم[2]: [الرمل]

اسقنيهـا قهـوةً بنيّـةً فهـي طِـبٌّ وشـفاءٌ مـن كَسَـلْ
طعمهـا مُـرٌّ ولكـن طبعُهـا فـاقَ في الـذَّوق على طعمِ العسلْ

وقال بعضهم[3]: [الرجز]

أَرْسِـلْ إليـنـا قـهـوةً نُـطـفـي بـهـا جـمـر الكَسَـلْ
فالشُّـربُ مـن هـذي لنـا ألـذُّ مـن طعـمِ العَسَـلْ

ولبعضهم[4]: [البسيط]

لا تشربِ البُـنَّ إلا من يدي رشـأ تسـقيه مـن ريقـه المعنـى ويسـقيها
فقهـوةُ البُـنِّ لا يلتـذُّ شـاربها حتـى يكـون نقـيُّ الخـدِّ سـاقيها

(1) نزهة الإخوان، ق10
(2) نزهة الإخوان، ق10
(3) نزهة الإخوان، ق11
(4) نزهة الإخوان، ق12

ولبعضهم[1]: [الوافر]

غـــزالٌ يـرتـعـي جـنـبـات وادٍ   رقيـقُ الخَصـرِ مسـكنه فـؤادي
لـــــه أمٌّ تـدلـلُـــه دلالًا   وتكحَـل مُقلتَيـه مـع السَّـوادِ
إذا لَبِـسَ السَّـوادَ تقـول بـدرًا   وإن لَبِـسَ البيـاض سـبى العبـادِ[2]
سـقانا قهـوةً مـن لـبِّ بـنٍ   تحاكـي المسـك في وسـطِ الزَّبادي
وعـادات الظِّبـا تأتـي بمسـكٍ   وهـذا الظبـي يأتـي بالزَّبـادِ

لبعضهم[3]: [الوافر]

شـربنا قهـوة مـن قِشـر بُـنٍّ   تفـوق بنكـة المِسـك السـحيقِ
شـربناها صباحًـا فـي جمـال   فأغنتنـا عـن الكيـفِ الرَّحيـقِ

لبعضهم[4]: [الرجز]

هـــات اسـقـنـي قـهـيـوة   بُـنَـيَّـــةً مـعـــوَّدة
وعـاطـنـيـهـا ثـانـيًـا   روحـي بـهـا مـعـوَّدة

(1) نزهة الإخوان، ق12
(2) هكذا في الأصل
(3) مجموع شعري بمكتبة باريس، لوحة 214
(4) مجموع شعري بمكتبة باريس، لوحة 214

لبعضهم في مدح النبي ﷺ[1]: [الكامل]

يا صاحِ قُمْ ودعِ التَّواني واصطبِحْ ... مِن بنتِ قشرٍ بالجواهرِ تُشترى

هي قهوةٌ بنيةٌ قشريةٌ ... في طَيبةٍ تُجلى وفي أمّ القرى

فاشربْ شرابَ الصالحينَ ولا تَقُلْ ... أدرِ الزُّجاجةَ فالنَّسيمُ قد انبرى

فالصُّبحُ قد وافتْ طلائعُ جَيشِهِ ... والنَّجم قد صَرَفَ العِنَانَ عن السُّرى

وقال بعضُ السَّادة[2]: [الكامل]

كم قهوةٍ تجلى على نُدمانِها ... في كلِّ كأسٍ لونُها منقوشُ

والمصطكى من فَوقها فكأنَّها ... لونُ العقيقِ بِذَهْبةٍ مرشوشُ

وقال آخر[3]: [المنسرح]

ذاتُ قوامٍ مهفهفٍ برزتْ ... تُزري بزهرِ الرَّبيعِ مُذْ فَتَشا

تُديرُ فِنجانَها كأنَّ بِها ... مِدادَ حُسنٍ بفضة نُقِشَا

---

(1) النور السافر، ص12

(2) نفحات العنبر (٢/ ٢٩٦)

(3) نفحات العنبر (٢/ ٢٩٦)

المراجع

المصادر:

1. القرآن الكريم.

2. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة - بيروت (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2001م

3. النيسابوري، مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة، 1374 هـ/ 1955م

4. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العلمية، عن نسخة فيصل عيسى البابي الحلبي، 1373هـ/ 1953م

5. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، و ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، الطبعة الثانية، 1395 هـ/ 1975 م

6. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، سنن أبي داوود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية - دمشق، ط1، 1430هـ/ 2009م.

المراجع العربيّة المطبوعة:

7. أبو علم، عبد الله، المنتخب من شعر المحاورة والمعارضة عند العرب، دار الفلاح للنشر والتوزيع بعمَّان، 2016م

8. ابن الرومي، علي بن العباس، ديوان ابن الرومي، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت، ط3، 1423هـ/ 2022م

9. ابن الوردي، عمر بن المظفَّر، ديوان ابن الوردي، تحقيق د. أحمد فوزي الهيب، دار القلم - الكويت، ط1، 1407هـ/ 1986م

10. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، 1398هـ/ 1978م

11. ابن سينا، الحسين بن عبد الله، القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 1999م

12. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994هـ

13. ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، تكملة الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي؛ ومحمد صالح المراد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1408هـ

14. الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2001م

15. الأمير، محمد بن إسماعيل، ديوان الأمير الصنعاني، عناية: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني - القاهرة، ط1، 1384هـ/ 1964م

16. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات - بيروت، ط1، 1403هـ/ 1983م

17. البغدادي، أبو الحسن البغدادي المتطبب، رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد؛ هارون، عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة، الطبعة الثانية، 1393هـ/ 1979م

18. البكري، مصطفى الصديقي، الرحلة العراقيَّة أو «كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان»، تحقيق: ميعاد شرف الدين الكيلاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1430هـ/ 2020م

19. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، المنتحل، تحقيق: الشيخ أحمد أبو علي (ت 1936م) الناشر: المطبعة التجارية - عزوزي وجاويش - الإسكندرية، ط1، 1319 هـ

20. الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل - بيروت، ط2، 1399هـ/ 1978م

21. الجزيري، عبد القادر بن محمد، الدرر الفرائد المنظَّمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظَّمة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيرروت، الطبعة الأولى، 1422هـ 2002م

22. الحائري، نصر الله بن الحسين، ديوان السيد نصر الله الحائري، جمع حسين عبد الرشيد الرضوي، نشر وتعليق عباس الكرماني، مطبعة الغري الحديثة - النجف، ط1، 1373هـ/ 1954م

23. الدينوري، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ط2، 1412هـ/ 1922م

24. الصاحب، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م

25. العيدروس، عبد الرحمن بن مصطفى، الطرف العاطر في معرفة الخواطر وغيرها من الجواهر، المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية - عمَّان.

26. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال

27. القاسمي، جمال الدين ، رسالة في الشاي والقهوة والدخان، طبعت ببيروت سنة 1322هـ

28. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن حسين، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، 1403هـ/ 1983م

29. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: 2، 1424هـ/ 2004م

30. باصدِّيق، حسين سالم، في التراث الشعبي اليمني، مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء، الطبعة الأولى 1414هـ/ 1993

31. بجوي، إبراهيم أفندي، تاريخ بجوي: التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية، ترجمة وتقديم: ناصر عبد الرحيم حسين، المركز القومي للترجمة - القاهرة، الطبعة الأولى 2015

32. بيهم، محمد جميل، أوليات سلاطين تركيا المدنية والاجتماعية والسياسية، مطبعة العرفان - صيدا، الطبعة الأولى، 1350هـ/ 1931م،

33. زبارة، محمد أحمد، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، جمع: محمد بن محمد زبارة، المطبعة السلفية - القاهرة، ط1، 1348هـ/ 1929م

34. غزالي، أحمد، تحفة الرواي بترجمة الشيخ محمد نووي الجاوي، (جاوا: مكتبة كتاب نوسنتارا)، بدون تاريخ

35. موريس، جوناثان، القهوة: تاريخ عالمي، ترجمة تحسين الخطيب، كلمة، دائرة الثقافة والسياحة - أبو ظبي، ط1، 1443هـ/ 2021م، ص21

36. ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القربة في أحكام الحِسبة، تحقيق: د. محمد محمود شعبان، وصديق المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1408هـ/ 1988م

37. ابن الحنبلي، رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي، درّ الحبب في تاريخ أعيان حلب، منشورات وزارة الثقافة - دمشق، ط1، 1392هـ/ 1972م.

38. ابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي، در الحبب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق: محمود الفاخوري، ويحيى عبّارة، منشورات وزارة الثقافة السورية - دمشق، الطبعة الأولى 1972م

39. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ/ 1986م

40. ابن القاسم، يحيى بن الحسين، المستخرجات البينات على تحليل الأشياء المستعملات من القهوة والطباق والقات (ضمن كتاب ثلاث رسائل في القات)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، دار منشورات المدينة ط1، 1406هـ/ 1985م

41. ابن حجر، أحمد بن محمد الهيتمي، ثبت الإمام شيخ الإسلام ابن حجر الشافعي، تحقيق: د. أمجد رشيد، دار الفتح للدراسات والنشر - عمّان، الطبعة الأولى، 1435هـ/ 2014م

42. ابن طولون، محمد بن علي الصالحي الدمشقي؛ ابن المبرد، يوسف بن حسن الحنبلي، متعة الأذهان من التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران، ت: صلاح الدين خليل الموصلي، دار صادر - بيروت، ط1، 1420هـ/ 1999م

43. ابن طولون، محمد بن علي الصالحي، ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر، ت: صلاح الدين خليل الموصلي، بدون طبعة، 1415هـ/ 1995م

44. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر- بيروت الطبعة الثانية، 1412هـ/ 1992م.

45. ابن عامر، أحمد، تونس عبر التاريخ: منذ أقدم العصور إلى إعلان الجمهورية، مكتبة النجاح - تونس، 1960

46. ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، طبعة جديدة، 1414هـ/ 1994م

47. ابن فهد، جار الله بن فهد المكي القرشي، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، ت: د. محمد الحبيب هيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، 1420 هـ/ 2000م

48. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ت: د. سالم الطويل، دار الكتب العلمية -بيروت، ط1، 1406هـ/ 1986م

49. ابن معصوم، السيد علي صدر الدين المدني، رحلة ابن معصوم: أو سلوة الغريب وأسوة الأديب، تحقيق: شاكر هادي شكر، الدار العربية للموسوعات - بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/ 2006م

50. ابن معصوم، علي بن أحمد بن محمد الحسيني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكلّ مصر، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى 1324هـ/ 1907م

51. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ/ 1994م

52. الأصفي، عبد الله محمد، ظفر الواله بمظفّر وآله (تاريخ كجرات)، تحقيق: د. إدوار دينيسون روس، مطبعة لندن، الطبعة الأولى 1910/ 1328

53. الأرناؤوط، محمد م. من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي، جداول للنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى، 2012م

54. الأزدي، أبو محمد عبد الله بن محمد الصحاري، كتاب الماء، تحقيق: د. هادي حسن حمودي، وزارة التراث والثقافة - عمان، الطبعة الثانية، 1436هـ/ 2015م

55. الأزرق، إبراهيم بن عبد الرحمن، تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة، المطبعة الخيرية - القاهرة، ط1، 1310هـ/ 1892م.

56. الأسيوطي، شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي، جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ / 1996 م

57. الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب - القاهرة، بدون تاريخ،

58. الإنطاكي، داوود، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعجاب، المطبعة الحسينية - القاهرة، الطبعة الأولى، 1345هـ/ 1925م.

59. الباباني، إسماعيل بن محمد البغدادي، هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 1951م

60. البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكي، طبقات الخواص المعروف بتاريخ البريهي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، مكتبة الارشاد - صنعاء، الطبعة الثانية، 1414هـ/ 1994م

61. البكر، محمود مفلح، القهوة في الموروث والأدب الشعبي، دار بيسان - بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1995م

62. البلادي، عاتق بن غيث، نسب حرب: قبيلة حرب، أنسابها فروعها تاريخها وديارها، دار مكة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، 1404هـ/ 1984م

63. البوريني، الحسن بن محمد، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، الطبعة الأولى 1959م

64. البيتوشي، عبد الله بن محمد الكدري، كفاية المُعاني في حروف المعاني، دار اقرأ - دمشق، الطبعة الأولى 1426هـ/ 2005

65. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، يتيمة الدهر، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتبة العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1403هـ/ 1983م

66. الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران: نصوص، مشاهدات، انطباعات، منشورات دار اليمامة للترجمة والنشر - الرياض، الطبعة الأولى 1391 هـ/ 1971م

67. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى 1403هـ/ 1983م

68. الجزيري، عبد القادر بن محمد، الدرر الفرائد المنتظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2002م

69. الجزيري، عبد القادر بن محمد، عمدة الصفوة في حل القهوة، تحقيق: عبد الله بن محمد علي الحبشي، منشورات المجمع الثقافي - أبو ظبي، الطبعة الأولى 1416 هـ/ 1996 م

70. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة، 1407هـ/ 1987م،

71. الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، نهاية المطلب في دراية المذهب، تحقيق: أ. د عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج - جدة، الطبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م

72. الحبشي، عبد الله بن محمد، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، منشورات المجمع الثقافي - أبو ظبي، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2004م

73. الحسني، ضياء الدين يوسف بن يحى، نسمة السحر في ذكر من تشيَّع وشعر، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي - بيروت، 1420هـ/ 1999م

74. الحسني، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ(نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ/ 1999م

75. الحلّي، أحمد علي مجيد، فهرست مخطوطات مكتبة الإمام الخوئي، نشر مكتبة ودار مخطوطات العتبة المقدسة، كربلاء، ط1، 1431هـ/ 2010م

76. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار صادر - بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ/ 1995 م

77. الخاقاني، علي، شعراء الغري، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، 1372هـ/ 1954م

78. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، تحقيق: د. محمد مسعود أركين، ومحمد أديب الجادر، الطبعة الأولى، 1436هـ/ 2015م

79. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، ريحانة الألبَّا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، الطبعة الأولى، 1386 هـ/ 1967 م

80. الخليلي، محمد بن شرف الدين، فتاوى الخليلي على مذهب الشافعي، مطبعة محمد شاهين - القاهرة، ط1، 1284هـ/ 1867م

81. الداية، فايز، معجم المصطلحات العلمية العربية، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، 1410 هـ/ 1990م

82. الرافعي، أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزويني، العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود،

دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م

83. الرشيدي، السيد أحمد، عمدة المحتاج في علمي الأدوية والعلاج، مطبعة بولاق - القاهرة، 1282هـ

84. الرملي، شهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الشافعي، فتاوى الرملي (بهامش الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي)، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، بدون تاريخ.

85. الزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، نشر وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (1385 - 1422 هـ/ 1965 - 2001 م(

86. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة عشر، 1422هـ/ 2002 م

87. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، الأشباه والنظائر، عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م

88. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، (عن طبعة المقدسي، 1353 هـ)، نشرة سنة 1412هـ/ 1992م

89. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل- بيروت، بدون تاريخ

90. السعدي، عباس فاضل، البن في اليمن: دراسة جغرافية، مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م

91. السقاف، عبد الله بن محمد حامد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، مطبعة حجازي - القاهرة، الطبعة الأولى، 1353هـ/ 1934م

92. السقاف، عمر بن سقاف بن محمد بن عمر الصافي، تفريح القلوب وتفريج الكروب، دار الحاوي - تريم، الطبعة الأولى، 1433هـ/ 2012م

93. السقاف، عمر بن سقّاف، تفريح القلوب وتفريج الكروب، دار الحاوي - بيروت، الطبعة الأولى 1433هـ/ 2012م

94. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي الشافعي، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1999م

95. السمعاني، عبد الكريم بن منصور بن محمد التميمي، كتاب الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1962 م

96. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تخقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2004 م

97. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1403 هـ/ 1983 م

98. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، كتاب الأم، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الثانية 1403 هـ - 1983 م

99. الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1994م

100. الشرجي، أبو العباس أحمد الزبيدي، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع - صنعاء، الطبعة الأولى، 1406 هـ/ 1986م،

101. الشرواني، أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري، نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، مطبعة التقدم العلمية، مصر، الطبعة الأولى، 1324 هـ

102. الشرواني، عبد الحميد، حاشية الشرواني على تحفة المحتاج (على هامش تحفة المحتاج لابن حجر)، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد - القاهرة، بدون طبعة، 1357 هـ/ 1983 م

103. الشلّي، محمد بن أبي بكر باعلوي، السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، مكتبة الإرشاد – صنعاء، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2005م

104. الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2004

105. الصنعاني، إبراهيم بن عبد الله بن إسماعيل الحسيني، نفحات العنبر في تراجم أعيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1429 هـ/ 2008م

106. الطالوي، درويش محمد بن أحمد الأرتقي الدمشقي، سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر، تحقيق: مرسي الخولي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ/ 1983م

107. الطغرائي، الحسين، ديوان الطغرائي، تحقيق د. علي جواد الطاهر و د. يحيى الجبوري ، مطابع الدوحة الحديثة ، الدوحة ، قطر ، ط 2 ، 1406 هـ/ 1986م

108. العاملي، بهاء الدين، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1418هـ 1998-

109. العاملي، بهاء الدين، ديوان الشيخ بهاء الدين العاملي، جمع: محمد زين العابدين، دار زين العابدين لإحياء تراث المعصومين – إيران، طبعة 1430هـ – 2009

110. العبري، حمد بن محسن بن زهران، القهوة رمز الضيافة العمانية، مطابع الباطنة – سلطنة عمان، 1417هـ/ 1997م

111. العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشيَّة، حققها وقدَّم لها: د. سعيد الفاضلي، ود. سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع – أبو ظبي، 2006م

112. العيدروس، عبد الرحمن بن مصطفى، ديوان العيدروس، المسمى بـ«ترويح البال وتهييج البلبال»، مطبعة بولاق – القاهرة، بدون طبعة، 1283هـ

113. العيدروس، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، النور السافر عن أعيان القرن العاشر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ/ 1984م

114. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، 1402 هـ/ 1982م

115. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد الدمشقي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ/ 1997م

116. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد الدمشقي، حسن التَّنَبُّه لما ورد في التَّشَبُّه، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر - دمشق، الطبعة الأولى، 1432 هـ/ 2011 م

117. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد الدمشقي، لطف السمر وقطف الثمر من تراجع أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، تحقيق: محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق، بدون تاريخ.

118. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد العامري، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1418 هـ/ 1997م

119. الغساني، يوسف بن عمر بن علي بن رسول، المعتمد في الأدوية المفردة، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م

120. القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية - القاهرة، الطبعة السابعة، 1323 هـ

121. القليوبي، أحمد سلامة؛ عميرة، أحمد البرلسي، حاشيتا القليوبي وعميرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، الطبعة الثالثة، 1375 هـ/ 1956م

122. القنوجي، محمد صديق حسن خان البخاري، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الأولى 1428هـ/ 2007م.

123. الكردي، محمد طاهر الخطاط، أدبيات القهوة والشاي والدخان، الدار السعوديَّة للنشر والتوزيع - جدة، الطبعة الثالثة، 1404 هـ/ 1984م

124. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، لحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ/ 1999 م

125. المبارك، محمود بن محمد، المجموع في شعر علماء هجر، شركة مدبولي - القاهرة، الطبعة الأولى 1442هـ/ 2021

126. المجاهد، عبد الله محمد، أسس زراعة وإنتاج المحاصيل الحقلية في الأراضي اليمنية، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الأولى، 1400هـ/ 1980م

127. المحبي، محمد الأمين بن فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر - بيروت (مصورة عن طبعة المطبعة الوهبية بمصر 1284 هـ)، الطبعة الأولى، 1435 هـ/ 2014م

128. المحبي، محمد الأمين بن فضل الله، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تحقيق وشرح: د. عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة - الرياض، الطبعة الأولى، 1415 هـ/ 1994م

129. المرادي، أبو الفضل محمد خليل بن علي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، 1408 هـ/ 1988 م

130. المزجَّد، أحمد بن عمر الزبيدي السَّيفي المذحجي، العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب، دار المنهاج - جدة، الطبعة الأولى، 1437 هـ/ 2016م

131. المعلمي، أحمد بن عبد الرحمن، القات في الأدب اليمني والفقه الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ/ 1988م

132. المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع - صنعاء، الطبعة الرابعة 1422 هـ/ 2002م

133. الموسوي، العباس بن علي بن نور الدين الحسيني، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، منشورات المكتبة الحيدرية - النجف، 1387هـ/ 1967م.

134. النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: أحمد عبد المجيد هريدي، تقديم وإعداد : أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نشرة عن نسخة مخطوطة، 1406 هـ/ 1986م

135. النبهاني، يوسف بن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل سنت بركات رضا فوربندر غجرات - الهند، الطبعة الأولى 1422 هـ/ 2001م

136. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدين، المجموع شرح المهذب، الناشر: (إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي) - القاهرة، عام النشر: 1347 هـ

137. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدين، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة الثالثة، 1412هـ/ 1991م

138. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدين، منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، تحقيق: عوض قاسم أحمد عوض، دار الفكر، الطبعة الأولى الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2005م

139. النيسابوري، مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة، 1374 هـ/ 1955م

140. الهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر، الفتاوى الفقهية الكبري، المكتبة الإسلامية، عدد الأجزاء:4، بدون تاريخ.

141. الهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى بمصر - القاهرة، بدون طبعة، 1357هـ/ 1938م

142. بافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشحر وأخبار القرن العشر، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد - صنعاء، الطبعة الأولى، 1419 هـ/ 1999م

143. بافضل، محمد بن عوض، صلة الأهل بتدوين ما تفرَّق من مناقب بني فضل، اسم ومكان الناشر غير معروف، الطبعة الأولي، 1420هـ

144. باينم، ويليام، تاريخ الطب: مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: لبنى عماد كريم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، الطبعة الأولى، 2016م

145. بورنو، محمد صدقي، موسوعة القواعد الفقهية، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ/ 2003 م

146. جاويش، سليمان خليل بطرس، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينيَّة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة، 2012م

147. جلال، آمنة حسين، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم القرى، 1407هـ/ 1987م

148. حنفي، عبد المنعم، معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة - بيروت، الطبعة الثانية، 1407 هـ/ 1987م

149. خنشت، يوسف موسى، صور من حياة النبك وجبل القلمون، مطبعة القديس بولس في حريصا، 1936م،

150. دوزي، رينهات، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: د. محمد سليم النعيمي، دار الرشيد - بغداد، 1980م

151. ديوان الشيخ عبد الصمد باكثير، عناية: عبد القادر باكثير، (اليمن- المكلَّا: مكتبة الشافعي)، الطبعة الأولى 1430هـ/ 2009

152. راولف، ليونارد، رحلة إلى المشرق، ترجمة سليم طه التكريتي، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية - بغداد، الطبعة الأولى، 1978م

153. رضا، أحمد، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة - بيروت، 1380 هـ

154. زبارة، محمد محمد يحى، ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2004

155. زبارة، محمد محمد يحيى، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، المطبعة السلفيَّة ومكتبتها - القاهرة، 1376هـ

156. سركيس، يعقوب، مباحث عراقيَّة في الجغرافيا والتاريخ والآثار وخطط بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدود - بغداد، الطبعة الأولى، 1374هـ/ 1955م

157. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي - لندن، الطبعة الرابعة، 1422هـ/ 2001م

158. عمر، أحمد مختار، معجم العربيَّة المعاصرة، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1429 هـ/ 2008 م

159. قاطن، أحمد بن محمد بن عبد الهادي، إتحاف الأحباب بدمية القصر الناعتة لمحاسن بعض أهل العصر، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي، مكتبة الإرشاد - صنعاء، الطبعة الأولى تاريخ النشر: 1429/ 2008م

160. قسم البحث العلمي بدار الأصول، أغلى الجواهر المنتقى من تراجم حاوي جميع المفاخر أبي بكر بن سالم تاج الأكابر، (دار الأصول: اليمن - تريم، بدون تاريخ).

161. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1376هـ/ 1957م

162. كرد علي، محمد، خطط الشام، مكتبة النوري - دمشق، الطبعة الثالثة، 1403 هـ/ 1983 م

163. لويس، بيرنارد، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تعريب وتعليق: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1402هـ/ 1982م

164. مجموعة مؤلفين، الموسوعة الفقهية الكويتية، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الثانية، 1427 هـ/ 2006م

المراجع المطبوعة بالتركية القديمة:

1. حاجي خليفة، مصطفى كاتب جلبي، جهاننما: كتاب تاريخ العالم، دار الطباعة المعمورة بالقسطنطينية، بدون معلومات،

2. نظمي زاده، علي بن عبد الله البغدادي، كلشن خلفا، مطبوع بدار الطباعة المعمورة بالقسطنطينية سنة 1143 هـ نسخة محفوظة بمكتبة جامع الفاتح بإسطنبول، رقم 4462

المراجع المخطوطة:

1. الحموي، علوان بن عطية بن الحسن، السر المكنون في مدح البون، مخطوط بالمكتبة الظاهرية - دمشق، رقم: 919/ 27

2. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني ، تحفة إخوان الزمن في حكم قهوة اليمن، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، رقم 5595

3. ابن جزلة، يحيى بن عيسى البغدادي، مهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، رقم 5584

4. ابن عبد الغفار، أحمد بن موسى المالكي، دفع الهفوة في حلِّ القهوة، مخطوط بمكتبة عارف حكمت - المدينة المنورة، رقم 1415

5. الأجهوري، نور الدين علي بن محمد، مقدمة في فضل البن، مخطوطة في دار الكتب المصرية 73 مجاميع

6. السنباطي، أحمد بن عبد الحق، رسالة في تحريم القهوة، مخطوط مكتبة طرابزون، ق1. نسخة استفدتها من الأستاذ عبد العزيز اليحيى، رئيس قسم المخطوطات بمكتبة الملك عبد العزيز سابقًا.

7. العطاس، عبد الله بن أبي بكر، حلاوة القرطاس في مناقب الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، مخطوط مصور لديَّ، ج1، ص30، منه نسخة على الإنترنت.

8. العمريطي، شرف الدين يحيى، مخطوط بمكتبة جامعة أم القرى، برقم (1945)، ومخطوط مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية والأبحاث، رقم التسلسل والحفظ: 22-10170، وبرقم F-1235

9. العيثاوي، يونس بن عبد الوهاب الدمشقي، قول أهل السنة في تحريم القهوة، مخطوط بمكتبة برلين - ألمانيا، رقم Wetzstein_II_1716

10. العيدروس، عبد القادر بن شيخ، الزهر الباسم من روض الأستاذ حاتم الأهدل، مخطوط بالمكتبة البريطانية - لندن، رقم lot 683 10،

11. القوصوني، بدر الدين محمد بن محمد بن محمد، جواب سؤال عن القهوة، مخطوط محفوظ بمركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية - الرياض، رقم الحفظ: 1-11343

12. الموصلي، محمد أمين بك أفندي البغدادي، مجموعة من الوصفات الطبية والفصول القصيرة حول مواضيع طبية، من مجموع مخطوط بالمكتبة البريطانية، المجموعة الشرقيَّة، رقم Or 6273

13. جلبي، كاتب، ميزان الحق في اختيار الأحق، مخطوط محفوظ بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم 3176

14. نزهة الإخوان في القهوة والدخان» لمحمد القمجاوي، نسخة مخطوط مكتبة جوته، رقم Ms. orient. A 2105

المقالات والدوريّات

1. الدليل التعريفيّ لعام القهوة السعوديّة 2022

2. المقتبس، القهوة ومحالها، العدد الثاني، 1 فبراير 1912

3. روزي، عبد الغفور إسماعيل: "تاريخ التأليف في في القهوة: محاولة رصد"، عالم الكتب، المجلد 25، العدد المزدوج 3-4 (سنة -1424 1425هـ/ 2044م)

4. كيك، بطرس ، شذرات في أصل القهوة، مجلة المشرق - القاهرة، السنة السادسة، 1 أغسطس، العدد 15

5. مونرو، إليزابيث، تاريخ القهوة العربيَّة، مجلة الفيصل، العدد الرابع - السنة الأولى، شوال 1397 هـ/ سبتمبر 1977م

6. نور الدين، صالح أفندي، البن وزراعته، مجلة المقتطف، العدد التاسع، 1 يونيو 1890م/ 13 شوال 1307هـ.

المراجع المطبوعة بالإنجليزية:

1. AL -Asmari, M. Khalid: Coffee Arabica in Saudi Arabia: An Overview, International Journal of Pharmaceutical and-Phytopharmacological Research (eIJPPR) | August 2020 | Volume 10 | Issue 4

2. Anthony F, Berthaud J, Guillaumet JL, Lourd M (1987) Collecting wild Coffea species in Kenya and Tanzania. Plant Genet Resour News1 69

3. Braudel, Fernand: Civilization and Capitalism, 15th-18th Century: v. 1: The Structure of Everyday Life, Translated by: Sian Reynolds, William Collins Sons & Co Ltd London and Harper & Row New York 1981 Reprinted 1985

4. Claudia Roden (1994). Coffee: A Connoisseur's Companion. Pavilion Books

5. Della Valle, Pierre. De Constantinopole a Bombay, Letters, 1615, vol.I

6. ED. S. MILTON: A cultural history from around the world, Astrolog publishing house, Ltd 2003

7. Roseane M. Santos, Darcy R. Lima: An Unashamed Defense of Coffee: 101 Reasons To Drink Coffee Without Guilt. 1st Edition. USA. Xlibris corporation, 2009

8. TEIXEIRA, PEDRO: The Travels of Pedro Teixeira, PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY - London, 1902

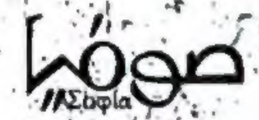
9. Thomas AS (1942) The wild arabica coffee on the Boma Plateau, Anglo-Egyptian Sudan. Emp Exp Agric 10

10. UKERS, WILLIAM H.: All about coffee, 1st edition, New York, The Tea and Trade Journal Company, 1922

هذا ديوانٌ ظريفٌ جَمعتُه في أدبِ القهوة المنظوم، أيقظتُ جُزءًا من مادته من المخطوطات، وقسطًا تعقَّبتُه في مدونات الأدب والتاريخ، قصدتُ فيه استيعاب أوسع مادة منظومة في أدب القهوة، لا الحصر، فذلك مما لا يَقدرُ عليه إلا الله، وأعترفُ أنَّني لم أُثبت في الديوان كلَّ ما وجدتُ من أدب القهوة المنظوم؛ إمَّا لعدم تحقُّق النِّسبة للقائل في المقاطيع مُشكلة النِّسبة، وهي قليلةٌ، أو لاكتشافي بعض المقطَّعات بعد إتمام مبيَّضة النشر، وهذه يُحقُّها الإلحاق في الطبعة القادمة إن يسَّر الله.

ثمَّ قدَّمتُ لهذا الديوان بمقدمة أسميتها «مقدمة جليلة في تاريخ القهوة»، وهي مختصرةٌ من كتاب أوسع أعمل عليه في تاريخ القهوة، حاولتُ فيها تجسير الهُوى في النظرة التاريخية عن القهوة، وتجلية بعض المناطق العمياء في سيرة القهوة على أرضها العربيَّة، ولم أهتمَّ كثيرًا بتلحيق المادة التاريخيَّة وتعقُّبها في المدونات الغربيَّة؛ اللهمَّ إلا ما تطلَّبه البحث، ممَّا لم يكن متوفرًا في المراجع العربيَّة، وأزعُمُ أنَّني وضعتُ فيها ما لا تجده في غيرها من النقول والفوائد والاستنتاجات.


ISBN 978-9921-721-78-2



@sophia_kwt
info@sophiareads.com